



مجموع مؤلفات ورسائل وبحوث
عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار
الوعظ والرقائق

كل حقوق محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م

مجموع مؤلفات ورسائل وبحوث

عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار

أستاذ الدراسات العليا في كلية الشريعة

والدراسات الإسلامية بجامعة القصيم

الوعظ والرقائق

المجلد السادس عشر

رتبه وأعدده للطباعة

د. محمد بن عبد الله الطيار

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

كتاب

أحب الأعمال إلى الله (١)

(١) اشترك مع المؤلف في تأليف هذا الكتاب الأستاذ الدكتور عاطف بن محمد عبد المجيد، الأستاذ في كلية التربية للبنات بالزلفي.



باسم الرحمن الرحيم

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ وبعد:

إِنَّ مِنْ عَظِيمِ نِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ أَنْ شَرَعَ لَهُمْ أَفْضَلَ الشَّرَائِعِ وَأَحْسَنَهَا، وَذَلَّهْمَ عَلَيْهَا، وَرَغَبَهُمْ فِيهَا، وَأَمَرَهُمْ بِأَنْ يَتَعَبَّدُوا إِلَيْهِ بِهَا، فَمَتَى قَامَ الْعِبَادُ بِمَا أَمَرُوا بِهِ وَانْتَهَوْا عَمَّا نُهُوا عَنْهُ، سَعَدُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَتَى خَالَفُوا أَمْرَ خَالِقِهِمْ وَتَمَرَّدُوا عَلَى عِبَادَتِهِ حَصَلَ لَهُمْ بِذَلِكَ الشَّقَاوَةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَنتَ أَأَيُّنَا فَتَنِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُؤَسِّئُ ﴿١٢٦﴾ [طه: ١٢٤ - ١٢٦] وَقَالَ: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ ﴿١٣٦﴾ [الزخرف: ٣٦] فَالْجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ.

وَلَمَّا رَغِبَ الرَّبُّ ﷻ فِي عِبَادَتِهِ بَيْنَ ﷺ أَنْ الْأَعْمَالَ لَيْسَتْ عَلَى دَرَجَةٍ وَاحِدَةٍ بَلْ يَتَفَاضَلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، وَلِذَا كَانَتْ مَحَبَّتَهُ ﷻ لِبَعْضِ الْأَعْمَالِ أَكْثَرَ مِنْ مَحَبَّتِهِ لِبَعْضِهَا، وَلَقَدْ كَانَ صَحَابَةُ النَّبِيِّ ﷺ - رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ - يَسْأَلُونَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ أَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ لِيَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِهَا، وَيَنَالُوا أَعْلَى دَرَجَاتِ الْمَحَبَّةِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، فَعَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى؟ قَالَ: «الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا»، قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «بِرُّ الْوَالِدَيْنِ»، قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(١).

(١) متفق عليه. البخاري في الفتح ٣٣٦/١٠، ومسلم برقم (٨٥).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل النبي ﷺ: أي الأعمال أفضل؟ قال: «إيمان بالله ورسوله»، قيل: ثم ماذا؟ قال: «الجهاد في سبيل الله»، قيل: ثم ماذا؟ قال: «حج مبرور»^(١).

وهكذا كان صحابته رضي الله عنهم يسألون عن أفضل أعمال البر وأحبها إلى الله لكي ينالوا محبته سبحانه ويفوزوا بأعلى الدرجات في جناته.

ولما كانت النفس البشرية يبتابها شيء من الكسل والفتور أحياناً، كان من الأفضل لها، أنه تتعرف على جانب من أنواع العبادات التي خصها الله تعالى بالفضل لكي تتعبد لله بها ويحصل من فعلها لها ما لا يحصل لها يترك بعضها.

والنفس البشرية تميل إلى التنوع؛ لأن في التنوع رياضة لهذه النفس ودعوة لها للاستمرار، فإن النفس البشرية إذا تعودت على أمر ما قد يصيبها شيء من الملل لكن إذا فتح لها باب من أنواع العبادات اختارت ما يناسبها حال الكسل وحال الهمة والنشاط.

وحرصاً منا على نفع إخواننا المسلمين جعلنا هذه الرسالة التي تبين جملة من أنواع العبادات التي يحبها الله تعالى مع بيان عظيم الأجر لمن قام بها نسأل الله أن يرزقنا محبته وأن يجمعنا وإخواننا المسلمين في دار كرامته إنه سميع مجيب.

وقبل الشروع في موضوعنا نحب أن ننبه على أمر هام وهو بيان مجمل اعتقاد أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته، وذلك لأن موضوع الرسالة في بيان الأعمال التي يحبها ومن خلال هذا المسمى «أحب الأعمال إلى الله» إذ فيه إشارة إلى إثبات صفة المحبة لله تعالى التي عطلها أهل التعطيل أو حرفها أهل التحريف.

فما هو مجمل اعتقاد أهل السنة والجماعة في صفات الله تعالى؟
قال سماحة شيخنا العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمته الله:

(١) متفق عليه. البخاري في الفتح ٣/٣٠٢، ومسلم برقم (٨٣).

«أهل السنة والجماعة طريقتهم في أسماء الله وصفاته أنهم يعتبرون أن ما ثبت من أسماء الله وصفاته في كتاب الله، أو فيما صح عن رسول الله ﷺ هو حق على حقيقته يراد به ظاهره ولا يحتاج إلى تحريف المحرفين وذلك لأن تحريف المحرفين، مبني على سوء فهم، أو سوء قصد حيث ظنوا أنهم إذا أثبتوا تلك النصوص، أو تلك الأسماء والصفات على ظاهرها ظنوا أن ذلك إثبات للتمثيل، ولهذا صاروا يحرفون الكلم عن مواضعه، وقد يكونون ممن لم يفهموا هذا الفهم ولكن لهم سوء قصد في تفريق هذه الأمة الإسلامية شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون.

وأهل السنة والجماعة يؤمنون بأن ما سمي الله به نفسه وما وصف الله به نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ، فهو حق على حقيقته وعلى ظاهره، ولا يحتاج إلى تحريف المحرفين بل هو أبعد ما يكون عن ذلك، وهو أيضاً لا يمكن أن يفهم منه ما لا يليق بالله ﷻ من صفات النقص أو المماثلة بالمخلوقين، بهذه الطريقة المثلى يسلمون من الزيغ والإلحاد في أسماء الله وصفاته، فلا يشبتون لله إلا ما أثبتته لنفسه، أو أثبتته له رسوله ﷺ، غير زائدين في ذلك ولا ناقصين عنه، ولهذا كانت طريقتهم أن أسماء الله وصفاته توقيفية لا يمكن لأحد أن يسمي الله بما لم يسم به نفسه أو أن يصف الله بما لم يصف به نفسه.

فإن أي إنسان يقول أن من أسماء الله كذا، أو ليس من أسماء الله، أو أن من صفات الله كذا، أو ليس من صفات الله بلا دليل فهذا بلا شك قول على الله بلا علم، وقد قال الله سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بَيْنَ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُبْرَأْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

ثم إن طريقتهم في أسماء الله تعالى مما سمي الله به نفسه فإن كان من الأسماء المتعدية فإنهم يرون من شرط تحقيق الإيمان به ما يلي:

١ - أن يؤمن المرء بذلك الاسم اسماً له ﷻ .
 ٢ - أن يؤمن بما دل عليه من الصفة سواء كانت الدلالة تضمناً أو التزاماً .

٣ - أن يؤمن بأثر ذلك الاسم الذي كان مما دل عليه الاسم من الصفة ونحن هنا نضرب مثلاً:

من أسماء الله تعالى «السميع» يجب على طريق أهل السنة والجماعة أن يثبت هذا الاسم من أسماء الله فيدعى الله به ويعبد به فيقال مثلاً عبد السميع ويقال يا سميع يا عليم وما أشبه ذلك؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وكذلك أيضاً يثبت ما دل عليه هذا الاسم من الصفة وهي السمع فنثبت لله سمعاً عاماً شاملاً فلا يخفى عليه أي صوت وإن ضعف .

كما نثبت أيضاً أثر هذه الصفة وهي أن الله تبارك وتعالى يسمع كل شيء وبهذا ننتفع انتفاعاً كبيراً من أسماء الله لأنه يلزم من هذه الأمور الثلاثة التي أثبتناها في الاسم إذا كان متعدياً أن نتعبد الله بها فنحقق قول الله: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فأنت إذا آمنت بأن الله يسمع فإنك لن تُسمع ربك ما يغضبه عليك، لن تسمعه إلا ما يكون به راضياً عنك؛ لأنك تؤمن أنك مهما قلت من قول سواء كان سراً أم علناً فإن الله تبارك وتعالى يسمعه، فسوف ينبئك بما كنت تقول في يوم القيامة، فسوف يحاسبك على ذلك على حسب ما تقتضيه حكمته في كيفية من يحاسبهم تبارك وتعالى، إذا القاعدة عند أهل السنة والجماعة أن الاسم من أسماء الله إذا كان متعدياً فإنه لا يمكن تحقيق الإيمان به إلا بالإيمان بهذه الأمور الثلاثة:

١ - أن تؤمن به اسماً من أسماء الله فنثبتته من أسمائه .

٢ - أن تؤمن بما دل عليه من صفة .

٣ - أن تؤمن بما يترتب على تلك الصفة من الأثر .

وبهذا يتحقق الإيمان بأسماء الله تبارك وتعالى المتعدية.

أما إذا كان الاسم لازماً فإنهم يثبتون هذا الاسم من أسماء الله، ويسمون الله به ويدعون الله به، ويثبتون ما دل عليه الاسم من صفة على الوجه الأكمل اللائق بالله تعالى، ولكن هنا لا يكون أثر؛ لأن هذا الاسم مشتق من شيء لا يتعدى موصوفه فلذلك لا يكون أثر، ونضرب مثلاً بـ «الحي» فإن الحي من أسماء الله ﷻ نثبته اسماً لله فنقول من أسماء الله تعالى «الحي» وندعو الله به فنقول: «يا حي، يا قيوم».

ونؤمن بما دل عليه من صفة، سواء كان ذلك تضمناً، أو التزاماً وهي الحياة الكاملة التي تتضمن كل ما يكون من صفات الكمال في الحي من علم وقدرة وسمع وبصر وكلام وغير ذلك، فعلى هذا نقول: إذا كان الاسم من أسماء الله غير متعد فإن تحقيق الإيمان به يكون بأمرين: أحدهما: إثباته اسماً من أسماء الله.

والثاني: إثبات ما دل عليه من الصفة على وجه الكمال اللائق بالله تبارك وتعالى.

أما الصفات فإننا لا نصف الله إلا بما وصف به نفسه سواء ذكر الصفات وحدها بدون أن يتسمى بما دلت عليه، أو كانت هذه الصفة مما دلت عليه أسماؤه، فإنه يجب علينا أن نؤمن بهذه الصفة على حقيقتها مثال ذلك: أثبت الله تبارك وتعالى لنفسه أنه استوى على عرشه، وهو يخاطبنا بالقرآن النازل باللسان العربي المبين، وكل الناس الذين لهم ذوق في اللغة العربية يعلمون معنى استوى في اللغة العربية، ولهذا قال الإمام مالك - رحمه الله تعالى - وقد سئل عن قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] كيف استوى؟ فقال: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة» وهذا اللفظ أدق من اللفظ الآخر؛ لأن كلمة «الكيف غير معقول» تدل على أنه إذا انتفى عنه الدليلان النقلية والعقلية فإنه لا يمكن التكلم به.

هذه الصفة من صفات الله لم يرد اسم من أسماء الله مشتق منها فليس

من أسمائه المستوى، ولكننا نقول إنه استوى على العرش ونؤمن بهذه الصفة على الوجه اللائق به ونعلم أن معنى الاستواء هو العلو، فهو علو خاص بالعرش، ليس العلو المطلق على جميع المخلوقات، بل هو علو خاص ولهذا نقول في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [طه: ٥].

أي: علا واستقر على وجه يليق بجلاله وعظمته، وليس كاستواء الإنسان على البعير والكرسي مثلاً؛ لأن استواء الإنسان على البعير والكرسي استواء مفتقر إلى مكانه الذي يستوي عليه، أما استواء الله جل ذكره فإنه ليس استواء مفتقر، بل إن الله تعالى غني عن كل شيء، كل شيء مفتقر إلى الله، والله تبارك وتعالى غني عنه.

ومن زعم أنه بحاجة إلى عرش يقله أساء الظن بربه ﷻ فهو ﷻ غير مفتقر إليه، كذلك النزول إلى سماء الدنيا حينما يبقى ثلث الليل الآخر نؤمن به على أنه نزول حقيقي، لكنه يليق بالله ﷻ لا يشبه نزول المخلوقين، ومن هنا نقول أنه يجب على المؤمن أن يتحاشى أمراً يلقيه الشيطان في باله أمراً خطيراً للغاية - وهو أمر حمل أهل البدع على تحريف النصوص، من أجل هذا الأمر الذي يجعله الشيطان في قلوب الناس - ألا وهو تخيل كيفية صفة من صفات الله، أو تخيل كيفية ذات الله ﷻ.

فاعلم أنه لا يجوز أبداً أن يتخيل كيفية ذات الله، أو كيفية صفة من صفاته، واعلم إنك إذا تخيلت أو حاولت التخيل فإنك لا بد أن تقع في أحد أمرين:

إما التحريف والتعطيل، وإما التمثيل والتشبيه ولهذا يجب عليكم أيها الإخوة أن لا تتخيلوا أي شيء من كيفية صفات الله ﷻ، لا أقول لا تثبتوا المعنى لأن المعنى يجب أن يثبت، لكن تخيل كيفية تلك الصفة لا يمكن أن تتخيلها وعلى أي مقياس تقيس هذا التخيل.

لا يمكن أبداً أن تتخيل كيفية صفات الله ﷻ لا بالتقدير ولا بالقول، يجب عليك أن تتجنب هذا لأنك تحاول ما لا يمكن الوصول إليه بل تحاول ما يخشى أن يوقعك في أمر عظيم لا تستطيع الخلاص منه إلا بسلوك التمثيل

والتعطيل وذلك لأن الرب جلت عظمته لا يمكن لأحد أن يتخيله على كيفية معينة لأنه إن فعل ذلك فقد قفا ما ليس له به علم وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

وإن تخيله على وصف مقارب بمثيل فقد مثل الله والله ﷻ يقول ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].
وبهذا نعلم أن من أنكر صفات الله أنكرها لأنه تخيل أولاً، ثم قالوا هذا التخيل يلزم منه التمثيل ثم حرفوا، ولهذا نقول إن كل معطل ومنكر للصفات فإنه ممثل سبق تمثيله تعطيله. مثل أولاً وعطل ثانياً ولو أنه قدر الله حق قدره ولم يتعرض لتخيل صفاته سبحانه ما احتاج إلى هذا الإنكار وإلى هذا التعطيل^(١).



(١) مجموع فتاوى ورسائل لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ١٨٥/٥ - ١٩٠.

الإيمان بالله - وصلة الرحم - والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

من أحب الأعمال إلى الله تعالى: الإيمان بالله، وصلة الرحم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لقول النبي ﷺ: «أحبُّ الأعمال إلى الله إيمان بالله، ثم صلة الرحم، ثم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»^(١).

أولاً: الإيمان بالله:

الإيمان في اللغة: مطلق التصديق.

وفي الشرع: تصديق النبي ﷺ بكل ما جاء به مما عُلم من الدين ضرورة^(٢) وفسره النبي ﷺ في حديث جبريل المشهور بقوله: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، وتؤمن بالقدر خيره وشره»^(٣).

وقد جاء في القرآن الكريم إطلاق الإيمان على هذه الأصول، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفِرُّ بَيْنَ يَدَيْكَ أَحَدٌ مِنْ رَسُولِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقال سبحانه: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي

(١) رواه أبو يعلى (٦٨٣٩) وحسنه الألباني كما في صحيح الجامع ٩٥/١ رقم (١٦٦).

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٧٧/٨ رقم (١٣٤٥٤): رواه أبو يعلى ورجاله رجال

الصحيح غير نافع بن خالد الطاجي وهو ثقة اهـ.

(٢) مختصر شعب الإيمان للبيهقي ص ٨.

(٣) رواه مسلم رقم الحديث (٨).

الْفُرْقِ وَالْيَتَمَى وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى
الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّادِقِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ
الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ [البقرة: ١٧٧].

وهذا المفهوم أجمله سلفنا الصالح - رضوان الله عليهم بقولهم:
«الإيمان: اعتقاد بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح يزيد بالطاعة
وينقص بالمعصية».

قال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية - يرحمه الله -:

«والمأثور عن أصحابنا وأئمة التابعين، وجمهور السلف وهو مذهب أهل
الحديث، وهو المنسوب إلى أهل السنة والجماعة أن الإيمان قول وعمل،
يزيد وينقص؛ يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية...»^(١).

وقال ابن حجر رحمته الله روى اللالكائي بسنده الصحيح عن البخاري قال:
«لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت منهم أحداً يختلف
في أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص»^(٢).

وقال سماحة شيخنا عبد العزيز بن باز رحمته الله:

«... والصواب الذي عليه أهل السنة والجماعة أن الإيمان قول وعمل
واعتماد يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية...»^(٣).

ونظم ابن مشرف في ذلك أبياتاً منها:

إيماننا قول وقصد وعمل إن وافق الشرع به نيل الأمل
والزيد والنيقضان للإيمان يعرض بالطاعة والعصيان^(٤)

وهذا العالم العلامة ابن القيم - يرحمه الله - يشرح حقيقة الإيمان وكماله

فيقول:

(١) مجموع الفتاوى ٥٠٥/٧.

(٢) فتح الباري ٧٤/١.

(٣) العقيدة الطحاوية، تعليق سماحته ص ٣٦.

(٤) ديوانه ص ٩.

«وهو - أي الإيمان - حقيقة مركبة من معرفة ما جاء به الرسول ﷺ علماً، والتصديق به عقداً، والإفراد به نطقاً، والانقياد له محبة وخضوعاً، والعمل به باطناً وظاهراً، وتنفيذه والدعوة إليه بحسب الإمكان.

وكماله في الحب في الله والبغض في الله، والعطاء لله والمنع لله، وأن يكون الله وحده إلهه ومعبوده، والطريق إليه تجريد متابعة رسوله ظاهراً وباطناً، وتغميض عين القلب عن الالتفات إلى سوى الله ورسوله، وبالله التوفيق»^(١).

وفي القرآن الكريم والسنة المطهرة نصوص كثيرة تدل على كون الإيمان بالقلب، قال سماحة شيخنا عبد العزيز بن باز - يرحمه الله -: «والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة أكثر من أن تحصر»^(٢).

ومن هذه الأدلة قوله تعالى:

﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسْكَرُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا ءَامَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ [المائدة: ٤١].

قال ابن كثير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

«نزلت في المسارعين في الكفر الخارجين عن طاعة الله ورسوله المقدمين آراءهم وأهواءهم على شرائع الله ﷻ: ﴿مِنَ الَّذِينَ قَالُوا ءَامَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ [المائدة: ٤١] أي: أظهروا الإيمان بألسنتهم، وقلوبهم خراب خاوية منه، وهؤلاء هم المنافقون»^(٣).

وقوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: ١٠٦].

وقوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤].

(١) الفوائد ص ١٤٠.

(٢) العقيدة الطحاوية هامش ص ٣٦.

(٣) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ص ٣٧٨.

وقول النبي ﷺ: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسد فسدت الجسد كله ألا وهي القلب»^(١).

فهذه النصوص تدل على أن الإيمان يدخل القلب ويطمئن به، وأن إيمان القلب شرط في صحة الإيمان.

وكون الإيمان باللسان يدل عليه قول النبي ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله»^(٢).

وقوله ﷺ: «يخرج من النار مَنْ قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من إيمان، ويخرج من النار مَنْ قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من إيمان، ويخرج من النار مَنْ قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من إيمان»^(٣).

فنطق الشهادتين باللسان شرط لصحة الإيمان وأن قائلها غير مخلد في النار كما هو واضح في هذين الحديثين الشريفين.

وكون الإيمان عملاً بالجوارح يزيد وينقص يدل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ - ٤].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٧٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٧٥﴾﴾ [التوبة: ١٢٤، ١٢٥].

قال الحافظ ابن كثير - يرحمه الله -:

«... وقوله: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ كقوله: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً﴾ الآية، وقد استدل البخاري وغيره من الأئمة بهذه الآية وأشباهها على زيادة الإيمان وتفاضله في القلوب، كما هو مذهب جمهور الأئمة، بل قد

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان.

(٢) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله.

(٣) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه.

حكى الإجماع على ذلك غير واحد من الأئمة كالشافعي وأحمد بن حنبل وأبي عبيد...»^(١).

ومن ذلك - أيضاً - قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُحُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝﴾ [الفتح: ٤].

فهذه النصوص تدل دلالة واضحة على أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وأنه يكون بالأعمال الظاهرة كالصلاة والزكاة وغيرها.

والمراد بالإيمان بالله تعالى: التصديق القاطع الجازم بوجود الله ﷻ، وأنه ﷻ هو المستحق للعبادة دون كل ما سواه.

قال سماحة شيخنا عبد العزيز بن باز - يرحمه الله -: «... من الإيمان بالله الإيمان بأنه الإله الحق المستحق للعبادة دون كل ما سواه، لكونه خالق العباد والمحسن إليهم والقائم بأرزاقهم والعالم بسرهم وعلايتهم والقادر على إثابة مطيعهم وعقاب عاصيهم، ولهذه العبادة خلق الله الثقلين وأمرهم بها...»^(٢).

ويتحقق هذا الإيمان بأمر ثلاثة هي:

١ - الإيمان بأسماء الله تعالى:

قال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۚ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة إنه وتر يحب الوتر»^(٣).

وزاد الترمذي بعد قوله: «يحب الوتر»:

(١) المصباح المنير على تهذيب تفسير ابن كثير ص ٥٢٥.

(٢) العقيدة الصحيحة ونواقض الإيمان ص ٧.

(٣) رواه الإمام أحمد (٧٤٩٣) و(١٠٤٨٦)، والبخاري (٦٤١٠)، ومسلم (٢٦٧٧)، والترمذي (٣٥٠٦)، وابن ماجه (٣٨٦٠).

«هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحكم العدل اللطيف الخبير الحكيم العظيم الغفور الشكور العلي الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوي المتين الولي الحميد المحصي المبدي المعيد المحيي المميت الحي القيوم الواجد الماجد الواحد الأحد الفرد الصمد القادر المقدر المقدم المؤخر الأول الآخر الظاهر الباطن الولي المتعالي البر التواب المنتقم العفو الرؤوف الملك ذو الجلال والإكرام المقسط الجامع الغني المغني المانع الضار النافع النور الهادي البديع الوارث الرشيد الصبور».

ثم قال: «حديث غريب . . . وقد رُوي هذا الحديث من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ولا نعلمه في شيء من الروايات له إسناد صحيح ذكر الأسماء إلا في هذا الحديث»^(١).

ومعنى الأسماء الحسنی: أحسن الأسماء؛ لأنها تدل على معان حسنة من تحميد وتقديس وغير ذلك.

والحسنى مؤنث أحسن، وجمع التكثير لغير العقلاء يعامل معاملة المؤنثة الواحدة^(٢).

وفي قوله ﷺ: «من أحصاها» أقوال منها: مَنْ حفظها، مَنْ عرف معانيها وآمن بها، مَنْ قرأ القرآن حتى يختمه فإنه يستوفي هذه الأسماء في تلاوته^(٣).

وقد أَلَفَ عدد من العلماء مؤلفات شرحوا فيها هذه الأسماء، جاء في كتاب كشف الظنون في أسامي الكتب والفنون:

(١) شرح الترمذي لابن العربي ١٣/١ وما بعدها.

(٢) انظر: البحر المحيط لأبي حيان ٥/٢٣٠.

(٣) انظر في هذا: بدائع الفوائد لابن القيم ١/١٦٤، وتلخيص الحبير لابن حجر ٤/١٧٤.

«شرح الأسماء الحسنی لجماعة من أهل العلم منهم: الأزهری، والإقلیسی، والبواسی، والنسفی، والبقالی، والبیضاوی، وفخر الدین، والقشیری، وغيرهم».

٢ - الإيمان بصفات الله تعالى:

مثل: الوجود والقدم والوحدانية والبقاء والقدرة والإرادة... . بالكيفية التي أثبتها الله لنفسه.

قال سماحة شيخنا - ابن باز - يرحمه الله: «... الإيمان بكل ما ورد في كتاب الله العزيز وفي السنة الصحيحة عن رسول الله ﷺ من أسماء الله وصفاته وإثباتها لله على الوجه الذي يليق به من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكليف ولا تمثيل، كما قال الله سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝﴾ (١) ﴿لَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝﴾ (٢) [الإخلاص: ٤]. وقال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝﴾ [الشورى: ١١] وقال ﷺ: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝﴾ (١٨٠) [الأعراف: ١٨٠]» (١).

٣ - الإيمان بأفعال الله تعالى:

مثل: الخلق، والرزق، والإحياء والإماتة... .

قال شيخنا محمد صالح العثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «فالله وحده هو الخالق ولا خالق سواه قال تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنْتُمْ تُؤْفَكُونَ﴾ [فاطر: ٣].

وقال تعالى مبيناً بطلان آلهة الكفار: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٧] فالله تعالى وحده هو الخالق: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ مَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢] وخلقته يشمل ما يقع من مفعولات خلقه أيضاً...» (٢).

(١) العقيدة الطحاوية ص ٦، ٧.

(٢) التوحيد ومعنى الشهادتين وحكم المتابعة ص ٤.

وقال ﷺ أيضاً: «... فنؤمن بربوبية الله تعالى أي بأنه الرب الخالق الملك المدبر لجميع الأمور...»^(١).

ويقوم هذا الإيمان على أسس أهمها:

١ - الكفر بالطاغوت:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال النبي ﷺ: «من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله»^(٢).

قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ﷺ: «وحاصله - أي التوحيد - هو البراء من عبادة كل ما سوى الله، والإقبال بالقلب والعبادة على الله وذلك هو معنى الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، وهو معنى لا إله إلا الله...»^(٣).

وفي الآية الأولى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ﴾... قدم الحق سبحانه: الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله؛ لأنه فعل العبد وامتناله لما كلف به، فيجب أولاً أن يخلع ثوب الشرك ويكفر بالطاغوت ثم يدخل الإيمان في قلبه نقياً طاهراً.

وفي الآية الثانية: والحديث قدم الإيمان بالله على الكفر بالطاغوت؛ لأن دعوة الرسل تتجه إلى المقصد الأهم وهو العبادة الخالصة ثم بيان شرطها وهو الكفر بالطاغوت وغيره.

(١) عقيدة أهل السنة والجماعة ص ٦.

(٢) رواه مسلم في كتاب الإيمان - باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله.

(٣) تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبد الله ص ١٣٩.

٢ - الإيمان بالغيب:

والأدلة عليه كثيرة منها:

قول الله تبارك وتعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَبَدَّوْا لَهُمْ آيَاتِنَا فَكَفَرُوا وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى
لِّلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ
يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى
مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥) [البقرة: ١ - ٥].

وقد وضح ابن كثير المراد به فقال: «... قال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أبي عن أبي العالية في قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ قال: يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وجنته وناره ولقائه، ويؤمنون بالحياة بعد الموت والبعث، فهذا غيب كله، وكذا قال قتادة بن دعامة»^(١).

٣ - امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه:

وفي القرآن الكريم والسنة النبوية نصوص كثيرة تبين هذا الأساس وتوضحه، منها:

قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا﴾ [التوبة: ٣١].
وقوله تعالى: ﴿إِن الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِي أَلْقَيْتُمْ
وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠].

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلَاحِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا
خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (٢٠٨) [البقرة: ٢٠٨] والسلم: الإسلام،
والمراد بكافة: جميع شرائع الإسلام^(٢).

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ
وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (٢٤) [الأنفال: ٢٤]

(١) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ص ٣٢.

(٢) انظر: المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ص ١٥٣.

﴿يُحْيِيكُمْ﴾ يصلحكم و﴿يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ قال السدي رحمه الله: يحول بين الإنسان وقلبه فلا يستطيع أن يؤمن ولا يكفر إلا بإذنه^(١).

وقد حذر الله سبحانه من التفريط في الطاعة وعدم الالتزام بالتكليف فقال سبحانه: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

ومن السنة قوله ﷺ: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبي»، قالوا: ومن يأبي؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبي»^(٢).

٤ - الإخلاص لله في العبادة:

ومعناه: أن يقصد العبد في كل عبادته وجه الله تعالى، فلا يشرك مع ربه أحداً، ولا يصرف شيئاً منها لغيره.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَجِدُّ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ أي: ما كان موافقاً لشرع الله ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ وهو الذي يراد به وجه الله وحده لا شريك له، وهذا ركنا العمل المتقبل، لا بد أن يكون خالصاً، صواباً على شريعة رسول الله ﷺ^(٣).

وبيّن النبي ﷺ أن إخلاص العبادة لله وحده حق له سبحانه على عباده. فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت رديف النبي ﷺ على حمار فقال: «يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق

(١) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ص ٥٣٢.

(٢) رواه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ.

(٣) المصباح المنير ص ٨١٨.

العباد على الله أن لا يعذب من يشرك به شيئاً»^(١).

٥ - صدق المتابعة للنبي ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله:

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

قال ابن كثير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «هذه الآية أصل كبير في التأسى برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله»^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

فمن حقق الإيمان بالله بالكيفية التي أرادها الله سبحانه، ووضحها لنا نبينا ﷺ جنى ثمرات الإيمان والتي منها:

• محبة الله، وتعظيمه، وطاعته، والسعادة في الدارين.

قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ

حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

قال شيخنا محمد بن عثيمين - يرحمه الله -: «... فالإيمان بالله

وأسمائه وصفاته يثمر للعبد محبة الله وتعظيمه الموجبين للقيام بأمره واجتناب

نهيهِ، والقيام بأمر الله تعالى واجتناب نهيه يحصل بهما كمال السعادة في الدنيا

والآخرة للفرد والمجتمع...»^(٣).

ويؤكد هذا قول الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ

بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ

أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [٧١] وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ

تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكِنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّن

اللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧١، ٧٢].

(١) رواه البخاري (٢٨٥٦)، ومسلم (٣٠).

(٢) المصباح المنير ص ١٠٨٢.

(٣) عقيدة أهل السنة والجماعة ص ٣٨.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦].

أي: بسبب إيمانهم وأعمال الإيمان يحبهم الله ويجعل لهم المحبة في قلوب المؤمنين، ومن أحبه الله وأحبه المؤمنون من عباده حصلت له السعادة والفلاح والفوائد الكثيرة من محبة المؤمنين من الثناء والدعاء له حياً وميتاً والافتداء به، وحصول الإمامة في الدين^(١).

• ومن ثمرات الإيمان أيضاً: حصول البشارة بكرامة الله، والأمن التام من جميع الوجوه:

لقوله تعالى: ﴿وَيَسِّرَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنْ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُوتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥].
وفي الأمن يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

قال الشيخ السعدي رحمته الله: «فالمؤمن له الأمن التام في الدنيا والآخرة: أمنٌ من سخط الله وعقابه، وأمنٌ من جميع المكاره والشرور وله البشارة الكاملة بكل خير...»

ويوضح هذه البشارة قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَرَكَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [٣٢] ﴿تَحْنُ أُولِيَائِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا فَشَّتْهِيَ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾ [٣٣] ﴿لَا مِنْ عَفْوَِرٍ رَّحِيمٍ﴾ [٣٢ - ٣٠] [فصلت: ٣٢] (٢).

• ومنها: أن الإيمان الصحيح يمنع العبد من الوقوع في الموبقات المهلكة.

لقوله ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق

(١) انظر: المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (٣) العقيدة الإسلامية ص ١٢٨.

(٢) المجموعة الكاملة (٣) العقيدة الإسلامية ص ١٣٠.

حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن»^(١).

فالإيمان يعصم صاحبه من ارتكاب الفواحش ما ظهر منها وما بطن، فما أحوج الأمة إلى الإيمان الكامل في هذا الزمان الذي تكالب فيه الأعداء عليها، وسعوا جاهدين إلى نشر الرذائل بكل الوسائل، مستغلين تقدمهم العلمي في إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا قاتلهم الله أنى يؤفكون.

لهذا كان الإيمان بالله من أحب الأعمال إلى الله كما أخبر بذلك الصادق الأمين محمد بن عبد الله ﷺ.

ثانياً: صلة الرحم:

من أحب الأعمال إلى الله تعالى: صلة الرحم لقوله ﷺ: «ثم صلة الرحم» والرحم: رحم المرأة، ومنه استعير الرحم للقرابة لكونهم خارجين من رحم واحدة^(٢).

ويطلق الرحم على كل من يجمعك وإياه نسب من جهة الذكور أو من جهة النساء.

وصلة الرحم كناية عن الإحسان إلى الأقربين من ذوي النسب والأصهار والعطف عليهم والرفق بهم والرعاية لأحوالهم وإن أساءوا^(٣).

وواصل الرحم يصله الله، جاء في الصحيحين عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ: «الرحم متعلقة بالعرش تقول مَنْ وصلني وصله الله، ومَنْ قطعني قطعته الله».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك،

(١) صحيح البخاري ١٣٦/٢، ومسلم ٥٤/١، والترمذي ٩١/١٠.

(٢) انظر: المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص ١٩١.

(٣) انظر: لسان العرب لابن منظور ٧٢٨/١١.

قالت: بلى، قال: فذلك لك» ثم قال رسول الله ﷺ: «اقرأوا إن شئتم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ ﴿٢٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ﴾ ﴿٢٣﴾ [محمد: ٢٢ - ٢٣].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في تفسير هاتين الآيتين: «... وهذا نهى عن الإفساد في الأرض عموماً، وعن قطع الرحم خصوصاً، بل قد أمر الله تعالى بالإصلاح في الأرض وصلة الأرحام، وهو الإحسان إلى الأقارب في المقال والأفعال وبذل المال»^(١).

وصلة الرحم من علامات الإيمان، لقوله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»^(٢).

كما أنها سبب بسط الرزق وطول العمر، فعن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «من أحب أن يُبسط له في رزقه، ويُنسأ له في أثره فليصل رحمه»^(٣).

والزيادة في العمر قد تكون معنوية وذلك بأن يبارك الله فيه فيهب لصاحبه قوة في الجسم، ورجاحة في العقل، وعزيمة في الرأي، ويوفقه لأعمال الخير والبر والطاعة، فتكون حياته حافلة بالأعمال الصالحة.

وقد تكون الزيادة في عمر الواصل حقيقية فيطول عمره ويمتد أجله، يوضح ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ فيقول: «... والأجل أجلان: مطلق يعلمه الله، وأجل مقيد، وبهذا يتبين معنى قوله ﷺ: «من سره أن يُبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه». فإن الله أمر الملك أن يكتب له أجلاً، وقال: إن وصل رحمه زدته كذا وكذا، والملك لا يعلم أيزاد أم لا، لكن الله يعلم ما يستقر عليه الأمر، فإذا جاء الأجل لا يتقدم ولا يتأخر»^(٤).

(١) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ص ١٢٨.

(٢) رواه البخاري (٦٠١٨) و(٦١٣٦)، ومسلم (٤٧)، والإمام أحمد (٦٦٢١).

(٣) رواه البخاري (٥٩٨٦)، ومسلم (٢٥٥٧).

(٤) مجموع الفتاوى ٥١٧/٨.

وصلة الرحم سبب من أسباب دخول الجنة: فعن أبي أيوب خالد بن زيد الأنصاري رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار، فقال النبي ﷺ: «تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم»^(١).

هذا بالإضافة إلى آثار صلة الرحم الحميدة على الفرد والجماعة من نشر المودة والألفة والمحبة بين ذوي الأرحام حتى تصير الأمة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً، وكالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، فما أحوج أمتنا في هذا الزمن إلى الاتحاد والترابط.

فَصِلْ أَخِي الْمُسْلِمَ أَرْحَامَكَ وَإِنْ قَطَعُوكَ، وَأَعْطِهِمْ وَإِنْ حَرَمُوكَ، وَبِرَّهِمْ وَإِنْ جَفُوكَ، وَأَحْلَمْ عَلَيْهِمْ وَإِنْ جَهِلُوا عَلَيْكَ، تَفَرَّضْ بِرِضَى اللَّهِ فِي الدَّارَيْنِ، وَحَسَابِهِمْ عَلَى اللَّهِ. فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني، وأحسن إليهم ويسيئون إليّ، وأحلم عنهم ويجهلون عليّ، قال: «لئن كنت كما قلت، فكأنما تسفهم المل، ولا يزال معك من الله ظهير ما دامت على ذلك»^(٢) ومعنى تسفهم: تطعمهم، والمل: الرماد الحار.

قال الإمام النووي رحمته الله في شرح الحديث: «وهو تشبيه لما يلحقهم من الألم، بما يلحق أكل الرماد الحار من الألم، ولا شيء على هذا المحسن، بل ينالهم الإثم العظيم في قطيعته، وإدخالهم الأذى عليه».

وقيل معناه: أنك بالإحسان إليهم تخزيهم وتحقرهم في أنفسهم؛ لكثرة إحسانك، وقبيح فعلهم من الخزي والحقارة عند أنفسهم، كمن يسف الملّ. وقيل: ذلك الذي يأكلونه من إحسانك كالمِلّ يحرق أحشاءهم. والله أعلم.

وفي هذا المعنى يقول الشاعر: المقنع الكندي:

وإن الذي بيني وبين بني أبي وبين بني عمي لمختلف جداً

(١) رواه البخاري (٥٩٨٣)، ومسلم (١٣).

(٢) رواه مسلم (٢٥٥٨)، والإمام أحمد (٧٩٧٩).

إذا قدحوا لي نار حرب بزندهم قدحْتُ لهم في كل مكرمة زندا
 وإن أكلوا لحمي وفرتُ لحومهم وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدا
 ولا أحمل الحقد القديم عليهم وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا
 وأعطيهم مالي إذا كنت واجدا وإن قلّ مالي لم أكلفهم رفا^(١)

ثالثاً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

رسولنا ﷺ خير الرسل؛ لأن الله نسخ برسالته كل الرسالات. وأمتنا خير الأمم؛ لأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر قال الله تعالى: ﴿كُتِبَ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

والمعروف: اسم لكل فعل يُعْرَفُ بالعقل أو الشرع حُسْنَهُ.

والمنكر: ما ينكر بالعقل أو الشرع^(٢)

وقد أمر الله المسلمين بهما وحثهم عليهما، فقال سبحانه: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

قال الحافظ ابن كثير - يرحمه الله - : «وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ» منتصبة للقيام بأمر الله في الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^(٣).

وهو واجب على كل فرد من أفراد هذه الأمة، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان» وفي رواية: «وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»^(٤).

قال ابن دقيق العيد رحمه الله في شرح هذا الحديث: «... وأما قوله:

(١) روضة العقلاء لابن حبان ١٧٣ - ١٧٤.

(٢) المفردات في غريب القرآن ص ٣٣١.

(٣) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ص ٢٣٧.

(٤) رواه مسلم رقم (١٧٧) (١٧٩).

«فليغيره» فهو أمر إيجابي بإجماع الأمة، وقد تطابق الكتاب والسنة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو أيضاً من النصيحة التي هي الدين^(١).

ويؤكد هذا ويقوّيه ما يرويه حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم»^(٢).

وقد لعن الله الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان أنبيائهم بسبب تركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ ﴿٧٨﴾ كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لئس ما كانوا يفعلون ﴿٧٩﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩].

والذي خلق الإنسان ويعلم ما توسوس به نفسه، وما يستقيم به أمره، وما تصلح به دنياه، وتعمر به أخراه، قد ألزمه بهذا الأمر.

ولما تهاون المسلمون في هذه الشعيرة انتشر في كثير من بلادهم الفسق والفجور، وأصبح الفاجر الفاسق المجاهر بالمعصية المتباهي بها الداعي إليها عزيزاً كريماً، والمؤمن المتمسك بدينه ذليلاً إرهابياً أصولياً حقيراً، فلا حول ولا قول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وهنا نسجل بكل إعزاز وفخر أن بلاد الحرمين الشريفين (المملكة العربية السعودية) متفردة من بين البلاد الإسلامية بإحياء هذه الشعيرة، فلا توجد هيئة منظمة تنظيماً دقيقاً للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا فيها، ولا يوجد رجال للحسبة يجوبون البلاد من أقصاها إلى أقصاها آمرين بالمعروف ناهين

(١) شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد ص ٨٢.

(٢) رواه الترمذي (٢١٦٩) وقال: هذا حديث حسن، والإمام أحمد (٢٣٦٩٠)، والطبراني في الكبير ١٤٦/١٠ رقم (١٠٢٦٧)، والبيهقي في الشعب (٧٥٥٦) وحسنه الألباني.

عن المنكر، إلا فيها، وهذا مما أعاظ أعداء الإسلام في كل مكان كافرين ومنافقين فتعالت أصواتهم مطالبين بالقضاء على هذه الهيئة المباركة، أو تحجيم دورها وجعلها شكلاً فقط.

نسأل الله أن يرد كيد الكائدين في نحورهم وأن يشغلهم بأنفسهم عن المسلمين.

كما نسأله سبحانه أن يحمي بلادنا وبلاد المسلمين من كل سوء ومكروه وأن يحفظ لنا هذه الفئة المؤمنة الأمرة بالمعروف الناهية عن المنكر، والتي كانت سبباً بعد فضل الله في حماية بلاد الحرمين الشريفين من شرور كثيرة وآثام عديدة.

ومن هنا ندرك لماذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أحب الأعمال إلى الله كما قال سيدنا رسول الله ﷺ؟



الحنيفية السمحة

من أحب الأعمال إلى الله الحنيفية السمحة لقول النبي ﷺ: «أحب الأعمال إلى الله تعالى: الحنيفية السمحة»^(١).

الْحَنْفُ: هو الميل عن الضلال إلى الاستقامة، وضده الجنف: وهو الميل عن الاستقامة إلى الضلال.

والحنيف: هو المائل إلى الاستقامة قال الله تعالى: ﴿إِنَّ إِزْهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠].

وقال سبحانه: ﴿مَا كَانَ إِزْهِيمٌ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا﴾ [آل عمران: ٦٧].

وقال الله تعالى: ﴿وَأَجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ [٣٠] حُفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾ [الحج: ٣٠، ٣١]. وتحنّف فلان: أي تحرى طريق الاستقامة.

وسمّ العرب كل من حج أو اختتن حنيفاً تنبيهاً أنه على دين إبراهيم ﷺ.

والأحنف: مَنْ فِي رِجْلِهِ مِيلٌ.

قيل: سُمِّيَ بِذَلِكَ تَفَاؤُلاً، وَقِيلَ: بَلِ اسْتَعِيرَ لِلْمِيلِ الْمَجْرَدُ^(٢).

(١) رواه الإمام أحمد (٢١٠٧) بلفظ: «قيل لرسول الله ﷺ: أي الأديان أحب إلى الله؟ قال: الحنيفية السمحة». ورواه عبد بن حميد في مسنده ص (١٩٩) رقم (٥٦٩). وقال ابن حجر الهيتمي في مجمع الزوائد ١/ ٢٥٥ رقم (٢٠٣): رواه أحمد والطبراني في الأوسط والكبير والبخاري وفيه: ابن إسحاق وهو مدلس ولم يصرح بالسماع اهـ. وقد بَوَّبَ البخاري في كتاب الإيمان (٢٩) حديث رقم (٣٩)، باب الدين يسر وقول النبي ﷺ: «أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة»، وحسنه ابن حجر في الفتح ١/ ٩٤.

(٢) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص ١٣٣ - ١٣٤.

والحنيفية: هي الملة المائلة عن الشرك المبنية على الإخلاص لله ﷻ^(١) وهي ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى -:

«... الحنيفية ملة إبراهيم: أن تعبد الله وحده مخلصاً له الدين»^(٢).



(١) شرح ثلاثة الأصول للشيخ محمد بن صالح العثيمين (٣٧) هامش (٤).

(٢) ثلاثة الأصول ٣٧.

مفهوم العبادة

وللعبادة مفهومان:

الأول: عام وهو التذلل لله محبه وتعظيماً بفعل أو امره واجتناب نواهيه على الوجه الذي جاءت به شرائعه.

والثاني: خاص وهو كونها اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة كالخوف والخشية والتوكل والصلاة والزكاة والصيام وغير ذلك من شرائع الله^(١).

وقد خلق الله الخلق لعبادته وحده، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وقال سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣].

وأمر الله بها فقال: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦].

وبعث الله بها الرسل: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وبين رسولنا ﷺ أنها حق الله على عباده، وذلك فيما يرويه معاذ بن جبل حيث يقول: «كنت رديف النبي ﷺ على حمار فقال لي: يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً، قلت: يا رسول الله أفلا أبشر الناس؟ قال: لا تبشرهم فيتكلوا»^(٢).

(١) انظر السابق ص ٣٧.

(٢) رواه البخاري: كتاب الجهاد، باب اسم الفرس والحمار، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً.

أنواع العبادة

قال شيخنا محمد بن عثيمين - يرحمه الله -: «... واعلم أن العبادة نوعان: عبادة كونية وهي الخضوع لأمر الله تعالى الكوني، وهذه شاملة لجميع الخلق لا يخرج عنها أحد لقوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣] فهي شاملة للمؤمن والكافر والبر والفاجر.

والثاني: عبادة شرعية وهي الخضوع لأمر الله تعالى الشرعي، وهذه خاصة بمن أطاع الله تعالى واتبع ما جاء به الرسل مثل قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

فالنوع الأول لا يحمد عليه الإنسان؛ لأنه بغير فعله... بخلاف النوع الثاني فإنه يحمد عليه^(١).

ولا يقبل الله العبادة من عباده إلا إذا اقترنت بالإخلاص، قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

وقال سبحانه: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

قال الحافظ ابن كثير رحمته الله: «وهذان ركنا العمل المتقبل: لا بد أن يكون خالصاً لله، صواباً على شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم...»^(٢).

وللعلماء في الإخلاص أقوال كثيرة منها:^(٣)

(١) شرح ثلاثة الأصول ص ٣٨ - ٣٩.

(٢) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ص ٨١٨.

(٣) انظر: هذه الأقوال في بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين ٢٩/١، ومختصر شعب الإيمان ص ١٦٣، وشرح ثلاثة الأصول ص ٣٧.

- أن يراد بالعمل وجه الله تعالى لا غيره.
- أفراد الحق سبحانه بالقصد في الطاعة.
- تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين.
- أن يقصد المرؤ بعبادته وجه الله ﷻ والوصول إلى دار كرامته بحيث لا يعبد معه غيره لا ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلأ.



ثمرات الإخلاص

وللإخلاص ثمرات كثيرة أهمها:

* نصر الأمة:

قال سيدنا رسول الله ﷺ: «إنما ينصر الله هذه الأمة بضعفها: بدعوتهم، وصلاتهم، وإخلاصهم»^(١).

وأمتنا - أخي القارئ الكريم - تعيش اليوم حالة من الضعف والهزيمة فهي في حاجة إلى دعائك وصلاتك وإخلاصك فلا تبخل عليها بما تستطيعه ولك الأجر والمشوبة - إن شاء الله -.

* النجاة من عذاب الآخرة والفوز بالجنة:

لقوله تعالى في حق طائفة من المخلصين: ﴿وَيُطْعَمُونَ عَلَىٰ حَيْدٍ وَمَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ (٨) ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾ (٩) ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَتَطِيرًا﴾ (١٠) ﴿فَوَقَّعْنَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّعْنَاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ (١١) ﴿وَجَرَّعْنَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ (١٢) ﴿مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرْبَابِ لَا يُرُونَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ (١٣) ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ أُتُوفُوهَا نَذِيلًا﴾ (١٤) ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِبَانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا﴾ (١٥) ﴿قَوَارِيرًا مِّن فِضَّةٍ قَدْرُوهَا نَقِيرًا﴾ (١٦) ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا﴾ (١٧) ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾ (١٨) ﴿[الإنسان: ٨ - ١٨].

فعبادة الله وحده، وإخلاص الدين له هما ملة إبراهيم عليه السلام - وهي الحنيفية السمحة - وقد أوحى الله إلى نبيه محمد ﷺ أن يتبعها، فقال ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (النحل: ١٢٣).

(١) صحيح الترغيب والترهيب ١/٦٥.

ووصف الذين يرغبون عنها بقوله ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة: ١٣٠].

لهذا كانت الحنيفية السمحة من أحب الأعمال إلى الله تعالى كما قال النبي محمد ﷺ.



الصلاة وبر الوالدين والجهاد

من أحب الأعمال إلى الله تعالى: الصلاة وبر الوالدين والجهاد في سبيل الله. فعن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ: أي العمل أحب إلى الله تعالى؟ قال: «الصلاة على وقتها».

قلت: ثم أي؟ قال: «بر الوالدين».

قلت: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله»^(١).

أولاً: الصلاة على وقتها:

• الصلاة لغة:

للصلاة في اللغة معان كثيرة، أهمها:

الدعاء، يقال: صلّيت عليه، أي دعوت له، ومنه قوله - عليه الصلاة والسلام -: «إذا دعيت أحدكم إلى طعام فليجب، وإن كان صائماً فليصل»^(٢) أي: ليدع لأهله^(٣)

ومنه - أيضاً - قوله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣].

قال ابن كثير رحمته الله: «... ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ أي: ادع لهم واستغفر لهم، كما رواه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ

(١) رواه البخاري ومسلم، وانظر أيضاً في: رياض الصالحين ص ١٥٦، وفتح الباري لابن حجر ١٢/٢.

(٢) رواه مسلم ١٠٥٤/٢.

(٣) انظر: المفردات في غريب القرآن ص ٢٨٥.

إذا أتى بصدقة قوم صلى عليهم، فاتاه أبي بصدقته فقال: اللهم صل على آل أبي أوفى^(١).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

جاء في تفسير ابن كثير عقب هذه الآية: «قال البخاري: قال أبو العالية: صلاة الله تعالى ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدعاء»^(٢).

وقال بعضهم: أصل الصلاة من الصَّلاء، ومعنى صَلَّى الرجل أي أزال عن نفسه بهذه العبادة الصَّلاء الذي هو نار الله الموقودة^(٣).

وقيل: أصلها التعظيم، وسميت الصلاة المخصوصة صلاة لما فيها من تعظيم الرب تعالى وتقديسه^(٤).

• وشرعاً:

وأما تعريفها في الشرع فهي: «التعبد لله بأقوال وأفعال مخصوصة مفتوحة بالتكبير ومختمة بالتسليم»^(٥).

قال سماحة شيخنا عبد العزيز بن باز - يرحمه الله -: «... الصلاة عبادة ذات أقوال وأفعال أولها التكبير وآخرها التسليم»^(٦).

وقد أمر الله المسلمين بالمحافظة عليها وإقامتها في أوقاتها فقال سبحانه: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٣] فَإِنْ خِفْتُمْ وِجَالَ أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿البقرة: ٢٣٩﴾.

فلا يجوز تأخيرها عن وقتها إلا لعذر قدره الشرع من نوم أو نسيان وما

(١) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ص ٥٨٩.

(٢) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ص ١١٠٢.

(٣) انظر: المفردات في غريب القرآن ص ٢٨٥.

(٤) لسان العرب لابن منظور ٤٦٦/١٤.

(٥) انظر: الروض المربع ١١٨/١.

(٦) رسائل في الطهارة والصلاة ص ٢٨.

يلحق بهما من إغماء وغيره قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «أي مفروضاً، وقال: إن للصلاة وقتاً كوقت الحج»^(١)

وهذا شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - يقول:

«... فلا يجوز تأخير الصلاة عن وقتها لجنابة ولا لحدث ولا لنجاسة ولا غير ذلك، بل يصلي في الوقت بحسب حاله؛ فإن كان محدثاً وعدم الماء أو خاف الضرر باستعماله، تيمم وصلى، وكذلك الجنب يتيمم ويصلي إذا عدم الماء أو خاف الضرر باستعماله لمرض أو لبرد، وكذلك العريان يصلي في الوقت عرياناً، ولا يؤخر الصلاة حتى يصلي بعد الوقت في ثيابه، وكذلك إذا كان عليه نجاسة لا يقدر أن يزيلها فيصلّي في الوقت بحسب حاله، وهكذا المريض يصلي على حسب حاله في الوقت... وهذا كله لأن فعل الصلاة في وقتها فرض والوقت أوكد فرائض الصلاة»^(٢).

وقال - أيضاً -: «فالمريض له أن يؤخر الصوم باتفاق المسلمين، وليس له أن يؤخر الصلاة باتفاق المسلمين»^(٣).

وجاء الأمر في القرآن الكريم بإقامة الصلاة وليس بالصلاة فقط:

قال الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ﴾ [هود: ١١٤].

وقال: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤].

وقال: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣].

وقال: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٨٣].

وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [النساء: ٧٧].

(١) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ص ٣٢١.

(٢) الفتاوى ٣٠/٢٢.

(٣) الفتاوى ٣١/٢٢.

وقال: ﴿فَإِذَا أَطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [النساء: ١٠٣].

وقال: ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْهُمُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾

[الأنعام: ٧٢].

وقال: ﴿وَأَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٨٧].

وقال: ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ﴾ [الحج: ٧٨].

وقال: ﴿فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [المجادلة: ١٣].

وقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُضِدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصِيَهُ فَبَاتَ عَلَيْكَ فَاذْرُوهَا مَا يَتَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضًا وَأُخْرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَلْتَمِتُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَأُخْرُونَ يَكْفِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاذْرُوهَا مَا يَتَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِن خَيْرٍ نَّحْدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا لِلَّذِينَ يَدِينُونَ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المزمل: ٢٠].

وقال: ﴿وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وأكثر من ذلك فإنه لم يرد في القرآن الكريم ذكر الصلاة - غالباً - إلا مقترنة بلفظ الإقامة أو ما اشتق منها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ [البقرة: ٣].

وقوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾ [النساء: ١٦٢].

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾

[الأعراف: ١٧٠].

وقوله: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ [إبراهيم: ٤٠].

وقوله: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَقِمْتَ طَائِفَةً مِنْهُمْ مَعَكَ﴾

[النساء: ١٠٢].

وقوله: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى﴾ [النساء: ١٤٢].

وقوله: ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ مُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [التوبة: ٧١].

وقوله: ﴿رِجَالٌ لَا لُئْلِيهِمْ هَجْرَةٌ وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَابِ الصَّلَاةِ﴾ [النور: ٣٧].

وإذا أطلق لفظ الإقامة في القرآن الكريم فإنه يراد به الصلاة، من ذلك قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرَّمْلُ ﴿١﴾ فُرُّ أَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾﴾ [المزمل: ١، ٢].

قال ابن كثير - يرحمه الله -: «... يأمر تعالى رسوله ﷺ أن يترك التزمل وهو التغطي في الليل وينهض إلى القيام لربه ﷻ... وكذلك كان رسول الله ﷺ ممتلاً ما أمره الله به من قيام الليل...»^(١).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي أَيْلٍ وَصَفَرًا وَثُلُثَهُ﴾ [المزمل: ٢٠]. وقوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [الطور: ٤٨]. قال الضحاك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أي إلى الصلاة»^(٢). وقوله: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾ [التوبة: ١٠٨]. وقوله: ﴿الَّذِي يَرَبُّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٣١٨﴾﴾ [الشعراء: ٢١٨]. ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

المراد بإقامة الصلاة:

والمراد بإقامتها: إتمام قراءتها وإتمام ركوعها، وإتمام سجودها، وحضور القلب فيها وكل ذلك في خشوع وخضوع لله رب العالمين.

قال الضحاك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا «إقامة الصلاة إتمام الركوع والتلاوة والخشوع والإقبال عليها».

وقال قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إقامة الصلاة المحافظة على مواقيتها ووضوئها وركوعها وسجودها وتلاوة القرآن فيها والتشهد والصلاة على النبي ﷺ فيها»^(٣). والخشوع في الصلاة إنما يحصل لمن فرغ قلبه لها، واشتغل بها عما سواها، وآثرها على غيرها، وحينئذ تكون الصلاة راحة لبدنه، وقرة لعينه، وطمأنينة لفؤاده وسكينة لقلبه كما قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «حُبِّبَ إِلَيَّ الطَّيِّبُ وَالنِّسَاءُ، وَجَعَلْتُ قَرَّةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»^(٤).

(١) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ص ١٤٥٤.

(٢) انظر: المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ص ١٣٢٥.

(٣) انظر: المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ص ٣٣.

(٤) رواه أحمد (١٩٩١٣)، والنسائي ٦١/٧، ٦٢.

وكثير من الناس - إلا من رحم الله - لا يحققون الصلاة بهذا المفهوم فإذا دخل المرء في الصلاة أقبل عليه الشيطان بخيله ورجله وأخذ يوسوس له، ويصرفه عن الصلاة ويشغله بأمور الدنيا، ويجعله يكثر من الحركة والالتفات حتى أنه لم يعقل من صلاته شيئاً، فالمصلون كثير والمقيمون قليل، وكما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «الحاج قليل والركب كثير».

وهذا أمر خطير يثن منه كثير من المصلين، ونحن نوصي أنفسنا ونوصيك أيها القارئ الكريم الحبيب بأن يجاهد كل منا نفسه حتى يتخلص من هذا الأمر، ويحقق إقامة الصلاة كي يتحقق لنا جميعاً الفلاح والفوز والسعادة في الدارين. قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ [المؤمنون: ١، ٢].

ولأبي حامد الغزالي رحمته الله كلام طيب يساعد على الخشوع في الصلاة فاقراه - يرحمك الله - بتدبر وإمعان، يقول:

«... اعلم أن الصلاة إنما هي ذكر وقراءة ومناجاة ومحاوراة، وذلك لا يكون إلا بحضور القلب، وتمامه يحصل بالتفهم والتعظيم والهيبة والرجاء والحياء، وعلى الجملة كلما ازداد العلم بالله زادت الخشية وحصل الحضور، فإذا سمعت المؤذن ينبغي أن تستحضر القلب هول النداء يوم القيامة، وتشمر بظاهرك وباطنك للإجابة والمسارعة، فإن المسارعين إلى هذا النداء هم الذين ينادون باللطف يوم العرض الأكبر، فإن وجدت قلبك مملوءاً بالفرح والاستبشار ومشغولاً إلى الابتدار فسيكون ذلك في ذلك النداء، ولذا قال عليه الصلاة والسلام: «أرحنا بها يا بلال» إذ كانت قرّة عينه في الصلاة.

فالطهارة طهارة السرّ عما سوى الله، فيها تتم هذه الصلاة، فإنك إن سترت العورة بالثياب فما الذي يستر عورتك في الباطن عن الله؟ فتأدب بين يدي الله، واعلم أنه يطلع على سرّك فتواضع بظاهرك وباطنك وانظر لو قمت بين يدي الملك كيف تكون؟

ولا نسبة بينه تعالى وبين الملوك، والكل عبده، فإذا فعلت ذلك فلا تكون كاذباً في قولك: «وجهت وجهي» وفي قولك: «حنيفاً مسلماً وما أنا من

المشركين» وقولك: «إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين». فانظر فلا ينبغي أن يكون هذا كذباً فيكون سبب هلاكك، وينبغي أن تذكر كبرياء الله وعظمته عند ركوعك وسجودك، وتعلم ذلك بصغارك، والله برحمته أهلك لمناجاته فلا أقل من التأدب والحضور بقلبك بين يديه. قال ﷺ: «إن الله يقبل على المصلي ما لم يلتفت» فاحفظ ظاهره وباطنه عن الالتفات قال عليه الصلاة والسلام: «إن العبد ليصلي ولا يكتب له من صلاته لا نصفها ولا ثلثها ولا ربعها ولا خمسها ولا سدسها ولا عشرها، وإنما يكتب للرجل من صلاته ما عقل منها».

وقال بعضهم: إن العبد يسجد السجدة، وعنده أنه تقرب بها إلى الله تعالى ولو قسمت ذنوبه في سجده على أهل مدينته لهلكوا، قيل: وكيف ذلك؟

قال: يكون ساجداً عند الله تعالى وقلبه مُصْغٍ إلى هوى، ومشاهد لباطل قد استولى عليه...»^(١).

فاستحضر القلب، والتدبر في القراءة، وتذكر عظمة الله وكبريائه، يساعد على ترك الانشغال في الصلاة وترك الالتفات وترك الحركة فيها، ويجلب الخشوع والخضوع والطمأنينة في الصلاة.



(١) المرشد الأمين من إحياء علوم الدين ص ٣٤، ٣٥.

من فوائد الصلاة

للصلاة فوائد كثيرة، وفضائل جليلة، نذكر منها - بإيجاز واختصار:

١ - النهي عن الفحشاء والمنكر:

لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن فلاناً يصلي بالليل، فإذا أصبح سرق، فقال: «إنه سينهاه ما تقول»^(١).

وقال أبو العالية: «إن الصلاة فيها ثلاث خصال، فكل صلاة لا يكون فيها شيء من هذه الخصال فليست بصلاة: الإخلاص، والخشية، وذكر الله؛ فالإخلاص يأمره بالمعروف، والخشية تنهاه عن المنكر، وذكر الله يأمره وينهاه»^(٢).

وقال ابن عوف الأنصاري: «إذا كنت في صلاة، فأنت في معروف، وقد حجزتك عن الفحشاء والمنكر»^(٣).

٢ - البسطة في الرزق والزيادة في الفضل:

لقوله تعالى: ﴿فِي يُؤْتِي أذنَ اللَّهِ أَن تَرْفَعَ وَيُذَكِّرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْعُدْوِ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَبِزِيدِهِمْ مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾﴾ [النور: ٣٦ - ٣٨].

(١) مسند أحمد ٢/٤٤٧.

(٢) المصباح المنير في تفسير ابن كثير ص ١٠٤٢.

(٣) السابق ص ١٠٤٢.

ولقوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُؤْفِقَهُمُ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾ [فاطر: ٢٩، ٣٠].

٣ - مغفرة الذنوب وتكفير السيئات:

لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِن أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾﴾ [المائدة: ١٢].

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خمس صلوات افترضهن الله، من أحسن وضوءهن وجاء بهن لوقتهن وأتم ركوعهن وخشوعهن كان له على الله عهد أن يغفر له، وإن لم يفعل فليس له على الله عهد، إن شاء غفر له وإن شاء عذبه»^(١).

ولقوله عليه الصلاة والسلام أيضاً: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتبت الكبائر»^(٢).

وحديث عثمان رضي الله عنه في صحيح مسلم: «ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم يأت كبيرة وذلك الدهر كله»^(٣).

وقال ﷺ: «أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا»^(٤).

(١) رواه أبو داود.

(٢) صحيح مسلم ٢٠٩/١.

(٣) مختصر شعب الإيمان ص ٥٥.

(٤) صحيح البخاري ١٣٤/١، وصحيح مسلم ٤٦٢/١.

وهذا يدعوك أخي الحبيب إلى المحافظة على الصلاة في أوقاتها بخشوع وخضوع لله رب العالمين، حتى يغفر الله لك ذنبك، ويمحو خطأك، ويرفع عنك وزرك، وما أحوجنا لهذا فكل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون.

٤ - الفوز بالجنة:

لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِعَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعَمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: ٢٢ - ٢٤].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قَرَّةٍ أَعْيَنَ جَزَاءً لِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٥ - ١٧].

وفي الجنة نعيم مقيم ففيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. وقد وصف ابن القيم رحمته الله بعض نعيمها في نونيته المشهورة فقال:

يا خاطب الحور الحسان وطالبا	لو صالهن بجنة الحيوان
لو كنت تدري من خطبت ومن طلبت	بذلت ما تحوي من الأثمان
أو كنت تدري أين مسكنها جعلت	السعي منك لها على الأجفان
ولو وصفت طريق مسكنها فإن	رمت الوصال فلا تكن بالواني
أسرع وحث السير جهدك إنما	مسراك هذا ساعة لزمان ^(١)
ثم قال:	

هي جنة طابت وطاب نعيمها	فنعيمها باق وليس بفان
دار السلام وجنة المأوى ومنزل	عسكر الإيمان والقرآن

(١) شرح القصيدة النونية ٣٠١/٢.

فالدار دار سلامة وخطابهم فيها سلام واسم ذي الغفران^(١)
 نسأل الله أن يجعلنا وإياك والمسلمين من الذين يقال لهم ﴿أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ
 أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾ [الزخرف: ٧٠].
 ولهذا وغيره الكثير كانت الصلاة على وقتها من أحب الأعمال إلى الله
 تعالى كما قال سيدنا محمد ﷺ.

ثانياً: بر الوالدين:

من مبادئ الإسلام السامية «مبادلة الإحسان بالإحسان» قال الله تعالى:
 ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ [الرحمن: ٦٠].
 انطلاقاً من هذا المبدأ الكريم حث الآيات القرآنية والأحاديث النبوية
 الأولاد على الوفاء لوالديهم والاعتراف بفضلهم والبر بهم ورغبت في ذلك.
 وبر الوالدين معناه التوسع في الإحسان إليهما وذلك بطاعتها وإكرامهما
 والتواضع لهما والشفقة عليهما والتلطف بهما بأن يقول لهما قولاً حسناً
 وكلاماً طيباً مقروناً بالاحترام والتعظيم.
 فعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: أتى رجل النبي ﷺ ومعه شيخ،
 فقال النبي ﷺ: «من معك؟ فقال: أبي، قال: لا تمش أمامه، ولا تقعد قبله،
 ولا تدعه باسمه، ولا تستسب له^(٢)»^(٣).

(١) شرح القصيدة النونية ٣٠٥/٢.

(٢) معنى لا تستسب له: لا تكن سبباً في سبه.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في المصنف ١٣٨/١١ رقم الحديث (٢٠١٣٤)، والبخاري في
 الأدب المفرد ص ٤٤، والدارقطني في العلل ٨٦/٥، وابن السني في عمل اليوم
 والليلة ص ٣٩٥ من حديث أبي هريرة، وضَعَفَ إسناده محقق الكتاب بشير محمد
 عيون، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٥٥/٨ رقم (١٣٣٩٦) بعد ذكره للحديث:
 رواه الطبراني في الأوسط وقال: لا يروى عن النبي ﷺ إلا بهذا الإسناد عن شيخه
 علي بن سعيد بن بشير وهو لين، وقد نقل ابن دقيق العيد أنه وثقه، ومحمد بن
 عروة بن البرند لم أعرفه، وبقيه رجاله رجال الصحيح، وصححه الألباني في صحيح
 الأدب المفرد ص ٤٦ رقم (٣٢).

وقد قرن الله سبحانه برَّ الوالدين بعبادته لبيان حقهما على الولد إذ أنهما السبب الظاهر لوجوده في الحياة الدنيا قال الله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء: ٣٦]. وقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

كما قرن سبحانه شكرهما بشكره فقال: ﴿إِنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ﴾ [لقمان: ١٤].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاث لا تُقبل منها واحدة بغير قرينتها.

أحداها: قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [المائدة: ٩٢]. فمن أطاع الله ولم يطع الرسول لم يقبل منه.

الثانية: قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣]. فمن صلى ولم يزك لم يقبل منه.

الثالثة: قوله تعالى: ﴿إِنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ [لقمان: ١٤] فمن شكر الله ولم يشكر لوالديه لم يقبل منه^(١)

والحق تبارك وتعالى أمر الأولاد بالبر بوالديهم، والرفق بهم، وخفض الجناح لهم، ولين القول والمؤانسة، والرحمة والملاطفة، والدعاء لهم والصدقة عنهم، وهذه آيات الإسراء تحدد النهج الذي يجب اتباعه في معاملة الوالدين ومعاشرتهما والتوصية بهما وخصوصاً حين يضعفان ويمرضان ويكبران ويحتاجان إلى العناية والخدمة.

يقول تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُنْفِي وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ زُكْرًا أَعْلَمُ بِمَا فِي نَفْسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأُولَٰئِكَ عَفْوَراً ﴿٢٥﴾﴾ [الإسراء: ٢٣ - ٢٥].

(١) كتاب الكبائر ص ١٤٣.

فلو تدبر الأولاد هذه الآيات المحكمات وفهموا معانيها وعلموا أنهم سيجزون في كبرهم بما جازوا به آباءهم وأمهاتهم لما عقوهم ونهروهم .
والحياة دين ووفاء فمن برّ والديه برّه أبناؤه قال سيدنا رسول الله ﷺ :
«عفوا عن نساء الناس تعف نساؤكم، وبروا آباءكم تبركم أبناؤكم، ومن أتاه أخوه متنصلاً فليقبل ذلك محقاً كان أو مبطلاً، فإن لم يفعل لم يرد عليّ الحوض»^(١).

واعلموا أيها الأبناء أن الله قد جعل لكل من الوالدين باباً من الجنة يتفتح بالخير على الولد كلما خرج يسعى لهما، وتنزل عليه رحمة الله ما دام حريصاً على إرضائهما، فإن أغضب أحدهما غضب الله عليه وأغلق دونه باب الخير وإن كان الولد مظلوماً^(٢).

روى البخاري في الأدب المفرد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال أن رسول الله ﷺ قال: «ما من مسلم له والدان مسلمان يصبح إليهما محتسباً إلا فتح الله له بابين من الجنة وإن كان واحد فواحد، وإن أغضب أحدهما لم يرض الله عنه، قيل: وإن ظلماه، قال: وإن ظلماه»^(٣).



(١) القضاء يستعمل في اللغة على وجوه: فيكون بمعنى الأمر كقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] أي: أمر والنزم وأوجب، ويكون بمعنى الخلق كقوله تعالى: ﴿فَقَضَيْنَهُنَّ مِمَّا سَمَّيْتِ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ١٢] يعني: خلقهن، ويكون بمعنى الحكم كقوله تعالى: ﴿فَأَقِضْ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾ [طه: ٧٢] أي: احكم ما أنت تحكم، ويكون بمعنى الفراغ كقوله تعالى: ﴿قَضَىٰ الْأَمْرَ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ [يوسف: ٤١] أي: فرغ ويكون بمعنى الإرادة كقوله: ﴿وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧] أي: أراد. انظر المفردات في غريب القرآن ص ٤٠٦.

(٢) الترغيب والترهيب للإمام عبد العظيم بن عبد القوي المنذري ١٣٧/٣.

(٣) انظر: بر الوالدين للأستاذ عبد الرؤوف الحناوي ص ٢٤.

برّ الوالدين مقدم على الجهاد في سبيل الله

برّ الوالدين فرض عين على أولادهما، والجهاد فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الآخرين - إلا إذا غزى العدو بلاد المسلمين واغتصب أرضهم فإنه يصبح فرض عين، وفي هذه الحالة لا يجب على الولد أن يستأذنها.

وفرض العين مقدم على الكفاية، لذا قُدّم برّ الوالدين على الجهاد، والأحاديث في ذلك كثيرة تذكر منها:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يستأذنه في الجهاد، فقال: «أحي والداك؟ قال: نعم، قال: ففيهما فجاهد»^(١).

فمع عظم فضل الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية في أرجاء المعمورة فقد قدم الرسول صلى الله عليه وسلم برّ الوالدين وطاعتها عليه حيث قال للرجل: «ففيهما فجاهد» أي: ابذل غاية جهدك في خدمتهما، واعمل أقصى ما تستطيع لإرضائهما.

وعنه رضي الله عنه قال: أتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغي الأجر من الله، قال - أي: النبي صلى الله عليه وسلم -: «فهل من والديك أحد حي؟ قال: - أي الرجل -: نعم، بل كلاهما قال: أفتبتغي الأجر من الله؟ قال: نعم، قال: فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما»^(٢).

(١) الأدب المفرد ص ١٥.

(٢) رواه البخاري (٣٠٠٤) و(٥٩٧٢)، ومسلم (٢٥٤٩)، والإمام أحمد (٦٥٤٤)، والنسائي (٣١٠٣).

ما أحسن قول النبي ﷺ: «فأحسن صحبتهم!»! ففيه حث على برهما وطاقتهما والتلطف بهما وخفض الجناح لهما وهذا يعدل أجر المجاهد في سبيل الله.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: هاجر إلى رسول الله ﷺ رجل من اليمن، فقال له رسول الله ﷺ: «هجرت الشرك ولكنه الجهاد، هل باليمن أبواك؟ قال: نعم، قال: أذنا لك؟ قال: لا، فقال رسول الله ﷺ: ارجع إلى أبويك فإن فعلا وإلا فبرهما»^(١).

ومقتضى هذا الحديث أنه لا يجوز للأبناء أن يخرجوا للجهاد ولا للسفر ولا لغيرهما إلا بإذن الآباء والأمهات.

وهنا نوجه دعوة للشباب الذين غرر بهم وخُشيت عقولهم بآراء منحرفة، وأفكار غريبة، أن يقرأوا هذا الحديث ويعملوا به ويستأذنوا آباءهم وأمهاتهم قبل أن يخرجوا من بيوتهم لارتكاب أعمال التخريب والتفجير التي روّعت الأمنين وأفزعت المواطنين والمقيمين، وأزهقت أرواحاً، وأراقت دماءً، وأهدرت أموالاً، وخربت دياراً.

فإن آباءهم سوف يبينون لهم الطريق ويهدونهم سواء السبيل، ويوضحون لهم الحق من الباطل، ويأخذون على أيديهم حماية لأنفسهم أولاً ثم لوطنهم ثانياً.

فأول ذنب ارتكبه هؤلاء هو عقوق الوالدين، والعاق في النار، فعن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحزن والديه فقد عقهما»^(٢).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «بكاء الوالدين من العقوق»^(٣) وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة حرم الله تبارك وتعالى عليهم الجنة؛ مدمن الخمر، والعاق، والديوث الذي يُقرّ الخبث في أهله»^(٤).

وإذا كانت الجنة محرمة عليه فإن النار هي مصيره وبئس المصير.

(١) رواه مسلم (٢٥٤٩).

(٢) رواه أحمد بإسناد حسن، مجمع الزوائد ٨/١٣٧.

(٣) رواه أحمد بإسناد حسن، مجمع الزوائد ٨/١٣٧.

(٤) رواه البخاري في الأدب المفرد ص ٣١.

بِرِّ الوالدين مقدم على رضى الزوجة

حفظ الإسلام للزوجة حقوقها وصان لها كرامتها وأوجب على الرجل الإنفاق عليها، وأمره بحسن معاشرتها قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَمَسَّ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩].

وقال سيدنا رسول الله ﷺ: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي». قال ابن كثير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «... وكان من أخلاقه ﷺ أنه جميل العشرة، دائم البشر، يداعب أهله ويتلطف بهم، ويوسعهم نفقته، ويضاحك نساءه حتى إنه كان يسابق عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا يتودد إليها بذلك، قالت: سابقني رسول الله ﷺ فسبقته وذلك قبل أن أحمل اللحم، ثم سابقته بعد ما حملت اللحم فسبقني، فقال: «هذه بتلك»^(١)»^(٢).

ومع هذا فقد قُدِّمَ بِرُّ الوالدين على رضى الزوجة لما لهما من فضل على الولد، قال عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كانت تحتي امرأة، كنت أحبها، وكان عمر يكرهها، فقال لي: طلقها، فأبيت، فأتى عمرُ النبي ﷺ فذكر ذلك له،

(١) رواه الإمام أحمد (٥٣٧٢) و(٦١١٣) وقال محقق الموسوعة الحديثية ٢٦٩/١٠ رقم (٦١١٣): حديث صحيح، وهذا سند ضعيف لجهالة راويه عن سالم. اهـ. والبيزار (١٨٧٥) وقال: صحيح الإسناد، وصححه الألباني كما في صحيح الجامع ١/٥٨٥ رقم (٣٠٥٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٧٠/٨) رقم (١٣٤٣١): رواه أحمد وفيه راوٍ لم يسم.

(٢) رواه الإمام أحمد (٢٤٦١٩) وصححه محقق الموسوعة الحديثية ١٤٤/٤٠ حيث قال: إسناده صحيح على شرط الشيخين، ورواه أبو داود (٢٥٧٨)، والبيهقي في السنن ١٨/١٠، وابن حبان في صحيحه (٤٦٩١) وصححه محقق الكتاب: شعيب الأرنؤوط رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني كما في مشكاة المصابيح (٣٢٥١).

فقال النبي ﷺ: «طَلَّقَهَا»^(١).

ففي ذلك تقديم لبرّ الوالدين على الزوجة في أمر خطير ألا وهو طلاقها، وإنهاء حياتها معه، وإخراجها من عصمته، مع أنه يحبها ويريدها، وعلى العكس من ذلك سأذكر لك أيها القارئ الكريم قصة عجيبة من عصرنا الحاضر تبكي العين، وتُدمي الفؤاد، وتحزن القلب لما فيها من تفضيل للزوجة على الأم. وهذه القصة رواها الشيخ علي القرني عن أحد بائعي المجوهرات في محاضرة له بعنوان «كل يغدو».

يقول البائع للشيخ: «جاءني في أحد الأيام الأخيرة من شهر رمضان رجل وزوجته وأمه وابنه، وكانت الأم على حياءٍ ومعها ابن هذا الرجل، فوقفت به في جانب المحل، وجاءت زوجته وأخذت من الذهب ما يعادل العشرين ألف ريال، ثم تقدمت الأم وأخذت خاتماً واحداً من الذهب قيمته مائة ريال وعندما جاء الابن ليدفع الحساب دفع العشرين ألف ريال، فقلت: بقي مائة ريال، فقال الابن: لأي شيء؟ فقلت: لهذا الخاتم الذي أخذته أمك، فقال الابن: العجائز ليس لهن ذهب، وأخذ الخاتم من يدها ورماه على الطاولة، فما كان من الأم إلا أن تجرعت غصصها وأخذت ابنه بين يديها وخرجت إلى السيارة، فأنبته زوجته قائلة: لماذا فعلت ذلك؟ ستخرج أمك من عندنا، من سيمسك ابنا بعد ذلك؟ فأخذ الخاتم وذهب به إلى أمه، فقالت الأم: والله لن ألبس ذهباً ما حييت أبداً، ما كنت أريد سوى هذا الخاتم لأفرح به يوم العيد مع الناس، فقتلت هذه الفرحة في نفسي فسامحك الله^(٢). هذا الولد أبكى بفعلته هذه قلب أمه، ولو أدرك ما يحل به من الخسران والندامة في الدنيا والآخرة لأسعدها قبل أن يسعد زوجته ويرضيها.

وقد ذكرتُ هذه القصة بعد قصة عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ليتبين لنا الفرق بين البر والعقوق، ولأخذ العبرة والعظة، فالسعيد من سعد بغيره والشقي من شقي بنفسه.

(١) ابن كثير ص ٢٨٢.

(٢) رواه أبو داود والترمذي، رياض الصالحين ص ١٤٩.

بِرّ الوالدين بعد موتهما

من الوفاء أن لا ينسى الإنسان المعروف ولا يجحد الفضل، وفضل الآباء على الأبناء عظيم ولذلك لم تكتف آيات الإسراء بالأمر بالإحسان إلى الوالدين في الدنيا فحسب بل بعد موتهما أيضاً ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤]^(١).

وقد بينت السنة المطهرة الطرق التي يستطيع الإنسان أن يبرّ والديه بعد موتهما من خلالها، حدّث مالك بن ربيعة الساعدي رضي الله عنه قال: بينما أنا جالس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاء رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله هل بقي عليّ من برّ أبويّ شيء بعد موتهما أبرهما به؟ قال: «نعم خصال أربع: الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم التي لا رحم لك إلا من قبلهما، فهو الذي بقي عليك بعد موتهما»^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «رفع للميت بعد موته درجته فيقول: أي ربي أي شيء هذا؟ فيقول له: ولدك استغفر لك»^(٣).

فاستغفر أيها القارئ لوالديك أو لمن مات منهما وردد قائلاً: ﴿رَبِّ ارْحَمْنِي﴾ [الإسراء: ٢٤]، ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤] وأكثر من الدعاء لهما فلقد انقطع عملهما من الدنيا إلا من ثلاثة أنت واحد منها، قال سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا

(١) انظر: كتاب بر الوالدين وتحريم عقوقهما للشيخ غالب بن سليمان الحربي ص ٤٩، ٥٠.

(٢) رواه الإمام أحمد (١٦١٥٦)، وأبو داود (٥١٤٢)، وابن ماجه (٣٦٦٤)، والبخاري في الأدب المفرد ص ٣٥ وضعفه الألباني.

(٣) الأدب المفرد للبخاري باب (١٩) ص ٢٠، ٢١.

من ثلاثة: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له»^(١).
 فلا تبخل أخي على والديك بعد موتهما بالدعاء لهما والاستغفار،
 واستمطار الرحمة عليهما والرضوان، وتحري أوقات الاستجابة والغفران.
 ثم عليك أيضاً إنفاذ وصيتهما والصدقة عنهما، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن
 رجلاً قال: إن أمي توفيت ولم توص أفينفعها أن أتصدق عنها؟ قال: «نعم»^(٢).
 وعن سعد بن عباد رضي الله عنه قال: «قلت يا رسول الله إن أمي ماتت
 أفأتصدق عنها؟ قال: نعم، قلت: فأبي صدقة أفضل؟ قال: سقي الماء»^(٣).
 ولا يتوقف البر بهما عند الدعاء والاستغفار والصدقة بل يمتد أيضاً
 ليشمل أموراً أخرى كثيرة منها:

- قضاء النذر عنهما فلقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن سعد بن عباد
 استفتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن أمي ماتت وعليها نذر، فقال: «اقضه عنها»^(٤).
 ومنها قضاء الصوم عنهما، فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من
 مات وعليه صوم صام عنه وليه»^(٥).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إن
 أمي ماتت وعليها صوم شهر أفأقضيه عنها؟ قال: «نعم فدين الله أحق أن
 يقضى»^(٦).

(١) الأدب المفرد للبخاري باب (١٩) ص ٢١.

(٢) الأدب المفرد للبخاري باب (١٩) ص ٢١.

(٣) رواه الإمام أحمد (٢٢٨٢٦)، والنسائي (٣٦٦٤)، وأبو داود (١٦٨١)، وابن ماجه (٣٦٨٤)، وابن خزيمة في صحيحه (٢٤٩٧)، وابن حبان في صحيحه (٣٣٣٧) وحسنه الألباني.

(٤) أخرجه البخاري (٢٧٦١) و(٦٦٩٨) و(٦٩٥٩)، ومسلم (١٦٣٨)، والإمام أحمد في مسنده (١٨٩٣)، والنسائي (٣٦٥٧)، وأبو داود (٣٣٠٧)، والترمذي (١٥٤٦)، وابن ماجه (٢١٣٢).

(٥) رواه البخاري (١٩٥٢)، ومسلم (١١٤٧)، وأبو داود (٢٤٠٠).

(٦) أخرجه البخاري (١٩٥٣)، ومسلم (١١٤٨).

ومن ذلك أيضاً الحج عنهما فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: إن أُمِّي نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت، أفحج عنها؟ قال: «حجني عنها، أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته؟ اقضوا دين الله، فالله أحق بالوفاء»^(١)

- ومن ذلك صلة أصدقائهما: فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إن أبرَّ البرِّ أن يصل الرجل أهل وُدِّ أبيه»^(٢).

فمن قصر في بر والديه في حياتهما، وندم على ما فرط في حقهما وخاف عاقبة العقوق، فلا ييأس من روح الله ولا يقنط من رحمته، وليعلم أن باب الإحسان إليهما مفتوح على مصراعيه، فليدخل منه داعياً ومستغفراً لهما، وصائماً عنهما وحاجاً لهما وواصلاً أهل ودهما، وإنما يتقبل الله من المتقين.



(١) أخرجه البخاري (١٨٥٢).

(٢) الأدب المفرد، باب (٢٠) ص ٢١، ٢٢.

ثمرات بر الوالدين

لبرّ الوالدين ثمرات كثيرة منها:

* تفريج الكرب وذهاب الهموم والأحزان^(١):

قال رسول الله ﷺ: «بينما ثلاثة نفر يتماشون أخذهم المطر فمالوا إلى غار في الجبل فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فأطبقت عليهم، فقال بعضهم لبعض: انظروا أعمالاً عملتموها لله صالحه، فادعوا الله بها لعله يفرجها، فقال أحدهم: اللهم إنه كان لي والدان شيخان كبيران، ولي صبية صغار كنت أرعى عليهم فإذا رحمت عليهم فحلبت بدأت بوالديّ أسقيهما قبل ولدي، وإنه ناء بي الشجر فما أتيت حتى أمسيت فوجدتهما قد ناما، فحلبت كما كنت أحلب، فجئت بالحلاب فقممت عند رؤوسهما أكره أن أوقظهما من نومهما، وأكره أن أبدأ بالصبية قبلهما، والصبية يتضاغون عند قدمي. فلم يزل ذلك دأبي ودأبهم حتى طلع الفجر، فإن كنت تعلم أنني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج لنا فرجة نرى منها السماء ففرج الله فرجة فرأوا منها السماء؛ وقال الثاني: اللهم إنه كان لي ابنة عم أحبها كأشد ما يحب الرجال النساء، فطلبت إليها نفسها فأبت حتى آتيتها بمئة دينار، فسعيت حتى جمعت مئة دينار فلقيتها بها فلما قعدت بين رجلها قالت: يا عبد الله اتق الله ولا تفتح الخاتم، فقممت عنها. اللهم فإن كنت تعلم أنني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج لنا منها، ففرج لهم فرجة. وقال الآخر: اللهم إني كنت استأجرت أجيراً بفرق أرز، فلما قضى عمله قال: أعطني حقي فعرضت عليه حقه فتركه ورغب عنه، فلم أزل

(١) بر الوالدين ص ٣٠.

أزرعه حتى جمعت منه بقرأ وراعيها، فجاءني فقال: اتق الله ولا تظلمني وأعطني حقي، فقلت: اذهب إلى ذلك البقر وراعيها، فقال: اتق الله ولا تهزأ بي، فقلت: إني لا أهزأ بك فخذ ذلك البقر وراعيها فأخذه فانطلق بها، فإن كنت تعلم أنني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج ما بقي ففرج الله عنهم»^(١).

فبر الوالدين كما جاء على لسان الصادق المصدوق - في هذه القصة - المبلغ عن ربه الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى: سيدنا محمد ﷺ سبب في حلول الفرج إذا بلغت الشدة غايتها، وسبب في تيسير العسر إذا استحكمت عقده.

* الزيادة في العمر والبركة فيه:

قال رسول الله ﷺ: «من بر والديه طوبى له زاد الله في عمره»^(٢).
وقال أيضاً: «وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه، ولا يرد القدر إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر»^(٣).

فما أحلى الحياة إذا طال فيها العمر، وكثر فيها المال الحلال؛ وما أهنأ العيش إذا رافقته طمأنينة النفس وراحة الضمير ومحبة الناس.
ولك أخي أن تتأمل معي هذا الحديث الشريف الذي رواه أنس رضي الله عنه سيدنا رسول الله ﷺ حيث قال: «من سره أن يمد له في عمره، ويزاد له في رزقه فليبرّ والديه وليصل رحمه»^(٤).

* إجابة الدعوة:

فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يأتي

(١) صحيح البخاري ٤٧/٣.

(٢) الترغيب والترهيب ١٣٧/٣.

(٣) الترغيب والترهيب ١٣٧/٣.

(٤) أخرجه الإمام أحمد (١٣٨٤٧) قال محقق المسند: الموسوعة الحديثية ٣١٩/٢١ رقم الحديث (١٣٨١١): حديث صحيح، وهذا إسناد حسن من أجل ميمون بن سياه ومن دونه ثقات اهـ.

عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص، فبرأ منه إلا موضع درهم، له والدته هو بها برّ، لو أقسم على الله لأبره، فإن استطعت أن يستغفر لك الله فافعل»^(١).

فلأويس بن عامر فضل كبير، ومنزلة عالية عند الله تعالى، حتى أنه لو أقسم على الله لأبر الله قسمه، وذلك لبره بأمه وإكرامه لها.

* مغفرة الذنوب وقبول التوبة:

روي عن يحيى بن أبي بكر، قال: لما قدم أبو موسى الأشعري وأبو عامر على رسول الله ﷺ وأسلما، قال: «ما فعلت امرأة منكم تدعى كذا وكذا؟ قالوا: تركناها في أهلها، قال: فإنه قد عُفِرَ لها، قالوا: بما يا رسول الله؟ قال: كانت لها أم عجوز كبيرة، فجاءها النذير، إن العدو يريد أن يغير عليكم، فجعلت تحملها على ظهرها، فإذا أعت وضعتها ثم ألزقت بطنها بطن أمها، وجعلت رجلها تحت رجلي أمها من الرمضاء حتى نجت»^(٢).

* قبول الأعمال ودخول الجنة:

في سورة الأحقاف آيات تحدثت عن صنف من الناس عرف حق الله تعالى عليه فشكره، وعرف حقَّ والديه فأحسن إليهما وأطاع أمرهما، واجتهد في برهما، وعرف حق ذريته فأحسن تربيتهما ودعا لها بالإصلاح والتوفيق، وسأل الله تعالى التوبة والمغفرة، فتقبل الله عمله، وغفر له ذنبه، ووعدته بالجنة، قال الله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ تَقْبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا

(١) أخرجه مسلم (٢٥٤٢).

(٢) رواه عبد الرزاق في المصنف، والبيهقي في شعب الإيمان. انظر: كتاب بر الوالدين ص ٨٢.

وَنَجَّوْزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَّ الصَّدِيقَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾
[الأحقاف: ١٥، ١٦].

وهكذا فليكن الأبناء: حباً للآباء، وبراً بهم، واعتراف بفضلهم، وطاعة لهم، وتقديمهم على النفس والأهل والولد، خفض الجناح لهم، ولين الكلام معهم، ثم الدعاء والاستغفار لهم بعد وفاتهم.

وأختم هذا الموضوع بأبيات تبين حقوق الأم وفضلها، يقول الشاعر:

لأمك حق لو علمت كبير	كثيرك يا هذا لديه يسير
فكم ليلة باتت بثقلك تشتكي	لها من جواها أنة وزفير
وفي الوضع لو تدري عليها مشقة	فمن غصص منها الفؤاد يطير
فكم غسلت عنك اللأذى بيمينها	وما حجرها إلا لديك سرير
وتفديك مما تشتكيه بنفسها	ومن ثديها شرب لديك نمير
وكم مرة جاعت وأعطتك قوتها	حنواً وإشفاقاً وأنت صغير
فآه لذي عقل ويتبع الهوى	وآه لأعمى القلب وهو بصير
فدونك فارغب في عميم دعائها	فأنت لما تدعو إليه فقير ^(١)



(١) حقوق الآباء على الأبناء، طه عبد الله العفيفي ص ٢٩ - ٣٠.

ثالثاً: الجهاد في سبيل الله

عمّت الدعوة الإسلامية أرجاء المعمورة بسبب الجهاد الذي بذله المسلمون لإعلاء كلمة الله ونشر دينه، وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ظلمات الكفر إلى نور الإسلام.

ولولا الجهاد لانهصر الإسلام في تلك البقعة الصغيرة التي انطلق منها، ولاندثرت معالم هذا الدين في فترة وجيزة من الزمن.

والجهاد هو بذل الجهد والطاقة والنفس والمال في محاربة العدو، فمادة الكلمة (ج ه د) تدل في اللغة على: الطاقة والمشقة والوسع والقتال^(١).

وهو من أحب الأعمال إلى الله، وأفضل القربات إليه سبحانه، وهو ماض إلى يوم القيامة؛ نصرة لدين الله، وحماية لحوزته، وذوداً عن حياضه، وحفاظاً على عزة أمته، ودحضاً للباطل وأهله، ولذلك رفع الله شأن الجهاد في الإسلام ووعده أهله المنازل العالية والأجر العظيم.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَدِّلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِيَعْيِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ [التوبة: ١١١].

قال القرطبي رحمته الله: «... أصل الشراء بين الخلق أن يعوضوا عما خرج من أيديهم ما كان أنفع لهم أو مثل ما خرج عنهم في النفع، فاشترى الله سبحانه من العباد إتلافهم أنفسهم وأموالهم في طاعته، وإهلاكها في مرضاته، وأعطاهم سبحانه عوضاً عنها الجنة إذا فعلوا ذلك، وهو عوض عظيم لا يدانيه

(١) انظر: المفردات للراغب ص ٩٩، وبدائع الصنائع للكاساني ٤٢٩/١٩.

عوض ولا يقاس به..»^(١)

والجهد تجارة رابحة مع الله، قال تعالى: ﴿بَنَائِبًا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُكُرُ عَلَىٰ
تِجَارَةٍ تُجِيزُكَ مِنْ عَدَابِ إِلِيمِ ۝ (١٠) تُوْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَرَسُوْلِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيْلِ اللّٰهِ بِاَمْوَالِكُمْ وَاَنْفُسِكُمْ
ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ اِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُوْنَ ۝ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوْبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهَارُ
وَمَسْكِنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيْمُ ۝ (١٢) وَاٰخَرٰى يُحِبُّوْنَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللّٰهِ وَفَتْحٌ قَرِيْبٌ
وَيَنْصُرِ الْمُؤْمِنِيْنَ ۝ (١٣)﴾ [الصف: ١٠ - ١٣].

فأرس مال هذه التجارة هو الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيل الله
بالأموال والأنفس. وربحها مغفرة الذنوب، ودخول الجنة، وبشارة بالنصر
على الأعداء.

وهو أفضل عند الله من عمارة المسجد الحرام وسقاية الحجاج فيه، قال
تعالى: ﴿أَجْمَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْمَكْرَمِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ
فِي سَبِيْلِ اللّٰهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللّٰهِ وَاللّٰهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظّٰلِمِيْنَ ۝ (١٩) الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا
وَجَاهَدُوا فِي سَبِيْلِ اللّٰهِ بِاَمْوَالِهِمْ وَاَنْفُسِهِمْ اَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللّٰهِ وَاُولٰٓئِكَ هُمُ الْفٰزِيْنَ ۝ (٢٠)﴾
[التوبة: ١٩، ٢٠].

قال ابن القيم رحمته الله: «أخبر عليه السلام أنه لا يستوى عنده عمار المسجد
الحرام، وهم عماره بالاعتكاف والطواف والصلاة، هذه هي عمارة مساجده
المذكورة في القرآن، وأهل سقاية الحاج، لا يستوون هم وأهل الجهاد في
سبيل الله، وأخبر أن المؤمنين المجاهدين أعظم درجة عنده، وأنهم هم
الفايزون، وأنهم أهل البشارة بالرحمة والرضوان والجنات، فنفي التسوية بين
المجاهدين وعمار المسجد الحرام مع أنواع العبادة، مع ثنائها على عماره بقوله
تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْزَمُ مَسْجِدَ اللّٰهِ مَن ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلٰوةَ وَاَتَى
الرَّكُوْعَةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا اللّٰهُ فَعَسَىٰ اُوْلٰٓئِكَ اَنْ يَكُوْنُوْا مِنَ الْمُهْتَدِيْنَ ۝ (١٨)﴾
[التوبة: ١٨]^(٢).

(١) أحكام القرآن ٢٦٧/٨.

(٢) انظر: منهاج المسلم للشيخ أبي بكر الجزائري ص ٣٥٠.

فهؤلاء هم عمار المساجد، ومع هذا فأهل الجهاد أرفع درجة عند الله منهم^(١).

والشهداء عند الله أحياء غير أموات، فرحين بما آتاهم ربهم من العطايا والبهات، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤].

وقال سبحانه: ﴿وَلَكِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٧].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَاقِبُونَ﴾ [البقرة: ١٦٩] فرحين بما آتاهم الله من فضله، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ [آل عمران: ١٦٩، ١٧٠].

كما رويت عن الرسول الكريم ﷺ أحاديث كثيرة تبين فضل الجهاد ومنزلة الشهداء عند الله وما أعد لهم من نعيم مقيم، وخير كثير، ودرجات عالية ومنازل رفيعة، نذكر منها:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من آمن بالله ورسوله، وأقام الصلاة، وصام رمضان، كان حقاً على الله أن يدخله الجنة جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها، قالوا: يا رسول الله أفلا نبشر الناس؟ قال: إن في الجنة مائة درجة أعدتها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألت الله فسألوه الفردوس فإنها أوسط الجنة وأعلى الجنة»^(٢).

ففي الحديث بيان درجات المجاهدين التي لا ينالها غيرهم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «انتدب الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا إيمان بي وتصديق برسلي أن أرجعه بما نال من أجر أو غنيمة أو ادخله الجنة، ولولا أن أشق على أمتي ما قعدت خلف سرية، ولوددت أني أقتل

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين ص ٦٢٣، طبع الشؤون الدينية في قطر.

(٢) صحيح البخاري رقم (٢٧٩٠)، وفتح الباري ١١/٦.

في سبيل الله ثم أحياناً ثم أحياناً ثم أقتل ثم أقتل»^(١).

فالمجاهد رابح على كل حال، انتصر على عدوه فعاد إلى بيته غانماً مأجوراً، أو استشهد فإنه يدخل الجنة، ولا يتمنى أحد غير الشهيد أن يحييه الله ويخرجه من الجنة ليعود إلى الدنيا ليقاتل في سبيل الله مراراً، لما رأى من الخير العظيم المترتب على الشهادة في سبيل الله.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد، يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة»^(٢).

بل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحب المقام المحمود، والحوض المورّد، والفردوس الأعلى، يتمنى أن يقتل ثم يحيا ثم يقتل في سبيل الله حباً في كرامة الشهداء عند الله.

وعن نعيم بن همار الغطفاني رضي الله عنه أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم أي الشهداء أفضل؟ قال: «الذين إن يلقوا في الصف لا يلفتون وجوههم حتى يقتلوا، أولئك ينطلقون في الغرف العلى في الجنة، ويضحك إليهم ربهم، وإذا ضحك ربك إلى عبد في الدنيا فلا حساب عليه»^(٣).



(١) صحيح البخاري رقم (٣٦)، وفتح الباري ١/٩٢.

(٢) صحيح البخاري رقم (٢٨١٧)، وفتح الباري ٦/٣٢.

(٣) مسند أحمد ٥/٢٨٧.

حكم الجهاد

الجهاد إما فرض كفاية وإما فرض عين:

أ - فرض كفاية: إذا قام به البعض سقط عن الباقيين وإلا أثم الجميع بتركه، قال السرخسي رحمته الله:

«... ونوع هو فرض على الكفاية، إذا قام به البعض سقط عن الباقيين لحصول المقصود، وهو كسر شوكة المشركين وإعزاز الدين»^(١).

قال مصطفى السيوطي: «... وشرعاً: قتال الكفار، وهو فرض كفاية إذا قام به من يكفي سقط وجوبه عن غيرهم، وإلا أثم الناس كلهم»^(٢).

ب - فرض عين: على جميع المسلمين وذلك إذا غزا العدو بلاد المسلمين واعتدى على حرمتهم ومقدساتهم - كما هو الحال الآن - فيجب على كل مسلم أن يهب للدفاع عن أرضه ومقدساته بدمه وماله فمن لم يستطع الجهاد بنفسه فعليه التبرع بماله تدعيماً للمحاربين، ومن لم يقدم كل ما يستطيع تقديمه للجهاد والمجاهدين يكون أثماً لتخلفه عن واجب الجهاد، يقول تعالى:

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتَقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْأَخْرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْأَخْرَةِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٣٨﴾ إِلَّا نَفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبَدِّلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [التوبة: ٣٨، ٣٩].

ويقول تعالى: ﴿لَا يَسْتَفْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾﴾ إِنَّمَا يَسْتَفْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ

(١) المبسوط ٣٠/١٠.

(٢) مطالب أولي النهى ٤٩٧/٢.

يَاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَزْنَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ [التوبة: ٤٤، ٤٥].
وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «جاهدوا المشركين
بأموالكم وأنفسكم»^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من مات ولم يغز ولم
يحدث نفسه بالغزو، مات على شعبة من نفاق»^(٢).

فالجهاد واجب يا عباد الله على جميع المسلمين اليوم لكن ذلك
بشروط. قال الشيخ محمد بن عثيمين رحمته الله: «لا بد فيه - أي في الجهاد - من
شرط وهو أن يكون عند المسلمين قدرة وقوة يستطيعون بها القتال، فإن لم
يكن لديهم قدرة فإن إقحام أنفسهم في القتال إلقاء بأنفسهم إلى التهلكة، ولهذا
لم يجب الله صلى الله عليه وسلم على المسلمين القتال وهم في مكة؛ لأنهم عاجزون ضعفاء
فلما هاجروا إلى المدينة وكونوا الدولة الإسلامية وصار لهم الشوكة أمروا
بالقتال، وعلى هذا فلا بد من هذا الشرط...»^(٣).

وقال الشيخ صالح الفوزان - حفظه الله -: «... أما أهل السنّة
فيقولون: لا بد من راية ولا بد من إمام هذا منهج المسلمين من عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالذي يفتي بأنه لا إمام ولا راية، وكل يتبع هواه، هذا رأي
الخوارج»^(٤).

وهذه الشروط لا تكون إلا في جهاد الطلب والغزو. قال الشيخ صالح
الفوزان - حفظه الله - في هذا: «... أما قتال الطلب والغزو فهذا لا يكون
إلا إذا توفرت مقوماته...»^(٥).

أما جهاد الدفاع فلا يشترط فيه شروط، بل يخرج الولد من غير إذن
والديه، والمرأة من غير إذن زوجها، كما هو الحال في بعض ديار المسلمين،

(١) أخرجه أبو داود رقم (٢٥٠٤)، والدارمي (٢٤٣١) أحمد (١٢٢٦٨).

(٢) صحيح مسلم ٣/١٥٧.

(٣) الفتاوى الشرعية في القضايا العصرية، جمع الأستاذ محمد بن فهد الحصين ص ١٠٦.

(٤) الفتاوى الشرعية في القضايا العصرية ص ١٠٩.

(٥) الفتاوى الشرعية في القضايا العصرية ص ١١١.

فإن أهل هذه البلاد يهبون للدفاع عن بلادهم وأرواحهم وأعراضهم بدون إذن وبدون أمير وبدون راية، وإن وجدت الراية والأمير فذلك أحسن وأولى لدحر العدو عن ديار المسلمين.

قال شيخنا ابن عثيمين رحمته الله: «... إذا حصر العدو بلدة صار الجهاد واجباً؛ لأنه جهاد دفاع؛ لأن العدو إذا حصر البلد معناه أن أهلها يكونون عرضة للهلاك... فيجب الدفاع ما دام عندهم ما يمكن أن يدافعوا به يجب أن يدافعوا»^(١).

ويجب على البلاد المجاورة لهم نصرتهم ومساعدتهم بكل ما يملكون تحقيقاً للأخوة الإسلامية ومبدأ التناصر ﴿وَإِنْ أَسْتَضَرُّوكُمْ فِي الَّذِينَ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ﴾ [الأنفال: ٧٢]. ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

فتناصروا أيها المؤمنون واتحدوا: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفُرَ بِأَسِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بِأَسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ [النساء: ٨٤].



(١) الفتاوى الشرعية في القضايا العصرية ص ١٠٤.

كلمة حق عند سلطان جائر

يقوم النبي ﷺ: «أحب الجهاد إلى الله كلمة حق تقال لإمام جائر»^(١).
 عُنت الشريعة الإسلامية بولاية الأمر عناية فائقة، وأكدت على حقوقهم
 تأكيداً عظيماً، وجعلت طاعتهم أمراً واجباً على الرعية في حدود ما شرع الله.
 يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾
 [النساء: ٥٩] و«أولو الأمر» كما قال المفسرون هم الحكام والعلماء.

وروى الشيخان عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: «دعانا رسول الله ﷺ
 فبايعناه فكان فيما أخذ علينا أن بايعناه على السمع والطاعة في منشطنا
 ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا، وألا ننازع الأمر أهله ما لم نر كفراً
 بواحد لنا فيه من الله برهان»^(٢).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «على المرء المسلم السمع
 والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا
 طاعة»^(٣).

فللحاكم على الرعية حق السمع والطاعة؛ لأنه يحمل همهم، ويقودهم
 إلى الحق، ويحفظ حقوقهم، ويدافع عن حرمتهم.
 وله - أيضاً - عليهم حق النصح والتذكير؛ لأن الحاكم غير معصوم من
 الخطأ والزلل. وهذا واجب العلماء الربانيين دون شقٍ لعصا الطاعة، أو إثارة
 لفتنة، أو دعوة إلى طائفية أو حزبية لغير الحق.

(١) رواه أحمد (٢٢٢١٢) وحسنه الألباني.

(٢) متفق عليه انظر: فتح الباري ٥/١٣، ٦، وشرح النووي لصحيح مسلم ١٢/٢٢٨.

(٣) رواه البخاري رقم (٧١٤٤).

وقد كان مشاهير علماء السلف - رضوان الله عليهم - يقومون بالنصيحة لأئمة المسلمين وحكامهم؛ لأن هداية الحاكم من أعظم الخير، وأجل ثمرات الجهاد؛ إذ بصلاحه صلاح البلاد وأحوال العباد.

يقول الإمام مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «حق على كل مسلم جعل الله في صدره شيئاً من العلم والفقه، أن يدخل على ذي سلطان يأمره بالخير وينهاه عن الشر ويعظه»^(١).

ومن أمثلة ذلك:

دخل عطاء بن أبي رباح على عبد الملك بن مروان - وهو جالس على سريرة - وحوله الأشراف من كل بطن - وذلك في مكة في وقت حجه في خلافته فلما بصر به، قام وأجلسه معه على السرير وقعد بين يديه وقال له:

«يا أبا محمد ما حاجتك؟ فقال: يا أمير المؤمنين اتق الله في حرم الله وحرم رسوله فتعاهدهما بالعمارة، واتق الله في أولاد المهاجرين والأنصار، فإنك بهم جلست هذا المجلس، واتق الله في أهل الشغور فإنهم حصن المسلمين، وتفقد أمور المسلمين فإنك وحدك المسؤول عنهم، واتق الله فيمن على بابك فلا تغفل عنهم، ولا تغلق بابك دونهم.

فقال له: أجل أفعل. ثم نهض، فقبض عليه عبد الملك، فقال: يا أبا محمد إنما سألتنا حاجة لغيرك، وقد قضيناها، فما حاجتك أنت؟ قال: مالي إلى مخلوق حاجة، ثم انصرف.

فقال عبد الملك: هذا - وأبيك - الشرف»^(٢).

• وبعث الحجاج إلى الحسن البصري، فلما دخل عليه قال: «أنت الذي تقول: قاتلهم الله، قتلوا عباد الله على الدينار والدرهم؟ قال: نعم.

قال: ما حملك على هذا؟ قال: ما أخذ الله على العلماء من المواثيق: ليبينته للناس ولا يكتمونونه. قال: يا حسن أمسك عليك لسانك، وإياك أن

(١) المهذب من إحياء علوم الدين ١/٤٨١.

(٢) نفسه ١/٤٨٢.

يلغني عنك ما أكره فأفرق بين رأسك وجسدك»^(١).

وهكذا، فجهر العلماء بالحق أمام الحكام ومناصحتهم سرّاً وتضحيتهم في سبيل ذلك بأرواحهم، وعدم خشيتهم في الله لومة لائم، من أحب الجهاد إلى الله تعالى كما قال النبي ﷺ والحاكم الصالح لا بد أن يستجيب لهؤلاء ما دامت نصيحتهم خالصة وحسب الضوابط الشرعية، وليس وراءها مطامع شخصية، وهذا دأب العلماء والحكام قديماً وحديثاً، ولقد كان لشيخنا العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمته الله منهجاً متميزاً في مناصحة الحكام وملاطفتهم ودلالتهم على الخير، ولذا تحقق على يده خير عظيم للبلاد والعباد داخل بلادنا وخارجها فرحمه الله رحمة واسعة^(٢).



(١) نفسه ٤٨٣/١.

(٢) عقدت مبحثاً خاصاً لهذا الأمر في ترجمة الشيخ ضمن كتاب لقاءاتي مع الشيخين (الطيّار).

المدائمة على الطاعات

من أحب الأعمال إلى الله المدائمة على الطاعات، جاء في صحيح مسلم: حدثنا ابن مخير حدثنا أبي حدثنا سعد بن سعيد أخبرني القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قلّ» قال: وكانت عائشة إذا عملت العمل لزمته^(١).

الإسلام دين الوسطية والاعتدال في الأقوال والأفعال، ولذلك ينبغي للمسلم أن يتوسط في العبادة، ولا يحتمل نفسه ما لا تطيق فإنه إذا أجهدها ملّت وكلت وانقطعت عن العبادة.

فقليل العبادة الدائم خير من كثيرها المنقطع، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَبَتْ﴾ [النحل: ٩٢] هذا مثل قرآني لمن نقض عهده بعد توكيده.

قال شيخنا محمد بن عثيمين - يرحمه الله -: «... العمل وإن قلّ إذا داومت عليه كان أحسن لك؛ لأنك تفعل العمل براحة وتتركه وأنت ترغب فيه، لا تتركه وأنت تمل منه»^(٢).

وكانت صلاة النبي ﷺ وخطبته «قصدًا» - أي: بين الطول والقصر - فعن أبي عبد الله جابر بن سمرة السوّائي قال: «كنت أصلي مع النبي ﷺ الصلوات فكانت صلاته قصدًا وخطبته قصدًا»^(٣).

وقد أمرهم النبي ﷺ أن يحلوا حبل زينب من المسجد فعن أنس رضي الله عنه

(١) صحيح مسلم ٥٤١/١ رقم (٧٨٢).

(٢) شرح رياض الصالحين للشيخ محمد بن عثيمين ٥٦١/١.

(٣) صحيح مسلم رقم (٨٦٦).

قال: دخل النبي ﷺ المسجد فإذا حبل ممدود بين الساريتين قال: «ما هذا الحبل؟ قالوا هذا حبل لزنب، فإذا فترت تعلقت به، فقال النبي ﷺ حُلُوهُ! ليصل أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليرقد»^(١).

والعمل القليل المستمر أفضل من العمل الكثير الذي تمل به النفس وتسام منه، ثم تتركه وتنقطع عنه، وقد بلغ النبي ﷺ أن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: لأصومنّ النهار، ولأقومنّ الليل ما عشت، فقال له النبي ﷺ: «أنت الذي قلت ذلك؟ قال: نعم يا رسول الله، قال - أي النبي ﷺ -: إنك لا تطيق ذلك، فصم وأفطر ثم نم وقم، وصم من الشهر ثلاثة أيام، فإن الحسنه بعشر أمثالها وذلك مثل صيام الدهر، قلت: إني أطيق أفضل من ذلك، قال: فصم يوماً وأفطر يوماً فذلك صيام داود عليه السلام وهو أعدل الصيام، فقلت: فإني أطيق أفضل من ذلك، فقال رسول الله ﷺ: ولا أفضل من ذلك»^(٢).

وكبر عبد الله بن عمرو، وصار يشق عليه أن يصوم يوماً ويترك يوماً، فقال: ليتني قبلت رخصة النبي ﷺ، ثم صار يصوم خمسة عشر يوماً سرداً، ويفطر خمسة عشر يوماً سرداً^(٣).

والاقتصاد في العبادة من سنن النبي ﷺ فعن أنس رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالوها وقالوا: أين نحن من النبي ﷺ وقد عُفِر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ قال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبداً، وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر أبداً ولا أفطر، وقال الآخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً. فجاء رسول الله ﷺ إليهم، فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أفطر وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء؛

(١) صحيح البخاري رقم (٢١٢)، وصحيح مسلم رقم (٧٨٦).

(٢) صحيح البخاري رقم (١٩٧٦).

(٣) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ١/٥٦٢.

فمن رغب عن سنتي فليس مني»^(١).

وعلى العاقل أن يكون له ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يفكر فيها في صنع الله، وساعة يخلو فيها لحاجته من مطعم ومشرب وغيرهما، وهذا معنى ما أوصى به الرسول ﷺ حنظلة رضي الله عنه. فعن أبي ربيعي حنظلة بن الربيع الأسدي الكاتب، أحد كتاب رسول الله ﷺ قال: لقيني أبو بكر رضي الله عنه فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قلت: نافق حنظلة، قال: سبحان الله! ما تقول: قلت: نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالجنة والنار كأنها رأي عين، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا^(٢) الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيراً، قال أبو بكر رضي الله عنه: فوالله إنا لنلقى مثل هذا؛ فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ فقلت: نافق حنظلة يا رسول الله! فقال رسول الله ﷺ: «وما ذاك؟» قلت: يا رسول الله! نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة رأي عين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيراً؛ فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لو تداومون على ما تكونون عليه عندي وفي الذُّكْرِ، لصافحتكم الملائكة على فراشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة» ثلاث مرات^(٣).

فالحمد لله الذي أراد بنا اليسر ولم يرد بنا العسر ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ

الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وصدق رسول الله القائل: «إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة^(٤) والروحة^(٥) وشيء من الدلجة»^(٦).

(١) صحيح البخاري رقم (٥٠٦٣)، ومسلم رقم (١٤٠١).

(٢) عافسنا: لأعينا.

(٣) رواء مسلم رقم (٢٧٥٠).

(٤) الغدوة: سير أول النهار.

(٥) الروحة: آخر النهار.

(٦) الدلجة: آخر الليل. رواء البخاري رقم (٦٤٦٣).

آثار المداومة على الأعمال الصالحة

للمداومة على الأعمال الصالحة آثار كثيرة منها:

* دوام اتصال القلب بخالقه وذلك يكسبه قوة و يقيناً وثباتاً وتعلقاً بالله سبحانه وتوكلاً عليه ومن ثم يكفيه الله همه قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣].

* أنها سبب محبة الله تعالى للعبد وولاية العبد لله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته»^(١).

* أنها سبب في محو الذنوب والخطايا، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا: لا، قال: «فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا»^(٢).

فالمداومة على الصلوات الخمس في أوقاتها حيث ينادي بهن، وكثرة الخطا إلى المساجد يمحو الله به الخطايا ويكفر به الذنوب والآثام، ويرفع به

(١) انظر: فتح الباري ١١/٣٤٠.

(٢) رواه البخاري رقم (٥٢٨)، ومسلم رقم (٦٦٧).

الدرجات، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات؟ قالوا بلى يا رسول الله، قال: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة؛ فذلكم الرباط، فذلكم الرباط»^(١).

* أن المداومة على الأعمال الصالحة سبب لحسن الخاتمة، حيث أن في المداومة جهاد للنفس ودفع للشيطان قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلًا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

* أن المداومة على العمل الصالح سبب لطهارة القلب من النفاق، ونجاة صاحبه من النار.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى الله أربعين يوماً في جماعة يدرك التكبيرة الأولى كتبت له براءتان؛ براءة من النار وبراءة من النفاق»^(٢).

* أنها سبب لدخول الجنة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أنفق زوجين من شيء من الأشياء في سبيل الله دُعي من أبواب الجنة، وللجنة أبواب، فمن كان من أهل الصلاة دُعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دُعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دُعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دُعي من باب الريان».

فقال أبو بكر رضي الله عنه: «ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يُدعى أحدٌ من تلك الأبواب كلها؟ قال: نعم، وأرجو أن تكون منهم»^(٣).

لهذا كان دوام العمل من أحب الأعمال إلى الله كما أخبر النبي محمد ﷺ.

(١) رواه مسلم رقم (٢٥٢).

(٢) أخرجه الترمذي ٧/٢.

(٣) متفق عليه. رواه البخاري رقم (٣٤٦٦) ومسلم (١٠٢٧).

ذكر الله ﷻ

من أحب الأعمال إلى الله «ذكر الله» لقول النبي ﷺ: «أحب الأعمال إلى الله، أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله»^(١).

لذكر الله في الإسلام شأن عظيم، ومنزلة سامية، ومكانة عالية، وثواب جزيل، وأجر كبير.

وهو من أجل العبادات، ومن أعظم القربات، ومن أنفع الطاعات، ومن أحب الأعمال.

ولهذا جاءت نصوص كثيرة في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ مبينة لفضله، وموضحة لمكانته، وأمرة به، وحائثة عليه، ومرغبة فيه، ومحذرة من تركه والإعراض عنه.

قال الله تعالى: ﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقْرِبَ الصَّلَاةَ إِتْلُ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «معناه ولذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه» وقال قتادة: «ذكر الله أكبر من كل شيء».

وقيل: ذكر الله أكبر من سائر أركان الصلاة، وقيل: أكبر من كل العبادات، وقال ابن عطية رحمته الله: «وعندي أن المعنى: ولذكر الله أكبر على الإطلاق، أي هو الذي ينهى عن الفحشاء والمنكر...»^(٢).

وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيْتَهُمْ فَيُكَلِّمُهُمْ وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥].

(١) رواه الطبراني وحسنه الألباني، ورواه ابن حبان رقم (٢٣١٨) باب فضل الذكر والذاكرين.

(٢) انظر هذه الأقوال في: البحر المحيط لأبي حيان ٣٥٩/٨.

قال شيخنا محمد بن عثيمين رحمته الله: «فذكر الله تعالى من أسباب الثبات والفلاح، والفلاح كلمة جامعة يراد بها حصول المطلوب والنجاة من المرهوب»^(١).

وقال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢]. وقال سبحانه: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [سجده: ٤١] وَاصْبِلًا ﴿[الأحزاب: ٤١ - ٤٢].

وقال سبحانه: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْفُدُوِّ وَالْاصْبَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

وقال سبحانه: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥] وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

قال ابن كثير رحمته الله: «أي تطيب وتركن إلى جانب الله، تسكن عند ذكره، وترضى به مولى ونصيراً، ولهذا قال ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ أي: هو حقيق بذلك»^(٢).

فما أحوجنا إلى ذكر الله في زمن طغت فيه المادة، وكثرت فيه أمراض القلوب، واضطرابات النفوس وسيطر القلق والخوف والفرع والظنون والهواجس عليها.

وقد شبه النبي صلى الله عليه وسلم الذاكر لله بالحي، والمعرض عنه بالميت - ولا يستوى الأحياء والأموات - فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره مثل الحي والميت»^(٣).

وسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ملازماً لذكر الله، يذكر الله في كل أحواله، في الصباح والمساء وفي الليل والنهار وفي اليقظة وعند المنام. تقول أم

(١) شرح رياض الصالحين ٣/ ٥٤٤.

(٢) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ص ٦٨٨.

(٣) رواه البخاري رقم (٦٤٠٧).

المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله يذكر الله في كل أحيانه»^(١).

ويوصي النبي صلى الله عليه وسلم بملازمة الذكر واستمراره فعن عبد الله بن بشر رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله! إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ، فأخبرني بشيء أتشبث به! قال: «لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله»^(٢).

ويُنَبِّئُ أصحابه بخير الأعمال وأفضلها فيقول: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم؟ قالوا: بلى، قال: ذكر الله تعالى»^(٣).

وَلِيَذْكُرِ الله صيغ كثيرة أفضلها قراءة القرآن، وقول «لا إله إلا الله» وسبحان الله والحمد لله والله أكبر، والاستغفار وغير ذلك.

فعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «أفضل الذكر لا إله إلا الله»^(٤). وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله؟ إن أحب الكلام إلى الله: سبحان الله وبحمده»^(٥).

التحذير من ترك الذكر:

ترك ذكر الله تعالى والإعراض عنه خطر عظيم إذ أنه يورث قسوة القلب، وضيق الصدر، وتسلط الشياطين قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦].

قال ابن كثير رحمته الله: «﴿وَمَنْ يَعْشُ﴾ أي: يتعامى ويتغافل ويعرض ﴿عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾، والعشا: في العين ضعف بصرها، والمراد ههنا عشا البصيرة، ﴿نُقِضَ لَهُ شَيْطَانًا﴾ كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ﴾

(١) رواه مسلم رقم (٣٧٣).

(٢) رواه الترمذي رقم (٣٣٧٢).

(٣) رواه الترمذي رقم (٣٣٧٤).

(٤) رواه الترمذي رقم (٣٣٨٠).

(٥) رواه مسلم رقم (٢٧٣١).

الْهُدَى ﴿النساء: ١١٥﴾ وكقوله: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥].
 وكقوله ﷺ: ﴿وَفِيضْنَا لَهُمْ قُرْنَاءَ فَرَيْنُوا هُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾
 [فصلت: ٢٥] ولهذا قال تبارك وتعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ لِيَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ
 أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُنَّ﴾ [الزخرف: ٣٧، ٣٨]؛ أي: هذا الذي تغافل عن
 الهدى نقيض له من الشياطين من يضلّه ويهديه إلى صراط الجحيم...»^(١).

والمعرض عن ذكر الله يعيش في الدنيا عيشة ضنكاً وإن كان في
 الظاهر متنعماً، ويعذب في الآخرة العذاب الشديد؛ لأنه نسي الله فأنساه
 نفسه في الدنيا ونسيه في العذاب يوم القيامة: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي
 فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي
 أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى ﴿١٢٦﴾﴾
 [طه: ١٢٤ - ١٢٦].

والضنك: الضيق والشدة والبلاء، ووصف المعيشة نفسها بالضنك
 مبالغة.

قال ابن كثير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «... ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ أي: ضنكاً في
 الدنيا، فلا طمأنينة له ولا انشراح لصدره، بل صدره ضيق حرج لضلّاله، وإن
 تنعم ظاهره، ولبس ما شاء، وأكل ما شاء، وسكن حيث شاء، فإن قلبه مالم
 يخلص إلى اليقين والهدى فهو في قلق وحيرة وشك، فلا يزال في ريبة يتردد،
 فهذا من ضنك المعيشة...»^(٢).

وقال النبي ﷺ: «ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله تعالى فيه
 إلا قاموا عن مثل جيفة حمار، وكان عليهم حسرة»^(٣).

فانتبه أخي الحبيب ولا تكن من الغافلين، وأكثر من ذكر الله تكن من
 الفائزين.

(١) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ص ١٢٤٧.

(٢) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ص ٨٥٦.

(٣) مسند الإمام أحمد ٢/٣٨٩، ٤٩٤.

فوائد ذكر الله تعالى :

لذكر الله تعالى فوائد كثيرة جداً نذكر منها^(١) :

أنه يطرد الشيطان ويقمعه:

قال ابن عباس رضي الله عنهما : «الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس، فإذا ذكر الله تعالى انخس»^(٢).

أنه من أحب الأشياء إلى الرحمن سبحانه:

قال أبو هريرة رضي الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم»^(٣).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : «أحب الكلام إلى الله تعالى أربع: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، لا يضرك بأيهن بدأت»^(٤).

أنه يجلو صدأ القلب:

قال أبو الدرداء رضي الله عنه : «لكل شيء جلاء، وإن جلاء القلب ذكر الله تعالى»^(٥).

وذكر البيهقي مرفوعاً من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول: «لكل شيء صقالة، وإن صقالة القلوب ذكر الله تعالى»^(٦).

قال ابن القيم رحمته الله : «وكل شيء له صدأ، وصدأ القلب الغفلة والهوى، وجلاؤه الذكر والتوبة والاستغفار»^(٧).

(١) انظر في هذا كتاب: الصيب الوابل ورافع الكلم الطيب لابن القيم ص ٨٤.

(٢) أخرجه الطبري ٢٨/٣٠.

(٣) صحيح البخاري رقم (٦٦٨٢)، وصحيح مسلم رقم (٢٦٩٤).

(٤) رواه مسلم (٢١٣٧).

(٥) انظر الوابل الصيب لابن القيم ص ٨١.

(٦) ذكره المنذري في الترغيب والترهيب ٣٩٥/٢.

(٧) الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب ص ٨٦.

أنه يمحو الخطايا ويذهب السيئات:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «من سبح الله في دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين، وحمد الله ثلاثاً وثلاثين، وكبر الله ثلاثاً وثلاثين، وقال تمام المئة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر»^(١).

أنه سبب نزول السكينة، وغشيان الرحمة

وحفوف الملائكة بالذاكر ففي صحيح مسلم عن الأغر أبي مسلم قال: أشهد على أبي هريرة وأبي سعيد، أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال: «لا يقعد قوم في مجلس يذكرون الله فيه إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده»^(٢).

أنه يهون الصعاب ويخفف المشاق ويبسر العسير:

قال ابن القيم رحمته الله: «... فما ذكر الله ﻋَﻠَﻲْ صعب إلا هان، ولا على عسير إلا تيسر، ولا مشقة إلا خفت، ولا شدة إلا زالت، ولا كربة إلا انفرجت، فذكر الله هو الفرج بعد الشدة، واليسر بعد العسر، والفرج بعد الغم والهَم»^(٣).

□ أن الله ﻋَﻠَﻲْ يباهي بالذاكرين ملائكته، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خرج معاوية على حلقة في المسجد، فقال: «ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله تعالى، قال: الله ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك. قال: أما إنني لم أستحلفكم تهمة لكم، وما كان أحد بمنزلي من رسول الله ﷺ أقل عنه حديثاً مني، وإن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه، فقال: ما أجلسكم. قالوا: جلسنا نذكر الله تعالى ونحمده على ما هدانا للإسلام ومَنَّ به علينا.

(١) رواه مسلم رقم (٥٩٧).

(٢) رواه مسلم رقم (٢٧٠٠).

(٣) الوابل الصيب ص ١٥٥.

قال: الله ما أجلسكم إلا ذاك. قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك.
قال: أما إنني لم أستحلفكم تهمة لكم، ولكنه أتاني جبريل فأخبرني:
أن الله تبارك وتعالى يباهي بكم الملائكة»^(١)

أن كثرة ذكر الله ﷻ أمان من النفاق:

قال كعب بن مالك: «من أكثر من ذكر الله ﷻ بريء من النفاق»^(٢).

أنه ينجي من عذاب الله:

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما عمل آدمي عملاً
قط أنجى له من عذاب الله من ذكر الله ﷻ»^(٣).

ومن نجى من عذاب الله دخل الجنة: ﴿فَمَنْ زُحِّجَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ
الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

وإذا لم يكن لذكر الله إلا هذه الفائدة وحدها لكفى بها، فأكثر أخي
الحبيب من ذكر الله ﷻ حتى تلقى الله ولسانك رطب من ذكره سبحانه فتفوز
بالجنة وتنعم بها مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك
رفيقاً.

لهذا كان الإكثار من ذكر الله والمداومة عليه من أحب الأعمال
إلى الله ﷻ كما أخبر بذلك الحبيب المحبوب الصادق الأمين سيدنا
محمد ﷺ.



(١) رواه مسلم رقم (٢٠٧١).

(٢) الوابل الصيب ص ١٦٤.

(٣) مسند الإمام أحمد ٥/٢٣٩.

المساجد

أحب البقاع إلى الله المساجد، لقوله ﷺ: «أحب البلاد إلى الله مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها»^(١).

أوردنا هذا الحديث هنا مع أنه من أحب البلاد وليس من أحب الأعمال؛ لأن من أهم وظائف المسجد ذكر الله وإقامة الصلاة فيه لقوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَا لُتْهِمِهِمْ تَحِيْرَةٌ وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾﴾ [النور: ٣٦ - ٣٨].

وهذه الأشياء من أحب الأعمال إلى الله.

وللمسجد في الإسلام مكانة عظيمة لكونه مكاناً للعبادة، وإضافته إلى الله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: ١٨].

لذا حث الإسلام على عمارة المساجد، والعناية بها، ورغب في بنائها، قال النبي ﷺ: «من بنى مسجداً يبتغي به وجه الله بنى الله له بيتاً في الجنة»^(٢).

وبين الله صفات عمار المساجد فقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنَ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا لِلَّهِ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾ [التوبة: ١٨] وعمارة المساجد تكون بالمحافظة على الصلاة فيها مع الجماعة، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، ولذلك أجر عظيم فقد سماه الرسول الكريم ﷺ الرباط.

(١) رواه مسلم رقم (٦٧١).

(٢) جامع الأصول ١١/١٨٦.

فمن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة؛ فذلكم الرباط، فذلكم الرباط»^(١).

وتكون أيضاً بتلاوة القرآن الكريم والتهليل والتسبيح والتعليم والتناصح في الله والتواصي بالحق والتواصي بالصبر.

فوظيفة المسجد الحقيقية هي بناء شخصية المسلم المتكاملة في خلقه وسلوكه، وعمله وعبادته، وفي علاقته بربه وبنفسه وبأخيه المسلم وبالناس أجمعين، ولذلك كانت من أحب البقاع إلى الله.

وللمسجد آداب ينبغي أن يتحلى بها كل مسلم منها:

* الذهاب إليه في سكينه ووقار^(٢): ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا أتيتم الصلاة فامشوا وعليكم السكينة، فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فاتموا».

* تجنب الروائح الكريهة عموماً، وخصوصاً رائحة البصل والثوم والكراث والدخان: فمن جابر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «من أكل ثوماً أو بصلاً فليعتزلنا أو فليعتزل مسجدنا».

وفي رواية لمسلم: «من أكل البصل والثوم والكراث فلا يقربن مسجدنا فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم»^(٣).

* المحافظة على نظافتها: فمن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «البصاق في المسجد خطيئة، وكفارتها دفنها»^(٤).

(١) رواه مسلم رقم (٢٥١).

(٢) السكينة: هي الطمأنينة والتأني، والوقار: الرزانة والحلم، وغض البصر وخفض الصوت.

(٣) رواه البخاري رقم (٨٥٤)، ومسلم رقم (٥٦٤).

(٤) رواه البخاري رقم (٤١٥).

وعنه أيضاً أن رسول الله ﷺ قال: «إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر إنما هي لذكر الله تعالى، وقراءة القرآن»^(١).

* تجنب الجدل والخصومة ورفع الصوت فيها ونشد الضالة والبيع والشراء ونحو ذلك: فعن السائب بن زيد الصحابي رضي الله عنه قال: «كنت في المسجد فحصبني رجل، فنظرت، فإذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: اذهب فأنتي بهذين فجئت بهما، فقال: من أين أنتما؟ قالاً: من أهل الطائف، فقال: لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ»^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله قال: «إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد فقولوا: لا أريح الله تجارتك، وإذا رأيتم من ينشد ضالته فقولوا: لا ردّها الله عليك»^(٣).

* إغلاق الجوال أو وضعه على الصامت حتى لا تؤذي المصلين وتؤثر على خشوعهم بصوته.

فالتزم أخي الكريم بهذه الآداب، وكن ممن تعلقت قلوبهم بالمساجد تكن في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله.



(١) رواه مسلم رقم (٤١٥).

(٢) رواه البخاري رقم (٤٧٠).

(٣) رواه الترمذي رقم (١٣٢١)، وقال: حديث حسن.

فائدة

الأسواق من أبغض البقاع إلى الله بسبب ما يقع فيها من المنكرات مثل: الكذب في المراجعة، وإخفاء عيوب البيع، والأيمان الفاجرة، ونقصان الكيل والوزن أو التطفيف فيهما، وبيع أدوات اللهو، والصور المجسمة المحرمة شرعاً.

واختلاط النساء بالرجال مع تبرج وسفور كثير من النساء المترددات على الأسواق.

ومع ما في الأسواق من المنكرات لا غنى لكثير من الناس عنها، وأذكر إخواني وأخواتي الذاهبين إلى السوق والذاهبات أن يقولوا عند دخولها: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير»

ففي الترمذي: «من دخل السوق فقال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير» كتب الله له ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة، ورفع له ألف ألف درجة»^(١).

فيخرج من السوق رابحاً رغم ما فيه من منكرات، اللهم وفقنا لفعل الطاعات وترك المنكرات، واجتناب السيئات إنك على كل شيء قدير.



(١) رواه الترمذي (٣٣٨٦).

صلاة وصيام «داود» ﷺ

من أحب الأعمال إلى الله تعالى: صلاة داود وصيامه فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أحب الصلاة إلى الله صلاة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه، وينام سدسه، ويصوم يوماً ويفطر يوماً»^(١). متفق عليه.

يشتمل هذا الحديث الشريف على عمليين من أحب الأعمال إلى الله تعالى هما: أحب صلاة التطوع والمراد بها هنا «قيام الليل» وأحب صيام التطوع وهو «صيام يوم وفطر يوم».

أولاً: قيام الليل:

قيام الليل من أحب الأعمال إلى الله ومن أفضل القربات إليه سبحانه، ويكون بالأسحار؛ لأن الدعاء فيها أقرب إلى الإجابة، والنفس فيها أصفى، والروح أجمع، والعبادة أخلص؛ ولذلك جاء الترغيب فيه والحث عليه في القرآن الكريم والسنة المطهرة.

فأما القرآن الكريم فمنه:

١ - قوله تعالى: ﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٦، ١٧].

قال أبو عبيدة رضي الله عنه: «أي ترتفع عنها - أي عن المضاجع - وتتنحي؛ لأنهم يصلون بالليل»^(٢).

(١) البخاري رقم (١٣٣١)، ومسلم (١١٥٩)، (١٨٩).

(٢) مجاز القرآن ١/١٩٥.

وقال القرطبي رحمته الله: «المضاجع جمع مضجع وهي مواضع النوم...»^(١).
وقال ابن القيم رحمته الله: «تأمل كيف قابل ما أخفوه من قيام الليل بالجزاء الذي أخفاه لهم مما لا تعلمه نفس، وكيف قابل قلقهم وخوفهم واضطرابهم على مضاجعهم، حين يقومون إلى صلاة الليل بقرة الأعين في الجنة»^(٢).

٢ - قوله تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَيَالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٧، ١٨].

قال الراغب الأصفهاني رحمته الله: «هجع: الهجوع: النوم ليلاً، قال: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾»، وذلك يصح أن يكون معناه كان هجوعهم قليلاً من أوقات الليل»^(٣).

وقال سيد قطب رحمته الله في تفسيره: «... فهم الأيقاظ في جنح الليل والناس نيام.. المتوجهون إلى ربهم بالاستغفار والاسترحام، ولا يطعمون الكرى إلا قليلاً، ولا يهجعون في ليلهم إلا يسيراً، يأنسون لربهم في جوف الليل فتتجافى جنوبهم عن المضاجع، ويخف بهم التطلع فلا يثقلهم المنام، فهي حال يتطلع إليها رجال من التابعين ذوي المكانة في الإيمان واليقين، ويجدون أنفسهم دونها... اختص بها الناس ممن اختارهم الله، ووقفهم إلى القيام بحقها، وكتبهم بها عنده من المحسنين...»^(٤).

٣ - قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿١٤﴾﴾ [الفرقان: ٦٤].
٤ - قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَهَا الْمُرْمِلُ ﴿١﴾ فُرُ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ يَضْفَعُهُ أَوْ أَقْصَ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدَ عَلَيْهِ وَرَزَلَ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيْلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾﴾ [المزمل: ١ - ٨].

(١) تفسير القرطبي ٩٩/٢١.

(٢) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ص ٢٧٨.

(٣) المفردات ص ٥٣٧.

(٤) الظلال ١٢/٣، ١٣.

وقال سيد قطب رَحِمَهُ اللهُ فِي تَفْسِيرِهِ: «إِنَّ اللَّهَ ﷻ حِينَما انتدب محمداً ﷺ للدور الكبير الشاق قال له: ﴿يَأْتِيهَا الرِّزْلُ ۝١﴾ فُرُّ أَيْلًا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ الآيات. فكان الإعداد للقول الثقيل والتكليف الشاق، والدور العظيم هو قيام الليل وترتيل القرآن، إنها العبادة التي تفتح القلب، وتوثق الصلة، وتيسر الأمر، وتشرق بالنور، وتفيض بالعزاء والسلوى والراحة والاطمئنان.

ومن ثمَّ يوجه الله المؤمنين هنا وهم على أبواب المشقات العظام إلى الصبر والصلاة»^(١).

٥ - قوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّخْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩].

٦ - قوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٦]. قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ: «﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ يعني: الصلاة والتسبيح»^(٢).
أما السنَّة المطهرة فمنها:

عن أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَحْدُثُ نَفْسَهُ بِقِيَامِ سَاعَةٍ مِنَ اللَّيْلِ فَيَنَامُ عَنْهَا، إِلَّا كَانَ نَوْمَهُ صَدَقَةً تُصَدَّقُ اللَّهُ بِهَا عَلَيْهِ، وَكُتِبَ لَهُ أَجْرُ مَا نَوَىٰ بِهِ»^(٣).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ شَهْرُ الْمُحْرَمِ، وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ صَلَاةُ اللَّيْلِ»^(٤).
وحدِيث: «أَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللَّهِ صَلَاةُ دَاوُدَ...».

وكان داود ﷺ يقسم الليل ثلاثة أقسام: النصف الأول للنوم، ثم الثلث للقيام، ثم السدس للنوم، وهذا فيه راحة للبدن، وتجديد للطاقة، واستمرار للعبادة.

(١) ظلال القرآن ٤/١٧٧.

(٢) الطبري ٢٩/٢٢٥.

(٣) انظر الترغيب والترهيب ١/٢٤٦.

(٤) فتح الباري لابن حجر ٣/٩.

قال شيخنا ابن عثيمين رحمته الله: «... فإن الإنسان إذا نام نصف الليل أخذ حظاً كبيراً من النوم، فإذا قام الثلث ثم نام السدس فإن التعب الذي حصل له في القيام يذهب بالنوم الذي في آخر الليل»^(١). ولهذا كانت صلاة داود أحب الأعمال إلى الله تعالى كما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم. ولكن إذا قام الإنسان في أي ساعة من الليل يرجى أن ينال الأجر والثواب - إن شاء الله تعالى - فالأمر في هذا - والله الحمد - واسع كما قال شيخنا ابن عثيمين - رحمه الله تعالى - .

ويحسن أن نشير هنا إلى أهم آداب قيام الليل وسننه وهي:

- أن ينوي المسلم قيام الليل عند نومه .
- أن يستاك إذا استيقظ للقيام .
- أن يقول: «الحمد لله الذي أحياني بعد ما أماتني وإليه النشور» .
- أن يمسح النوم عن وجهه بيده، ويرفع بصره إلى السماء ويقرأ الآيات: من آخر سورة آل عمران من قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]، وما بعدها .
- أن يفتح تهجده بركعتين خفيفتين، وأن يسلم من كل ركعتين .
- أن يطيل القيام والركوع والسجود^(٢) .

ثانياً: صيام يوم وفطر يوم:

للصوم أسرار عظيمة، ومنافع كثيرة فهو يهذب النفوس، ويسمو بالأرواح، ويربي في المسلم ملكة الصبر وقهر النفس الأمارة بالسوء، وينمي عنده فضيلة الأمانة، والإخلاص لله في العبادة والعمل .

كما أنه يبعث على تقوى القلوب وخشيتها لله وحده، ويقضي على ما تحمل النفوس من الضغائن والأحقاد والإحسان. وبه تغفر الذنوب، وتكفر السيئات، وتزداد الحسنات، وترفع الدرجات .

(١) شرح رياض الصالحين ٣/٣٤٦ .

(٢) انظر في هذا المختصر: في فقه العبادات للدكتور خالد المشيخ ص ١٠٠ .

ومن المعلوم المعروف أن الصوم في رمضان فريضة وركن من أركان الإسلام، وفي غيره نافلة وتطوع، والمراد هنا النافلة، ومنها^(١):

١ - صيام ستة من شوال:

فعن أبي أيوب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر»^(٢).

٢ - صيام يوم عرفة لغير الحاج:

فعن أبي قتادة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن صوم يوم عرفة، قال: «يكفر السنة الماضية والباقية»^(٣).

٣ - صيام يوم عاشوراء:

فعن ابن عباس رضي الله عنهما «أن رسول الله ﷺ صام يوم عاشوراء وأمر بصيامه»^(٤).

٤ - صيام أيام البيض:

وهي الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر من كل شهر. فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «صوم ثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر كله»^(٥).

٥ - صيام يوم الاثنين والخميس:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس، فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم»^(٦).

(١) انظر: الصيام للأستاذ الدكتور عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار ص ١٥٥ - ١٥٦.

(٢) رواه مسلم رقم (١١٦٤).

(٣) رواه مسلم رقم (١١٦٢).

(٤) متفق عليه؛ البخاري رقم (٢٠٠٤)، ومسلم رقم (١٢٨/١١٣٠).

(٥) متفق عليه؛ البخاري رقم (١٩٧٩)، ومسلم رقم (١١٥٩).

(٦) رواه الترمذي رقم (٧٤٧).

٦ - الإكثار من الصيام في شهري شعبان والمحرم:

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يصوم من شهر أكثر من شعبان (وفي رواية) كان يصوم شعبان إلا قليلاً»^(١).
وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم»^(٢).

٧ - صيام عشر ذي الحجة:

فعن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه العشر قالوا: يا رسول الله! ولا الجهاد في سبيل الله، قال: ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء»^(٣).

٨ - صيام الأعراب غير القادر على الزواج:

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «من استطاع الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»^(٤).

٩ - صيام يوم وفطر يوم:

وهو أحب الصيام إلى الله كما قال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: «أحب الصيام إلى الله تعالى؛ صيام داود كان يصوم يوماً ويفطر يوماً». وإنما كان ذلك أحب من أجل الأخذ بالرفق للنفس التي يخشى منها السامة والملل فإن الله لا يمل حتى تملوا.

(١) رواه البخاري رقم (١٩٦٩)، ومسلم رقم (١١٥٦).

(٢) رواه مسلم رقم (١١٦٣).

(٣) سنن أبي داود ١٠٣/٧.

(٤) سنن أبي داود رقم (٢٠٤٦)، وصحيح ابن حبان رقم (٤٠٢٦)، والسنن الكبرى رقم (٢٥٤٨).

فائدة

داود عليه السلام

نذكر هنا نبذة مختصرة عن داود عليه السلام صاحب أحب الصلاة وأحب الصيام إلى الله سبحانه.

كان داود عليه السلام راعياً للغنم، وفي عهده قامت حرب بين جالوت وجنوده، وطالوت - ملك بني إسرائيل - وجنوده وكان جالوت مشهوراً بالقوة والشدة والبأس، وقد تحدى أبطال جيش طالوت طالباً منهم النزال فلم يستطع أحد منهم إجابته خوفاً منه.

فتقدم داود وطلب من طالوت الإذن بمنزلته، وكان يومئذ شاباً صغيراً، فأذن له بعد تردد وخوف عليه، لصغره وقلة خبرته في الحرب، وقال له: لو قتلت جالوت فسوف تصير قائداً على الجيش، وتتزوج ابنتي.

وتقدم داود لمبارزة جالوت؛ وليس معه من أدوات الحرب سوى عصاة ومقلاع وبعض الأحجار؛ فاستخف به جالوت، ولكن داود سدّد إليه حجراً من مقلاعه فشح رأسه ثم أتبعه بآخر حتى سقط جالوت صريعاً وانتصر بنو إسرائيل على عدوهم^(١) ثم أصبح داود ملكاً على بني إسرائيل، وقد بعثه الله رسولاً فيهم، وأنزل عليه الزبور.

حكى القرآن الكريم هذه القصة في سورة البقرة في قوله ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذَا وَقَاتِلْنَا لَهُم وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَتْهُ

(١) نسال الله أن ينصر الفلسطينيين المجاهدين على اليهود المحتلين بالمقلاع والحجارة كما نصر بهما داود عليه السلام إنه على كل شيء قدير.

اللَّهُ الْمَلِكُ وَالْحَكِيمُ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ
بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾
[البقرة: ٢٥٠، ٢٥١].

وقد أنعم الله على داود عليه السلام بنعم كثيرة عظيمة، منها ما جاء في قوله
سبحانه: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجَالُ أَوْبَىٰ مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ
أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾﴾
[سبأ: ١٠، ١١].

أي: أن الله أعطى لداود الحكمة وهي النبوة، وأنزل عليه كتابه الزبور،
وأنه سبحانه أمر الجبال والطيور أن تردد معه التسبيح إذا سبح، وأنه جعل
الحديد له ليناً ليشكله كما يشاء ويعمل منه دروعاً واقية لجنوده وحماية لهم من
سهام الأعداء^(١).

وقد رزق الله داود ابنه سليمان عليه السلام، وكان عبداً صالحاً قال تعالى:
﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾﴾ [ص: ٣٠].
فلما كبر صار يشركه معه في مجالس القضاء والحكم لتدريبه وتعليمه -
عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام.



(١) انظر: المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير (١١١١)، وقصص الأنبياء لمحمد
إسماعيل إبراهيم ص ١٠٦.

التسمية بعبد الله وعبد الرحمن

يقول النبي ﷺ: «أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن»^(١).

الأولاد فلذات الأكباد^(٢)، ونور العيون، وثمرات القلوب، وريحانة البيوت، وزينة الحياة الدنيا. جاء في الأثر: «لكل شيء ثمرة وثمره القلب الولد»

وقد عني الإسلام بالأولاد عناية فائقة، واهتم بهم اهتماماً كبيراً. فشرع لهم حقوقاً على الآباء بها تنتظم حياتهم، وتستقيم أمورهم؛ ليكونوا أعضاء صالحين مصلحين تسعد بهم أمتهم وتتفجع بهم دولتهم. ومن هذه الحقوق «اختيار الاسم الحسن».

وقد صدر الأمر بذلك من نبينا محمد ﷺ وبين سببه وعلته فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وبأسماء آبائكم؛ فأحسنوا أسماءكم»^(٣).

وأحسن الأسماء وأحبها إلى الله «عبد الله» و«عبد الرحمن» لما فيهما من استشعار العبودية الخالصة لله وحده، والله خلق الخلق ليكونوا له عبداً قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] وأصدق الأسماء «حارث» و«همام» وأقبحها «حرب ومرة».

(١) رواه مسلم في صحيحه رقم (٢١٣٢).

(٢) يقول الشاعر:

أكبادنا تمشي على الأرض
لامتنعت عيني من الغمض

إنما أولادنا بيننا
لوهبت الريح على بعضهم

(٣) سنن أبي داود (٤٩٤٨).

فعن أبي وهب الجشمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تسموا بأسماء الأنبياء، وأحب الأسماء إلى الله: عبد الله وعبد الرحمن، وأصدقها حارث وهمام وأقبحها: حرب ومُرَّة»^(١).

وروي أن النبي ﷺ قال لرجل وُلد له ولدٌ «سمّ ابنك عبد الرحمن»^(٢). وقد حرم الإسلام بعض الأسماء ككل اسم مُعَبَّدٍ لغير الله، مثل: عبد العزى، وعبد هبل، وعبد الكعبة، وعبد النبي، وعبد الرسول، وعبد المسيح، وعبد عليّ، وعبد الحسين، وعبد الحسن وغيرها لما فيها من صرف العبودية لغير الله، أو إشراك غير الله مع الله فيما هو من خصائص الله. وغير النبي ﷺ بعض الأسماء التي تتنافى مع الحُسْنِ المطلوب في التسمية.

فقد روى ابن أبي شيبة حديث يزيد بن المقدم بن شريح، عن المقدم بن شريح عن أبيه، عن جده هانئ بن يزيد، قال: وقد على النبي ﷺ قوم، فسمّهم يسمون: عبد الحجر، فقال له رسول الله ﷺ: «إنما أنت عبد الله»^(٣). وعن هشام عن أبيه أن رجلاً كان اسمه الحُباب، فسماه رسول الله ﷺ عبد الله، وقال: «الحُباب شيطان»^(٤).

وعن ابن عمر أن النبي ﷺ غيّر اسم «عاصية» وقال: «أنت جميلة»^(٥). وروى أبو داود في «سننه» عن أسامة بن أخدري أن رجلاً كان يقال له: أضرم، كان في النفر الذي أتوا رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «ما اسمك؟ قال: أضرم، قال: بل أنت زُرْعَة»^(٦).

قال أبو داود: «وغيّر رسول الله ﷺ اسم العاص، وعزيز، وعُثلة،

(١) مسند أحمد ٤/٣٤٥.

(٢) صحيح البخاري (٦١٨٦).

(٣) الأدب المفرد للبخاري (٨١١)، ومصنف ابن أبي شيبة (٢٥٩٠١).

(٤) مصنف ابن أبي شيبة (٢٥٨٩٨).

(٥) صحيح مسلم رقم (٢١٣٩).

(٦) سنن أبي داود رقم (٤٩٥٤).

وشيطان، والحكم، وغراب، وشهاب، وحُباب فسماه هاشماً.
وسمى حرباً مسلماً، وسمى المضطجع: المنبَعث، وأرضاً يقال لها
عَفْرَة: خَضْرَة، وشعب الضلالة سماه: شعب الهدى وبنو الزينة سماهم: بني
الرَّشْدَة. وسمى بني مُعْوِيَة: بني رَشْدَة.

وقال أبو داود: «تركت أسانيدھا للاختصار»^(١).

فاحرص أُخَيِّ - وفقك الله تعالى - على اختيار الاسم الحسن لابنك،
وكن أشد حرصاً على عبد الله وعبد الرحمن للولد.

فأما البنت فعليك بأسماء أمهات المؤمنين وبنات الرسول ﷺ ورضي الله
عنهن أو أي اسم آخر يكون حسناً، ولا تلجأ إلى الأسماء غير الحسنة والتي
تكون سبباً في إضحاك الناس عليه واستهتارهم به.



(١) سنن أبي داود ٥/١٥٢.

حسن الخلق

من أحب الأعمال إلى الله تعالى حسن الخلق، لقول النبي ﷺ: «أحب عباد الله إلى الله أحسنهم خلقاً»^(١).

حسن الخلق صفة من صفات الأنبياء والصديقين والصالحين، امتدح الله سبحانه بها نبينا محمد ﷺ فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].
وحسن الخلق طلاقة الوجه، وبذل المعروف، وكف الأذى عن الناس.
ومن علاماته: الكرم، والسخاء، والحياء، والصبر، والمسامحة، والقناعة، والورع، واللطافة، والمساعدة، وقلة الطمع، والنجدة والشهامة، والحلم، والثبات، وكظم الغيظ، والوقار، والتودد، وحسن التدبير.
وأن يكون الإنسان صدوق اللسان، قليل الكلام، كثير العمل، قليل الفضول، لا لعاناً ولا سباباً، ولا نامماً ولا مغتاباً، ولا عجولاً ولا حقوداً ولا حسوداً^(٢).

وقد جمع الله ذلك كله في قوله سبحانه: ﴿حُذِرِ الْفَفْوِ وَأَمْرٍ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] فليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية، كما قال المفسرون.

وروي أنه لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: «ما هذا يا جبريل؟ قال: إن الله يأمرك أن تعفو عمن ظلمك، وتعطي من حرمك، وتصل من قطعك»^(٣).

(١) رواه الطبراني في الكبير، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٧٧).
(٢) انظر: إحياء علوم الدين ٣/٥٨٨، ومدارج السالكين لابن القيم ٣/٣١٦، وكلمات من نور للشيخ ثاني المنصور ص ١٣٥.
(٣) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ص ٥٢١.

وقد وردت أحاديث كثيرة تحث الناس على حسن الخلق والتحلي به وتبين لهم ثمرته في الدنيا والآخرة وأنه سبب في دخول الجنة، ومنها:

* قول النبي ﷺ: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن»^(١).

* وقوله ﷺ: «أثقل شيء في الميزان: الخلق الحسن»^(٢).

* وقوله ﷺ: «استقم وليحسن خلقك للناس»^(٣).

* وقوله ﷺ: «أفضل المؤمنين أحسنهم خلقاً»^(٤).

* وقوله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً»^(٥).

* وقوله ﷺ: «أقربهم مني مجلساً يوم القيامة أحسنهم خلقاً»^(٦).

* وقوله ﷺ: «إن أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وإن حسن الخلق ليلبغ درجة الصوم والصلاة»^(٧).

* وقوله ﷺ: «إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجات قائم الليل صائم النهار»^(٨).

* وقوله ﷺ: «إن الناس لم يعطوا شيئاً خيراً من حسن الخلق»^(٩).

* وقوله ﷺ: «إن أحبكم إلي وأقربكم مني في الآخرة مجالس أحاسنكم أخلاقاً، وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني في الآخرة أسوأكم أخلاقاً الشراون

(١) رواه أحمد والترمذي والحاكم، والبيهقي في شعب الإيمان، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٩٦).

(٢) رواه الطبراني في الكبير، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٣٣).

(٣) حسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٩٦٢).

(٤) صححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١١٣٩).

(٥) صحيح الجامع رقم (١٢٤١).

(٦) صحيح الجامع رقم (١١٨٧).

(٧) صحيح الجامع رقم (١٥٧٤).

(٨) صحيح الجامع رقم (١٦١٧).

(٩) صحيح الجامع رقم (١٩٧٣).

المتفهبون المتشدقون»^(١).

* وفي سنن الترمذي، وصححه، عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن أكثر ما يدخل الناس الجنة، فقال: «تقوى الله وحسن الخلق». وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار، فقال: «الغم والفرج».

* وقوله صلى الله عليه وسلم: «عليك بحسن الخلق، وطول الصمت، فوالذي نفسي بيده، ما تجمل الخلائق بمثلها»^(٢).

* وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم: «أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محققاً، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه»^(٣).

فجعل صلى الله عليه وسلم البيت العلوي جزاء لأعلى المقامات الثلاثة، وهي حسن الخلق، والأوسط لأوسطها وهو ترك الكذب، والأدنى لأدناها وهو ترك الممارسة وإن كان معه حق. ولا ريب أن حسن الخلق مشتمل على هذا كله.

فاحرص أخي الكريم على هذه الصفة (حسن الخلق) وتخلق بها تكن في أعلى الجنة مع الحبيب صلى الله عليه وسلم، وتكن من أحب عباد الله إلى الله.

وإياك وسوء الخلق فإنه خلق مذموم، واعلم أن الأخلاق المذمومة هي الكبر، والفخر، والبطر، والأشر، والعجب، والحسد، والبغي، والخيلاء، والظلم، والقسوة، والتجبر، وحب الجاه والرئاسة وأن يحمد بما لم يفعل.

وكذا الكذب والخيانة والرياء والمكر والخديعة والطمع والجبن والبخل والعجز والكسل والذل لغير الله واستبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير ونحو ذلك.

نجانا الله وإياك والمسلمين والمسلمات من هذه الصفات القبيحة المهلكة في الدنيا والآخرة آمين.

(١) رواه أحمد وابن حبان، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٥٣١).

(٢) رواه أبو يعلى، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٩٢٧).

(٣) سنن أبي داود رقم (٤٨٠٠)، والترغيب والترهيب ١/٢٣٠.

قراءة القرآن

من أحب الأعمال إلى الله قراءة القرآن؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قام رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أي العمل أفضل أو أي العمل أحب إلى الله، قال: «الحال المرتحل الذي يفتح القرآن ويختمه، صاحب القرآن يضرب من أوله إلى آخره، ومن آخره إلى أوله كلما حل ارتحل»^(١).

القرآن في الأصل مصدر قرأ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [١٧] فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَلَّعَ قُرْآنَهُ. ﴿١٨﴾ [القيامة: ١٨].

قال ابن عباس رضي الله عنه: «أي: إذا جمعناه وأثبتناه في صدرك فاعمل به»^(٢) وسمي القرآن بهذا الاسم لكونه جامعاً لثمرات الكتب السماوية السابقة ولجمعه ثمرة جميع العلوم^(٣)، وقد أشار الله تعالى إليه بقوله: ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾^(٤) وقوله: ﴿تَبَيَّنَّا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩].

وهو كلام الله المنزل على خير خلقه سيدنا محمد ﷺ، المتعبد بتلاوته، المتحدي بأقصر سورة منه.

قال تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ [الإسراء: ٨٨].

وقد وصف النبي ﷺ القرآن بقوله: «... فيه نبأ من قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو فصل ليس بالهزل، من تركه تجبراً قصمه الله،

(١) المستدرک علی الصحیحین ١/٧٥٨، وسنن الدارمی ٢/٥٦٠.

(٢) المفردات في غريب القرآن ص ٢٠٤.

(٣) انظر: المفردات في غريب القرآن ص ٢٠٤.

(٤) البحر المحيط ١/٢٣ - ٢٤.

ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله تعالى، وهو حبل الله المتين، ونوره المبين، والذكر الحكيم، والصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تتشعب معه الآراء، ولا يشيع منه العلماء، ولا يمله الأثقياء، من علم علمه سبق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن عصم به فقد هدى إلى صراط مستقيم^(١).

وشاء الله أن يكون نزوله في أعظم الأزمان وأشرف الشهور: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥].
واقتضت حكمته أن يكون ذلك في أعظم ليلة من رمضان، وهي ليلة القدر: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾﴾ [القدر: ١ - ٣].

ووصف الله هذه الليلة بالمباركة فقال سبحانه بعد أن أقسم به ﴿حَمِّ ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ ﴿٣﴾ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٤﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٥﴾ أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾﴾ [الدخان: ١ - ٥].

وبين الله سبحانه عظيم شأن هذا القرآن وجلالة قدرته حتى إنه لو نزل على الجبال الشاهقة لتصدعت من خشية الله قال تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١].
وجعله الله ميسراً للحفظ والفهم، قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدْكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ [القمر: ١٧].

وفضله الله على غيره من الكتب وجعله ناسخاً لها ومهيماً عليها فقال سبحانه: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨] وقد تكفل الله سبحانه بحفظه فقال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: ٩].

وجاءت أحاديث كثيرة تشدّد الهمم في تلاوة القرآن وتبين ثواب ذلك وجزاءه منها:

(١) صححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٦٦٠).

* قول النبي ﷺ: «اقرأوا القرآن فإنكم تؤجرون عليه، أما إنني لا أقول: الم: حرف، ولكن ألف عشر، ولام عشر وميم عشر، فتلك ثلاثون»^(١).

* وقوله ﷺ: «اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه»^(٢).

* وقوله ﷺ: «يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون في الدنيا تقدمه سورة البقرة وآل عمران تحاجان عن صاحبهما»^(٣).

* وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران»^(٤).

* وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرأ».

* وخير أمة الإسلام وأفضلها من تعلم القرآن وعلمه غيره، قال ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»^(٥).

* وقال ﷺ: «من علم آية من كتاب الله فله ثوابها ما تليت»^(٦).

* ويوصي النبي ﷺ أُمَّته بقراءة القرآن والمداومة عليها فيقول: «تعاهدوا هذا القرآن، فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلتاً من الإبل في عقلها»^(٧).

أما الذي لا يقرأ القرآن وليس في جوفه منه شيء فلا بركة فيه ولا خير عنده إنما هو كالبيت الخرب.

(١) رواه مسلم رقم (٨٠٤).

(٢) رواه مسلم رقم (٨٠٥).

(٣) رواه البخاري رقم (٤٩٣٧).

(٤) رواه أبو داود رقم (١٦٦٤).

(٥) رواه أحمد رقم (٤١٢) من مسند عثمان رضي الله عنه، وأبو داود رقم (١٤٥٢)، والترمذي رقم (٢٩٠٧).

(٦) السلسلة الصحيحة (١٣٣٥).

(٧) رواه البخاري رقم (٥٠٣٣).

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب»^(١).

فاحرص أحمي - أرشدني الله وإياك والمسلمين إلى الخير - على تعهد القرآن بالتلاوة وإياك إياك أن تكون مع الذين هجروا القرآن وجعلوه وراء ظهورهم واستبدلوه بقراءة الصحف والمجلات وغيرها نسأل الله لنا ولهم الهداية.

واعلم أن السلف الصالح كانت لهم همم عالية في قراءة القرآن فمنهم من كان يختمه كل أسبوع، ومنهم من ختمه في خمس ليال، ومنهم من ختمه في يوم وليلة.

وقيل: ختم أبو حنيفة القرآن في ليلة، وختم الشافعي ستين مرة في شهر رمضان، وختمه فتادة مرة كل يوم في العشر الأواخر من رمضان^(٢).

قال الإمام النووي رحمته الله: «ينبغي لحامل القرآن أن يحافظ على تلاوته ويكثر منه، ليلاً ونهاراً، سافراً وحضراً، وقد كانت للسلف رضي الله عنهم عادات مختلفة فيما يختمون في القرآن..»^(٣).

فالزم نفسك بقراءة جزء - على الأقل - كل يوم حتى تختم في شهر، واعلم أن للتلاوة آداباً ينبغي مراعاتها ومنها:

* الوضوء.

* استقبال القبلة.

* الترتيل والتدبر.

* البكاء والخشوع، لقوله تعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَجِرُونَ لِالَّذِقَانِ سَجْدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾﴾ [الإسراء: ١٠٧، ١٠٨].

(١) رواه الترمذي رقم (٢٩١٤).

(٢) انظر: صلاح الأمة في علو الهمة للدكتور سيد حسين العفائي ٢٤/٣.

(٣) التبيان في آداب حملة القرآن للنووي ص ١١.

وقوله: ﴿إِذَا نُتِلَّى عَلَيْهِمُ آيَةُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: ٥٨]. وقوله: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٩].

* حضور القلب وترك حديث النفس، فلقد كان بعض السلف - رضوان الله عليهم - إذا قرأ آية لم يكن قلبه فيها أعادها ثانية^(١).



(١) صلاح الأمة في علو الهمة ٢٩/٣.

العمل الصالح في العشر الأول من ذي الحجة

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام، قالوا: يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء»^(١).

الأيام العشر الأول من شهر ذي الحجة أيام مباركة فاضلة، فلقد أقسم الله سبحانه بها في كتابه فقال: ﴿وَالْفَجْرِ ۝١ وَبِالْأَيَّامِ الْعَشْرِ ۝٢﴾ [الفجر: ١، ٢].

قال ابن كثير رحمته الله: «... والليالي العشر المراد بها عشر ذي الحجة كما قال ابن عباس وابن الزبير ومجاهد وغير واحد من السلف والخلف»^(٢).

وفيها يوم عرفة الذي قال فيه النبي ﷺ: «ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً أو أمة من النار من يوم عرفة»^(٣).

وآخر هذه الأيام يوم النحر ويليه يوم القر وقد قال فيها النبي ﷺ: «أعظم الأيام عند الله يوم النحر ثم يوم القر»^(٤).

ويبين الحافظ ابن حجر - يرحمه الله - سبب تفضيل هذه الأيام وتمييزها فقال: «والذي يظهر أن السبب في امتياز عشر ذي الحجة لمكان اجتماع أمهات العبادة فيه، وهي: الصلاة، والصيام، والصدقة، والحج، ولا يأتي ذلك في غيره»^(٥).

(١) رواه البخاري رقم (٩٦٩).

(٢) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير (١٥٠٥).

(٣) رواه مسلم برقم (١٣٤٨).

(٤) رواه أبو داود ١٧٤/٥.

(٥) فتح الباري ٤٦٠/٢.

وقال ابن تيمية رحمته الله: «أيام عشر ذي الحجة أفضل من أيام العشر من رمضان، والليالي العشر الأواخر من رمضان أفضل من ليالي عشر ذي الحجة»^(١).

ووضّح ذلك ابن القيم رحمته الله فقال: «... فإنه ليس من أيام العمل فيها أحب إلى الله من أيام عشر ذي الحجة، وفيها يوم عرفة، ويوم النحر، ويوم التروية. وأما ليالي عشر رمضان فهي ليالي الإحياء التي كان الرسول صلى الله عليه وسلم يحييها كلها، وفيها ليلة خير من ألف شهر...»^(٢).

أنواع العمل في هذه العشر:

١ - الصيام، فيسن للمسلم صيام تسع ذي الحجة، أو ما تيسر منها وبالأخص يوم عرفة لغير الحاج.

فعن أبي قتادة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «صيام يوم عرفة احتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والتي بعده»^(٣)

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يصوم أيام التسع هذه، فعن هنيذة بن خالد عن امرأته عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: «كان النبي صلى الله عليه وسلم يصوم تسع ذي الحجة ويوم عاشوراء، وثلاثة أيام من كل شهر»^(٤).

٢ - التسبيح والتحميد والتكبير، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «ما من أيام أعظم عند الله ولا أحب إليه العمل فيهن من هذه الأيام العشر فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد»^(٥).

ويشرع في هذه الأيام التكبير المطلق وصفته: الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، الله أكبر والله الحمد - في جميع الأوقات من ليل أو نهار إلى صلاة العيد.

(١) مجموع الفتاوى ٢٥/٢٨٧.

(٢) زاد المعاد ١/٥٧.

(٣) أخرجه مسلم رقم (١٦٦٢).

(٤) أخرجه النسائي ٤/٢٠٥.

(٥) رواه أحمد ٧/٢٢٤.

كما يشرع التكبير المقيد بعد الصلاة المفروضة ويبدأ لغير الحاج من فجر يوم عرفة، وللحاج من ظهر يوم النحر ويستمر إلى صلاة عصر آخر أيام التشريق.

٣ - الحج والعمرة، فالحج إلى بيت الله الحرام ركن من أركان الإسلام وفرض على المستطيع، فيجب على من وجب عليه الحج أن يبادر إلى أدائه لقول النبي ﷺ: «تعجلوا الحج فإن أحدكم لا يدري ما يعرض له»^(١).
الحج من أفضل الأعمال وأكثرها ثواباً وأعظمها أجراً لقول النبي ﷺ: «الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»^(٢).

٤ - الأضحية في يوم النحر وأيام التشريق، قال تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من وجد سعة فلم يضح فلا يقربن مصلانا»^(٣).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما «أقام النبي ﷺ بالمدينة عشر سنين يضحى»^(٤).

٥ - كثرة الأعمال الصالحة من صلاة وصدقة ودعاء واستغفار ومساعدة المحتاجين وغير ذلك، فالأعمال الصالحة لا حد لها ولا عد.
لهذا كله وغيره الكثير كان العمل في هذه الأيام المباركة أحب إلى الله كما قال النبي الكريم ﷺ.



(١) رواه أحمد (٣١٤١١).

(٢) رواه البخاري (١٧٧٣).

(٣) رواه أحمد ٢/٣٢١.

(٤) رواه أحمد ١٣/٦٥.

نفع الناس وإدخال السرور عليهم

قال النبي ﷺ: «أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله ﷻ سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً. ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحب إليّ من أن أعتكف في المسجد شهراً، ومن كف غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظاً ولو شاء أن يمضيه أمضاه، ملأ الله قلبه رضا يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه في حاجته حتى يثبتها له، أثبت الله تعالى قدمه يوم تزل الأقدام، وإن سوء الخلق ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل»^(١).

المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه، يحب له ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه.

والمسلمون جميعاً كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

وهم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً، كما أنهم يدّ على من سواهم.

أمرهم الله سبحانه بالتعاون على البر والتقوى، ونهاهم عن التعاون على الإثم والعدوان، ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

وذلك لينتشر بينهم الحب والإخاء والإخلاص والتعاون والوفاء والمودة والرحمة، ومما يعمل على ذلك - أيضاً - ما جاء في هذا الحديث: فنفع

(١) رواه ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج، والطبراني في الكبير عن ابن عمر، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٧٦).

الناس - وإدخال السرور على المسلم - وكشف كربه - وقضاء دينه - وطرد الجوع عنه - والمشي في حاجته - وكف الغضب - وكظم الغيظ - والابتعاد عن سوء الخلق.

أمور هامة في حياة المسلمين، ولها أثرها العجيب في نشر المحبة والمودة والإخاء والتعاون بين المسلمين، وقد أعد الله لمن يفعل ذلك أجراً عظيماً وثواباً جزيلاً، وهذه بعض الأحاديث النبوية التي توضح ذلك:

* قال رسول الله ﷺ: «أَيُّمَا مُسْلِمٍ أَطْعَمَ مُسْلِمًا عَلَى جُوعٍ أَطْعَمَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ ثَمَارِ الْجَنَّةِ، وَأَيُّمَا مُسْلِمٍ سَقَى مُسْلِمًا عَلَى ظَمَأٍ سَقَاهُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الرَّحِيقِ الْمَخْتُومِ»^(١).

* وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَنْظَرَ مَعْسِرًا، أَوْ وَضَعَ عَنْهُ، أَظْلَهُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ»^(٢).

* وقال رسول الله ﷺ: «أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ أَنْ تَدْخُلَ عَلَى أَخِيكَ الْمُؤْمِنِ سُرُورًا، أَوْ تَقْضِيَ عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْعَمَهُ خَبِزًا»^(٣).

* وقال رسول الله ﷺ: «السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمَسْكِينِ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ الْقَائِمِ اللَّيْلِ الصَّائِمِ النَّهَارِ»^(٤).

* وقال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمُ لِلنَّاسِ»^(٥).

فليعمل كل منا - قدر طاقته - على مساعدة إخوانه المسلمين، وقضاء حوائجهم، وإدخال السرور عليهم، والدعاء لجميع المسلمين عسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبح أعداء الإسلام نادمين.

(١) رواه أحمد وأبو داود والترمذي عن أبي سعيد الخدري.

(٢) رواه مسلم وأحمد...

(٣) حسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٠٩٦).

(٤) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) حسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٢٨٩).

تكاثر الأيدي على الطعام

من أحب الأعمال إلى الله تعالى تكاثر الأيدي على الطعام لقول النبي ﷺ: «أحب الطعام إلى الله ما كثرت عليه الأيدي»^(١).

الكرم والجود والسخاء والإنفاق وإطعام الطعام، صفات كريمة حث عليها الإسلام ورغب فيها، ومدح المتصفين بها، ووصفهم بالفلاح، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

وجعل الله الأجر العظيم عليه في الدنيا والآخرة؛ في الدنيا البذل والخلف، وفي الآخرة الجزاء والثواب، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ رِزْقِي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَبِيرُ الرِّزْقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩].

وقال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

وقال رسول الله ﷺ: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً»^(٢).

وإطعام الطعام وكثرة الأيدي عليه من صنائع المعروف التي تقي صاحبها مصارع السوء والهلاك.

(١) رواه ابن حبان وحسنه الألباني.

(٢) رواه الشيخان عن أبي هريرة، ورواه الحاكم في المستدرک عن أبي الدرداء.

قال سيدنا رسول الله ﷺ: «صنائع المعروف تقي مصارع السوء والآفات والهلكات وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة»^(١).

كما أن إطعام الطعام من أسباب دخول الجنة، قال رسول الله ﷺ: «اعبدوا الرحمن وأطعموا الطعام، وأفشوا السلام تدخلوا الجنة بسلام»^(٢).

وقال أيضاً: «إن في الجنة غرفاً، يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدها الله لمن أطعم الطعام، وأفشى السلام، وصلى بالليل والناس نيام»^(٣).

فالله الله في إطعام الطعام، والله الله في كثرة الأيدي عليه، فرسولنا ﷺ كان أجود الناس، وكان يحب إطعام الطعام. فعن أنس رضي الله عنه قال: «كان النبي ﷺ أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس»^(٤).

وعن عبد الله بن بر قال: «كان للنبي ﷺ قصعة يقال لها الغراء، يحملها أربعة رجال»^(٥).

وهذا يدل على ضخامة هذه القصعة وكبرها، وأن الغرض منها تكثير الأيدي على طعام رسول الله ﷺ فهو الجواد الكريم.

واعلم أخي المسلم أن الذين يطعمون الطعام هم خيارنا فعن حمزة بن صهيب، عن أبيه رضي الله عنه قال: قال عمر رضي الله عنه لصهيب: «فيك سرف في الطعام» فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خياركم من أطعم الطعام»^(٦).

أما الذين ليس لهم ضيوف يأكلون عندهم فلا خير فيهم قال رسول الله ﷺ: «لا خير في من لا يضيف»^(٧).

(١) صحيح الجامع رقم (٣٦٨٩).

(٢) رواه الترمذي انظر: الترغيب والترهيب ١/٣٩٥.

(٣) رواه ابن حبان في صحيحه.

(٤) رواه البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه.

(٥) صحيح الجامع رقم (٤٨٣٣).

(٦) حسنه الألباني في صحيح الترغيب ١/٣٩٦.

(٧) صحيح الجامع رقم (٧٤٩٢).

لهذا كان إطعام الطعام وكثرة الأيدي عليه من أحب الأعمال إلى الله .
هذا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الزلفي ٢٦ من رمضان ١٤٢٥هـ

ص.ب ١٨٨ الرمز ١١٩٣٢

كتاب

إلى العابثين بالأعراض^(١)

(١) اشترك مع المؤلف في تأليف هذا الكتاب فضيلة الشيخ سامي بن سلمان المبارك.

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله فالق الحب والنوى، وباريء النسمة، خلق لنا من أنفسنا أزواجاً
لنسكن إليهما، وجعل بيننا مودة ورحمة، قال - تعالى - : ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبُّكُمْ
الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء: ١].

نحمده - سبحانه - أباح لنا النكاح؛ وحرم علينا الزنا والسفاح.

قال - تعالى - : ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنًا وَثُلَاثًا وَرُبْعًا﴾ [النساء: ٣].

وقال - تعالى - : ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [٣٢]

[الإسراء: ٣٢].

والصلاة والسلام على من بعثه ربه هادياً، ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله
بإذنه وسراجاً منيراً.

وبعد:

فإن من الأمور المحرمة العظيمة المنذرة بمخاطر وبيلة، جريمة الزنا التي
ظهرت هذه الأيام، وانتشرت انتشار النار في الهشيم، وخلفت وراءها الدمار
والعار.

هذه الجريمة الشنعاء التي ما ظهرت في أمة من الأمم إلا كان ذلك إيذاناً
لها بالأسقام والأوجاع، وغضب الجبار. مصداقاً لما قاله المصطفى، ﷺ: «
لم تظهر الفاحشة في قوم حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي
لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا..»^(١).

(١) رواه ابن ماجه برقم (٤٠١٩) - ٢ / ١٣٣٢، قال في مجمع الزوائد هذا حديث صالح
للعمل به.

وهذا مشاهد في المجتمعات التي شاعت فيها الإباحية الجنسية؛ فها هي أمريكا رائدة الحضارة الغربية، وها هي الدول الأوروبية كلها تصطلي بنار الآثار التي خلفتها لهم الإباحية الحيوانية، حتى أعلن أطباؤهم ومفكروهم ومؤسساتهم إفلاسهم من تقديم أي حل لآثار الفواحش التي انتشرت عندهم.

مما جعل أعداء الله يسعون سعياً حثيثاً لنشر هذه الفواحش في المجتمعات الإسلامية بكل الوسائل والسبل. وقد تحقّق لهم بعض ما أرادوا، وكان الضّحية غالبهم من الشباب والفتيات الذين تهيأت لهم أسباب هذه الجريمة ووسائلها، وكثرة روافدها التي تغذيها، ولعلاج جريمة الزنا لا بد لنا من معرفة الأسباب وتشخيصها، وتعقب آثارها في كل جانب من جوانب الحياة المرتبطة، بها حتى نستطيع أن نتخذ التدابير الواقية لشبابنا وفتياتنا ومجتمعاتنا. ثم تقديم العلاج الناجع لهذه الظاهرة الخطيرة التي اتفقت الأديان السماوية على تحريمها، نظراً لقبحها وشناعتها، بأن من نعم الله على بلادنا أن حرسها الله بالإسلام، وأنعم عليها بتحكيم شرعه، ولكن أعداء الله ما فتوا يخططون ليل نهار لكسر تماسك المجتمع وصلابة أفراده، وسمو أخلاقه. ولقد نفذ كيدهم على حين غفلة من الغيورين والمصلحين إلى قلوب بعض الشباب اللاهي العابث، وحرصاً على معالجة هذا الداء قبل انتشاره واستفحاله كانت هذه الرسالة، وهي توجيه وذكرى وعظة، وعبرة لعل الله ينفع بها من كتبها وقرأها وسمعها. إنه ولي ذلك والقادر عليه. وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتب

أبو محمد عبد الله بن محمد الطيار

أبو سلمان سامي بن سلمان المبارك

ضحوة الأربعاء ١١/٥/١٤١٣هـ

الإسلام والغريزة الجنسية

لقد خلق المولى - تبارك وتعالى - الإنسان وكرمه على سائر المخلوقات. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء: ٧]. وقال - سبحانه -: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]. ومع هذا التكريم أودع ﷻ في هذا الإنسان مجموعة من الغرائز والنوازع والشهوات، وهي لا تعتبر في حد ذاتها عيباً في الإنسان، فهو مكرم بما فيه من هذه الغرائز، لأن الله هو الذي أوجدها فيه، وبالتالي فالإسلام لا يتصادم مع هذه الغرائز، بل يوجهها الوجهة السليمة حتى تصبَّ في مصيها السليم. وتسير في مسارها الصحيح. ولكن الإسلام لا يُطلق العنان لهذه الغرائز، بل متى انحرفت عن مسارها الذي رسم لها وقف منها موقف الحسم والتطهير.

فحبُّ المال غريزة في الإنسان، قال - تعالى -: ﴿وَتَحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: ٢٠]. فالإسلام يسمح لهذه الغريزة بجمع المال من الطرق المشروعة، ويمنعها من الطرق المحرمة، قال - تعالى -: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]. ومن مجموعة هذه الغرائز المودعة في الإنسان الغريزة الجنسية. فما هو المسار الصحيح لهذه الشهوة أو الغريزة سواء عند الذكر أو الأنثى؟ المسار الصحيح لهذه الرغبة هو الزواج. قال - تعالى -: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١].

وقال، ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغضُّ للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»^(١).

(١) رواه البخاري راجع صحيح البخاري ٣/٣٥٤ برقم (٥٠٦٥) كتاب النكاح.

وما هذه الدعوة الصادقة من المصطفى، ﷺ، الموجهة إلى الشباب إلا تلبية لدوافع الغريزة الجنسية، التي وضعها الله في النفس، ورسم لها طريقاً تمشي فيه، كما يمشي ماء السيل في مجراه الذي أعد له، ووضع فيه من السدود ما يمنعه أن يطغى عليه، ويخرج عنه. كما يخرج النهر أحياناً فيغرق الذرع ويهلك الحرث والنسل.

أما المجرى الطبيعي فهو الزواج، وأما الطغيان فالبغاء والفساد، ثم جئنا نحن فخالفنا فطرة الله، فسددنا المجرى الطبيعي، وأزحنا السدود والحدود، وتركناه ينطلق كما يشاء فيدمر البلاد ويهلك العباد.



تعريف الزنا

هو لغة:

الزنا يُمد ويقصر، زنى الرجل يزني زنى مقصورة، وزناً ممدودة، وكذلك المرأة. وزاني مزاناةً.

ويقال للولد إذا كان من زنا: هو لزنية^(١).

واصطلاحاً:

كل وطء وقع على غير نكاح صحيح، ولا شُبْهة نكاح، ولا ملك يمين^(٢)، وقال في الكشف: هو فعل الفاحشة في قُبْلٍ أو دُبْرٍ^(٣).

الحكمة من تحريم الزنا:

جاء الإسلام لحماية الأعراض، وصون الحرمات، وحفظ الأنساب. ولما كان الزنى منافياً لهذا كله، حرّمه المولى - تبارك وتعالى - في كل الأديان السماوية المنزلة لما في هذه الجريمة من مفساد عظيمة منافية لفطرة الإنسان، ونظام العالم بأسره.

يقول ابن القيم - يرحمه الله -:

ولما كانت مفسدة الزنى من أعظم المفساد، وهي منافية لمصلحة العالم في حفظ الأنساب وحماية الفروج، وصيانة المحرمات، وتوقي ما يوقع أعظم العداوة والبغضاء بين الناس، من إفساد كل منهم امرأة صاحبه أو ابنته أو أخته

(١) لسان العرب ابن منظور ٣٥٩، ٣٦٠ دار صادر.

(٢) بداية المجتهد ونهاية المقتصد ابن رشد ٤٦٦/٢.

(٣) كشف القناع منصور البهوتي ٨٩/٦ دار الكتب.

أو أمه، وفي ذلك خراب العالم. كانت تلي مفسدة القتل في الكبر. قال الإمام أحمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ولا أعلم بعد قتل النفس شيئاً أعظم من الزنى^(١).

ويقول:

فليس في الذنوب أفسد للقلب والدين من هاتين الفاحشتين، يعني اللواط والزنى، ولهما خاصية في تعبيد القلب من الله، فإنهما من أعظم الخبائث. فإذا انصغ القلب بهما بعد ممن هو طيب، لا يصعد إليه إلا طيب، وكلما ازداد خبثاً ازداد من الله بعداً.

ولما كانت هذه حال الزنا كان قريباً للشرك في كتاب الله - تعالى -

قال - تعالى -: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحَرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [النور: ٣]. فهذه الآية مشتملة على خبر وتحريم^(٢).



(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ابن القيم ١٧٧.

(٢) إغاثة اللفهان في مصائد الشيطان ١٠/١ - ١٠٨.

أدلة تحريم الزنا

الزنا محرم بالكتاب والسنة، والإجماع والمعقول.

* فمن القرآن قوله - تعالى:

- ١ - ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ﴾ [الأنعام: ١٥١].
- ٢ - ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٣].
- ٣ - ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾﴾ [الفرقان: ٦٨، ٦٩].
- ٤ - ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢].
- ٥ - ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور: ٢].
- ٦ - ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ﴾ [الأعراف: ٣٣].
- ٧ - ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ١٩].

أدلة تحريم الزنا:

* من السنة:

- ١ - «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»^(١).
- ٢ - من حديث الكسوف: «يا أمة محمد إن من أحدٍ أعير من الله أن يزني عبده أو تزني أمته يا أمة محمد لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً

(١) رواه البخاري انظر: صحيح البخاري ٢٤٥/٤ برقم (٦٧٧٢) كتاب الحدود.

ولضحكتكم قليلاً ألا هل بلغت؟»^(١).

٣ - روى ابن مسعود رضي الله عنه قال: «سألت رسول الله ﷺ، أي الذنب أعظم؟ قال: أن تجعل لله نداً وهو خلقك. قال: ثم أي؟ قال: أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك. قال: ثم أي؟ قال: أن تزاني حليلة جارك»^(٢).

٤ - عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والتارك لدينه»^(٣).

٥ - قال ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم، ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان، ومملك كذاب، وعائل مستكبر»^(٤).

ومن الإجماع:

اتفقت الشرائع السماوية على تحريم إتيان هذه الفاحشة، وقد نقل غير واحد من أهل العلم الإجماع على تحريمها.

قال ابن المنذر رحمته الله:

قد انعقد الإجماع على تحريم الزنا^(٥).

ومن المعقول:

فإن أصحاب العقول السليمة والنفوس النبيلة ينفرون من كل ما هو قبيح، وإن من أقبح الفواحش فاحشة الزنا وقد قال عنها الله - جل وعلا -:

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢].

(١) رواه مسلم انظر: صحيح مسلم ٦١٨/٢ برقم (٩٠١) كتاب الكسوف باب صلاة الكسوف.

(٢) متفق عليه راجع صحيح البخاري ٤/ ٤٠٩ برقم (٧٥٢٠) كتاب التوحيد باب قوله - تعالى -: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ وانظر: صحيح مسلم ١/ ٩٠ برقم (١٤١) كتاب الإيمان.

(٣) رواه مسلم بنحوه كتاب القسامة باب ما يباح به دم المسلم ١٣٠٢/٣ برقم (١٦٧٦)، والحديث في مسند أبي يعلى ٤/ ٣٥٥ برقم (٤٦٥٧) تحقيق إرشاد الحق الأثري.

(٤) رواه مسلم انظر: صحيح مسلم ١/ ١٠٢، ١٠٣ حديث رقم ١٧٢ كتاب الإيمان.

(٥) إجماعات ابن المنذر ٦٩.

ويقول أبو بكر الجصاص رحمته الله عند هذه الآية: «وفيه دليل على أن الزنا قبيح في العقل قبل ورود السمع لأن الله سماه فاحشة»^(١).

ويقول الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمته الله عند تفسير هذه الآية: «ووصف الله الزنا وقبحه بأنه (كان فاحشة) أي إنما يستفحش في الشرع والعقول والفطر لتضمنه التجريء على الحرمة في حق الله، وحق المرأة، وحق أهلها أو زوجها، وإفساد الفراش، واختلاط الأنساب وغير ذلك من المفاسد»^(٢).

ومما يدل على قباحة الزنا عقلاً أن الطبائع السليمة كانت تأنف منه في الجاهلية وقبل الإسلام.

يقول عثمان بن عفان رضي الله عنه:

«.. فوالله ما زنيت في جاهلية ولا إسلام..»^(٣).

ومن ذلك ما وقع لعبد الله بن عبد المطلب والد النبي صلى الله عليه وسلم، حين دعت له امرأة وراودته عن نفسه وفرضت له مالاً، قال:

أما الحرام فالممات دونه والحل لا حل فاستبينه
يحمي الكريم عرضه ودينه فكيف بالأمر تبغيه^(٤)



(١) أحكام القرآن الكريم للجصاص ٣/٣٠٠.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن السعدي ٤/٢٧٥.

(٣) سنن ابن ماجه ٢/٨٤٧.

(٤) مجلة البحوث عدد ٢٣ ص ١٤٠.

عقوبة الزاني

نظراً لبشاعة جريمة الزنا وقبحها، فقد رتب المولى - تبارك وتعالى - عقوبات متنوعة على من أتى هذه الفاحشة، ولم يتب منها إلى الله، كما قال: - سبحانه -:

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْكُذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخُذْ فِيهِمْ مَهْلَكًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَرَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان: ٦٨ - ٨٠].

ودلت هذه الآية على أنه ليس بعد الكفر أعظم من القتل بغير الحق، ثم الزنا^(١).

فالزنا موجب للعديد من العقوبات الشديدة، بعضها جسدي وبعضها معنوي، بل إن عقوبة الزنا لا تكون على الزناة وحدهم بل تتعداهم إلى الغير.

عقوبة الزاني:

وتنقسم إلى ثلاثة أقسام:

١ - عقوبات شرعية زجرية.

٢ - عقوبات أخروية.

٣ - عقوبات كونية.

* العقوبة الشرعية:

وتنقسم إلى قسمين:

١ - عقوبة جسدية ٢ - عقوبة معنوية.

(١) تفسير القرطبي ٧٦/١٣.

أولاً: العقوبة الجسدية:

لا يخلو حال الزاني إما أن يكون محصناً أو غير محصن، سواء كان ذكراً أو أنثى.

* فإن كان محصناً، وهو: «الذي حصل له الوطء في القبل في نكاح صحيح»^(١). وثبت زناه شرعاً فإن عقوبته الرجم بالحجارة حتى الموت. خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوم الجمعة في المدينة النبوية في آخر حياته في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، فقال: «إن الله بعث محمداً، صلى الله عليه وسلم، بالحق وأنزل عليه الكتاب فكان مما أنزل آية الرجم فقرأناها وعقلناها ووعيناها، رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده»^(٢).

وقول النبي صلى الله عليه وسلم: «واغد يا أنيس على امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها فغدا عليها فاعترفت فرجمها»^(٣).

* أما إن كان غير محصن فعقوبته الجلد مائة مع التغريب لمدة عام، قال - تعالى -: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَشَهِدَ عَدَايَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾ [النور: ٢]. وفي صحيح البخاري عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه، قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم، يأمر فيمن زنى ولم يحصن جلد مائة وتغريب عام^(٤).

ثانياً: العقوبة الشرعية المعنوية وتشتمل على ما يلي:

١ - الفضيحة: لقوله - تعالى -: ﴿وَلَشَهِدَ عَدَايَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾ [النور: ٢].

(١) النهاية في غريب الحديث ١ / ٣٩٧.

(٢) رواه البخاري انظر: صحيح البخاري ٢٥٨/٤ رقم الحديث (٦٨٣٠) كتاب الحدود باب رجم الحبلى من الزنى إذا أحصنت.

(٣) رواه البخاري انظر: صحيح البخاري ٢٥٧/٤ رقم الحديث (٦٨٢٨) كتاب الحدود باب الاعتراف بالزنا.

(٤) رواه البخاري انظر: صحيح البخاري ٢٥٩/٤ رقم الحديث (٦٨٣١) كتاب الحدود باب البكران يجلدان وينفيان.

يقول أبو السعود رحمته الله عند هذه الآية: «لنحضره زيادة في التنكيل فإن التفضيح قد ينكل أكثر مما ينكل التعذيب، والمراد بطائفة جمع يحصل بها التشهير والزجر»^(١).

ويقول الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمته الله: «وأمر الله - تعالى - أن يحضر عذاب الزانين طائفة أو جماعة من المؤمنين، ليشتهر ويحصل بذلك الخزي والإرتداع، وليشاهدوا الحد فعلاً...»^(٢).

٢ - التغريب:

وفي هذا زيادة على العذاب الجسدي بالجلد، عذاب نفسي معنوي.

٣ - تحريم مناكحة الزناة:

قال - تعالى -: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [النور: ٣].

العقوبة الأخروية:

توعده الله - جل وعلا - من يفعل الفاحشة بالعذاب الأليم إن لم يتب منها.

قال - تعالى -:

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ^٤ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾﴾ [الفرقان: ٦٨، ٦٩].

ويقول عليه الصلاة والسلام:

«إنه أتاني الليلة آتيان وإنهما ابتعثاني وإنهما قالا لي انطلق. وإني انطلقت معهما (إلى أن قال): فأتينا عل مثل التنور فاطلنا فيه فإذا فيه رجال ونساء عراة وإذا هم يأتهم لهب من أسفل منهم، فإذا أتاهم ذلك اللهب

(١) تفسير أبو السعود ٦ / ١٥٦.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٥ / ٣٨٨.

ضوضوا.. وفي آخر الحديث: إنهما أخبراه بأنهما جبريل وميكائيل، وأن الرجال والنساء العراة الذين في مثل بناء التنور الزناة والزواني»^(١).

ويقول، عليه الصلاة والسلام:

«إن الزناة تشتعل في وجوههم النار»^(٢).

٣ - العقوبات الكونية:

للمعاصي آثار تظهر على مرتكبيها في الدنيا والآخرة بل تظهر آثارها على الأمم والشعوب.

يقول - سبحانه -:

﴿وَمَا أَصْبَحْكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾

[الشورى: ٣٠].

ومن سنن الله الكونية الثابتة أن من أطاعه - سبحانه - أحبه، وأعزه في الدارين، ومن عصاه وتمرد عليه أذله وأهانته في الدنيا قبل الآخرة. ﴿جَزَاءً وَفَاقًا﴾ [النبا: ٢٦].

يقول ابن القيم - يرحمه الله -:

«وهل في الدنيا والآخرة شر وداء سببه إلا الذنوب، فما الذي أغرق أهل الأرض كلهم حتى على الماء فوق رؤوس الجبال، وما الذي سلط الريح على قوم عاد حتى ألقتهم موتى على وجه الأرض كأنهم أعجاز نخل خاوية، ودمرت ما مرت عليه من ديارهم وحروثهم وزروعهم ودوابهم، وما الذي رفع قرى اللوطية حتى سمعت الملائكة نبيح كلا ثم قلبها عليهم، فجعل عاليها سافلها، فأهلكهم جميعاً، بهم وما الذي أرسل على قوم شعيب سحب العذاب، كالظلل فلما صار فوق رؤوسهم أمطر عليهم ناراً تلتظى، وما الذي

(١) رواه البخاري انظر: صحيح البخاري ٨٧/٦.

(٢) قال في مجمع الزوائد رواه الطبراني من طريق محمد بن عبد الله بسر عن أبيه ولم أعرفه، وبقيته رجاله ثقات. انظر: مجمع الزوائد ٢٥٥/٦.

أغرق فرعون وخسف بقارون؟ إنها الذنوب^(١)!!

روى الإمام أحمد عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه:

«لما فتحت قبرص فرق بين أهلها، فبكى بعضهم إلى بعض، فرأيت أبا الدرداء جالساً وحده يبكي، فقلت: يا أبا الدرداء ما يبكيك في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله؟ فقال: ويحك يا جبير ما أهون الخلق على الله ﷻ إذا أضاعوا أمره، بينما هي أمة قاهرة ظاهرة لهم الملك، تركوا أمر الله فصاروا إلى ما ترى»^(٢).

وذكر الإمام أحمد عن صفية قالت:

«زلزلت المدينة في عهد عمر بن الخطاب، فقال: يأيتها الناس ما هذا؟ ما أسرع ما أحدثتم لئن عادت لا أساكنكم فيها»^(٣).

قال كعب:

«إن الأرض إذا عمل فيها بالمعاصي ترتعد فرقاً من الرب - جل جلاله - أن يطلع عليها»^(٤).



(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ابن القيم / ٤٦ - ٤٧.

(٢) الجواب الكافي ابن القيم ص ٤٧.

(٣) الجواب الكافي ابن القيم ص ٥٢.

(٤) الجواب الكافي ابن القيم ص ٥٢.

الآثار الخطيرة المترتبة على الزنا

للزنا آثار خطيرة على الأفراد والمجتمعات، وكثرتها تفصلها فيما يأتي:

١ - الآثار العامة للمعاصي على الفرد والمجتمع.

٢ - الآثار المرضية للزنا.

٣ - الآثار الحضارية للزنا.

٤ - الآثار السلوكية والإجتماعية للزنا.

٥ - الآثار النفسية للزنا.

٦ - الآثار الإيمانية للزنا.

٧ - الآثار الخاصة على الزاني.

• أولاً: الآثار العامة للمعاصي على الفرد والمجتمع:

١ - حرمان العلم: فإن العلم نور يقذفه الله في القلب، والمعصية تطفئه.

قال الشافعي - يرحمه الله -:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي

وقال: أعلم بأن العلم فضل وفضل الله لا يؤتاه عاصي

٢ - حرمان الرزق: وفي المسند: «إن العبد ليحرم الرزق بالذنوب

بصبيه»^(١).

٣ - الوحشة التي يجدها الزاني والعاصي في قلبه بينه وبين مولاه.

ولو اجتمعت له لذات الدنيا بأسرها لم تف بتلك الوحشة، وهذا أمر لا

يحس به إلا من في قلبه حياة، وما لجرح بميت إيلام. فلو لم تترك الذنوب

(١) الجواب الكافي ابن القيم ص ٤٨.

إلا حذراً من وقوع تلك الوحشة لكان العاقل حرياً بتركها.

٤ - الوحشة التي يجدها العاصي والزاني بينه وبين الناس، ولا سيما أهل الخير منهم، وتقوى هذه الوحشة حتى تستحکم. فتقع بينه وبين امرأته وولده وأقاربه، وبينه وبين نفسه، فتراه مستوحشاً من نفسه.

٥ - تعسير أموره عليه، فلا يتوجه لأمر إلا يجده مغلقاً دونه أو متعسراً عليه.

٦ - ظلمة يجدها في قلبه حقيقة، يحس بها كما يحس بظلمة الليل البهيم. فإن الطاعة نور والمعصية ظلمة، وكلما قويت الظلمة ازدادت حيرته. حتى يقع في البدع والضلالات، والأمور المهلكة وهو لا يشعر. كأعمى خرج من ظلمة الليل يمشي وحده. وتقوى هذه الظلمة حتى تظهر في العين، ثم تقوى حتى تعلق الوجه وتصير سواداً فيه يراه كل أحد.

٧ - المعاصي تزرع أمثالها، ويولد بعضها بعضاً حتى يعزّ على العبد مفارقتها، والخروج منها، كما قال أحد السلف: «إن من عقوبة السيئة السيئة بعدها ومن ثواب الحسنة الحسنة بعدها».

٨ - أن المعصية سبب لهوان العبد على ربه، وسقوطه من عينه. قال الحسن البصري رضي الله عنه: «هانوا عليه فعصوه ولو عزّوا عليه لعصمهم، وإذا هان العبد على الله لم يُكرمه أحد، كما قال الله - تعالى -: ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨].

٩ - أنها تستدعي نسيان الله لعبده، وتركه وتخليته بينه وبين نفسه وشيطانه.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾ [الحشر: ١٩]. وكذلك نسيانه في الآخرة.

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً﴾ [طه: ١٢٤].

١٠ - إجترأ المخلوقات على المعاصي. فتجترئ عليه الشياطين بالأذى والإغراء والوسوسة والتخويف والتحزين، ويجترئ عليه كل أحد.

١١ - أنها تحدث في الأرض أنواعاً من الفساد في المياه والهواء والزرع والثمار والمساكن. ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

١٢ - أنها تزيل النعم وتحلّ النقم.. ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]

قال علي بن أبي طالب عليه السلام: «ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رفع إلا بتوبه». وقد قال - تعالى - : ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]. وقال - تعالى - : ﴿ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهُ لَمَّ يَكْ مُعِيراً نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الأنفال: ٥٣].

ولقد أحسن القائل:

إذا كنت في نعمة فارعها	فإن الذنوب تزيل النعم
وحطها بطاعة رب العباد	فرب العباد سريع النقم
وإياك والظلم مهما استطعت	فظلم العباد شديد الوحم
وسافر بقلبك بين الورى	لتبصر آثار من قد ظلم
فتلك مساكنهم بعدهم	شهود عليهم ولا نتهم
وما كان شيء عليهم أضر	من الظلم وهو الذي قد قصم
فكم تركوا من جنان ومن	قصور وأخرى عليهم الهم
صلوا بالجحيم وفات النعيم	وكان الذي نالهم كالحلم

• ثانياً: الآثار المرضية:

من آثار الزنا المرضية:

إنتشار الأمراض الجنسية، كمرض الزهري والسيلان والقروح السيالة، وطاعون العصر. «الإيدز»، روى الحاكم بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «إذا ظهر الزنا والربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله»^(١).

(١) المستدرک علی الصحیحین ٣٧/٢، وقال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد.

ويقول عليه الصلاة والسلام: «وما تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم البلاء»^(١).

ويقول، عليه الصلاة والسلام: «لم تظهر الفاحشة في قوم حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا»^(٢).

فكم من شاب وقع فريسة هذا المرض الفتاك.

يقول الدكتور نيكول مدير قسم الأمراض الزهرية في مستشفى سان توماس بلندن: «إن المشكلة التي تواجهنا اليوم هي تبدل قيمنا الأخلاقية التي شجعت وتشجع على إقامة العلاقات الجنسية المحرمة، وهذه بدورها سببت ازدياداً حاداً في إصابات الأمراض الناتجة عن الإباحية الجنسية».

ومما يؤكد تأثير الزنا في انتشار الأمراض الجنسية، وجود هذه الأمراض الجنسية بكثرة في الدول التي انتشر فيها الزنى إلى درجة أنه أصبح من العادي وجود هذه الأمراض حتى في صفوف الشباب الصغار، والفتيات الصغيرات الذين بدأوا يمارسون العلاقات المحرمة، وكم نادى مثقفوهم بعد أن أدركوا بعض العواقب الدنيوية، ولكن لا حياة لمن تنادي.

• ثالثاً: الآثار الحضارية:

إن الفوضى الجنسية التي امتازت بها المجتمعات المتحضرة اليوم. والتي يسمونها المجتمعات التقدمية قد جردت النفس البشرية من كل خلق وفضيلة، وجعلت من الإنسان حيواناً بهيمياً بعيداً عن الأخلاق والقيم، وإنما تقاس الأمم بأخلاقها.

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا
كذا الناس بالأخلاق يبقى صلاحهم ويذهب عنهم أمرهم حين تذهب^(٣)

(١)(٢) رواه ابن ماجه (٤٠١٩) وقال في الزوائد هذا الحديث صالح للعمل به، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٠٦).

(٣) قائلها أحمد شوقي: انظر: الشوقيات ١٤/١ ص ٤٤.

وهذه نماذج من اعترافات أبناء الغرب نحو حضارتهم الزائفة:
يقول الرئيس ولسون قبل وفاته بأسابيع: «إن حضارتنا لا تستطيع
الاستمرار في البقاء من الناحية المادية إلا إذا استردت روحانيتها.
إعتراف آخر:

يقول البروفيسور «سيمون جارجي»، رئيس مركز الدراسات الشرقية
بجامعة جنيف. يقول في اعترافه: «إنا من الذين يعيشون نوعاً من الوجع على
ما وصلت إليه حضارتنا المادية.. إنا نعيش أزمة ضمير ووجدان خانقة،
وإنني من المعتقدين أن حضارتنا الغربية بمفهومها القديم والتقليدي هي الآن
في حالة احتضار، وإنا نعيش الآن نوعاً من موجة التحول الذي لا نعلم ماذا
سينتج عنه، نحن الآن نشاهد حضارة تنازع وتوشك على الموت - وستموت
بلا شك - وهي تموت ولا بد أن ينشأ عنها حضارة جديدة.. أما إذا تساءلنا
عن السبب. فهناك أسباب عديدة منها بالأخص أن الغرب قد فقد المرتكزات
الروحية، والثقافية الدينية، التي كان يرتكز عليها، فلم يعد هناك شيء يركن
إليه، فالديانة النصرانية فقدت مقوماتها والتوق إلى الروحانيات إنتهى واضمحل
من النفوس، فأصبح في الغرب نوع من الفراغ، ونوع من الضياع الشامل،
تكتوي به الآن الأجيال الشابة، وأكبر برهان على ذلك أن هناك إقبالاً شديداً
بين شباب الغرب على دراسة ما نسميه عندنا في الجامعات بـ «تاريخ
الديانات»^(١).

• رابعاً: الآثار الاجتماعية والسلوكية:

وذلك أن الانحرافات الجنسية لا تقتصر آثارها على الفرد، بل تتجاوز
ذلك إلى المجتمع ككل، فيصبح المجتمع يعيش فوضى جنسية وانحرافات
أخلاقية، وإليك بعض صور الآثار الاجتماعية والسلوكية:

(أ) مرض النضج الجنسي المبكر:

والذي ذقت ويلاته أوروبا، فتجد الفتاة أو الشاب يُراهن قبل أو انه.

(١) إعتراقات متأخرة. أحمد بن عبد العزيز المسند ص ١٣، ١٤.

(ب) الإنصراف عن الزواج:

لأن الشباب هم إفراغ هذه الطاقة، وقد هيئت له سبلها المحرمة. فما الداعي للزواج؟ لذلك نجد أن نسبة الإقبال على الزواج في الدول الغربية ضئيلة، وهي تتضاءل كلما فشت الفاحشة.

(ج) انهيار الأسرة:

لأن قيم الحياة الزوجية وأسس استقرارها قد تهدمت وتصدعت فالأخلاق الزوجية التي يتبادلها الزوجان بعضهما البعض من الرحمة والمودة والعفاف أصبحت من غرائب المجتمع المنحل!

(د) ضياع الأمن:

ذلك أن الذي يهتك ستره مع الله لا يبالي بأعراض الآخرين وسمعتهم، فكم من جريمة ارتكبت من أجل الحصول على المال للوصول إلى ارتكاب الفاحشة! وكم من نفوس تقتل من أجل ارتكاب هذه الجريمة! وقد أضحي اغتصاب الفتيات أمراً عادياً في المجتمعات التي انتشر فيها الزنى.

(هـ) انتشار أولاد الحرام:

الزانية من زنى بها لحظات، وتحمل العار في أحشائها تسعة أشهر، حتى إذا ما وضعته قتلته، وتكون بذلك قاتلة لنفس بريئة. أو رمته في مسجد أو غيره، ثم تتولى السلطات مشكورة احتواء هذا الطفل الذي لا ذنب له، وتتعهد في دار الرعاية، وربما صلح حاله، وربما لا يصلح، فينشأ في المجتمع بلا أم ولا أب ولا أخ ولا عم ولا قريب، وربما علم أحد عن حاله فيعيره، فينقم على المجتمع ويتوغل في الفساد، وتنحرف في الغالب شخصيته. فمن الذي يرُبيه ويُووجهه ويرشده؟ الوالد الزاني الذي أشبع رغبته في لحظات ولا يُهمه إلا البحث عن أخرى؟! أم هي الأم الزانية! فممن يأخذ العطف والحب والحنان؟!!

• خامساً: الآثار النفسية:

يقول ابن عباس رضي الله عنه: «إن للسيئة اسوداداً في الوجه، وظلمة في

القلب، ووهناً في البدن، ونقصاً في الرزق وبغضة في قلوب الخلق».

فالاستقرار النفسي، والسعادة القلبية لا يجلبها الحرام هبة يهبها الله لعباده الصالحين. ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

• سادساً: الآثار الإيمانية:

الزنا له آثار خطيرة على الإيمان فهو يخدش صفاءه، ويعكر مساره، ويكدر نقاءه، ويجعل صاحبه بعيداً عن خيار المؤمنين، بل إن إيمان الزاني يرتفع عنه كالظلة حال زناه.

يقول، عليه الصلاة والسلام: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»^(١).

والمعنى أنه لا يفعل هذه المعصية وهو كامل الإيمان، وحكي عن ابن عباس رضي الله عنهما ينزع منه نور الإيمان. وقال المهلب ينزع منه بصيرته في طاعة الله - تعالى -^(٢).

وقال عكرمة قلت لابن عباس رضي الله عنهما كيف ينزع الإيمان منه؟ قال: هكذا - وشبك بين أصابعه، ثم أخرجها فإن تاب عاد إليه هكذا، وشبك بين أصابعه^(٣).

الآثار الخاصة على الزاني:

١ - عدم قبول وإجابة دعاء الزاني.

روى أحمد والطبراني واللفظ له: «تفتح أبواب السماء نصف الليل فينادي منادٍ هل من داع فيستجاب له؟ هل من سائل فيعطى؟ هل من مكروب فيفرج عنه. فلا يبقى مسلم يدعو دعوة إلا استجاب الله ﷻ له إلا زانية تسعى بفرجها أو عشاراً»^(٤).

(١) رواه مسلم. انظر: صحيح مسلم ٧٦/١ حديث رقم (١٠٠) كتاب الإيمان باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي.

(٢) راجع صحيح مسلم بشرح النووي ١، ٤١/٢، ٤٢ باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي.

(٣) صحيح البخاري مع فتح الباري ٦١/١٢.

(٤) رواه أحمد والطبراني قال في مجمع الزوائد ورجال أحمد رجال الصحيح إلا أن فيه علي بن زيد وفيه كلام، وقد وثق. انظر: مجمع الزوائد ٨٨/٣.

ونستطع أن نجمل الأسباب المؤدية إلى الفاحشة فيما يلي:

- ١ - غياب التشريع الإسلامي .
- ٢ - معوقات الزواج .
- ٣ - الاختلاط .
- ٤ - التبرج والسفور .
- ٥ - خلو الرجل بالمرأة .
- ٦ - السفر خارج البلاد .
- ٧ - سفر المرأة بدون محرم .
- ٨ - أجهزة الإعلام المرئي منها والمسموع، والمكتوب، والمصور .
- ٩ - جهاز الهاتف .
- ١٠ - رفقاء السوء .
- ١١ - المخدرات .
- ١٢ - العمالة الوافدة .
- ١٣ - الفقر .
- ١٤ - العشق والغرام .
- ١٥ - وفرة المادة بيد الناس .
- ١٦ - البطالة لأن العمل يشغل الإنسان ويلهيه، ومتى فرغ الشخص من الأعمال بحث عن شهواته ورغباته .

هذه أبرز أسباب الفاحشة . وهي تكثر وتقل في المجتمع حسب نسبة دينه، وقيام أفراده بواجباتهم الشرعية، ووجود طائفة من أهل الخير تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وترغب في الفضيلة، وتنهى عن الرذيلة، فكلما قويت هذه الطائفة وكثر سوادها في المجتمع، قلت طرق الفاحشة، وسدت مسالكها .



أسباب الوقوع في الفاحشة

إن لكل جريمة أسبابها ودوافعها المؤدية إليها، وحتى نأمن وقوع أي فاحشة لا بد أن نسعى جادين إلى منع الأسباب المفضية إليها. فمتى ما وجدت الأسباب والدوافع وجدت النتيجة الحتمية غالباً. لذا جاء الإسلام بقاعدة سد الذرائع.

قال - تعالى -:

﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢].
﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ [البقرة: ١٦٨].

* أسباب الوقوع في الفاحشة:

أولاً: غياب التشريع الإسلامي:

وهذا سبب رئيسي ليس للزنا فحسب، بل لكل الانحرافات. فغياب التشريع الإسلامي عن الأسرة أدى إلى الانحراف، وغياب التشريع الإسلامي عن قوانين الجزاء كما هو الحال في كثير من البلاد التي لا تحكم شرع الله، أدى إلى انتشار هذه الجريمة وغيرها. وقد أجري استفتاء للمنحرفين في إحدى الدول، فكانت النتيجة أن ٢٢،٤٪ من مرتكبي جرائم هتك الأعراض كانوا يخشون الجزاء، وأن ٧٧،٦٪ لم يبالوا بالقانون.

وغياب التشريع عن ضمير الفرد وعدم مراقبته الله أدى إلى هذه الجريمة، وصدق الله إذ يقول: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفُوا اللَّهُ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

وقد أخبر الله عن عاقبة الذين يعرضون عن منهجه، وأنهم يعيشون في ضنك من العيش. قال - تعالى -:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ [طه: ١٢٤].

ثانياً: معوقات الزواج:

الزواج هو المجرى الطبيعي لإفراغ الغريزة الجنسية وإشباعها للطرفين، والإسلام لا يتصادم مع هذه الغريزة، لأن الله هو الذي أودعها في الإنسان. لكنه يوجهها الوجهة السليمة، وهي الزواج، ومتى وضع أمام الزواج معوقات وسدود وعقبة كؤود، فإن الغريزة تصبح كالسيل الجارف في الوادي الذي وضعت فيه السدود فطغى السيل.. وطغى الشباب.. ووقعت الفاحشة.

فوضع العقبات في طريق الزواج وتعسير أمره سبب من أسباب هذه الجريمة، فالزواج هو الحصن الواقي، المانع - إن شاء الله - من هذه الجريمة، لذلك قال ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج»^(١).

وقال: «إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض»^(٢).

فالزواج خير وسيلة شرعية، لإفراغ الغريزة الجنسية وإشباعها، وعلى أفراد المجتمع أن تتضافر جهودهم لتيسير أمره وتسهيلها، ليُقبل عليه الشباب والفتيات، ويبتعدوا عن أسباب الفاحشة. وما كان لمؤمن أن يقع مواقع الريبة، وطرق الحلال ميسرة أمامه، هذا إن كان صادق الإيمان سليم السريرة وإن حدث خلاف ذلك فليفتش عن إيمانه.

ومن أبرز معوقات الزواج:

١ - المغالاة في المهور:

حتى انصرف كثير من الشباب عن الزواج بسبب التكاليف الباهظة في الزواج، والطلبات المرهقة من أولياء الفتاة.

(١) رواه البخاري ومسلم. انظر: صحيح البخاري ٢٤/٣ وصحيح مسلم ٤/ ١٢٨.

(٢) رواه الترمذي: انظر: صحيح الجامع الصغير/ ١٣٤.

قال سماحة الشيخ عبد العزيز ابن باز رحمته الله:

فيا عباد الله اتقوا الله في أنفسكم، وفيمن ولاكم الله عليهن من البنات والأخوات وغيرهن، وفي إخوانكم المسلمين، واسعوا جميعاً إلى تحقيق البر في المجتمع، وتيسير سبل نموه وتكاثره، ودفع أسباب انتشار الفساد والجرائم، ولا تجعلوا نعمة الله عليكم سلماً إلى عصيانه، وتذكروا دائماً أنكم مسئولون ومحاسبون على تصرفاتكم^(١) كما قال - تعالى -:

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْتَلِنَّهِنَّ أجمعين ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر: ٩٢، ٩٣].

٢ - دعوى إكمال الدراسة:

فمن الأمور التي تقف حائلاً دون المبادرة للزواج دعوى مواصلة الدراسة. فالفتاة تعتبر الزواج عائقاً يقف دون تحقيق طموحاتها العلمية، وترى أن من الأفضل لها تأجيل الزواج.

والشباب يعتبر الزواج - أيضاً - عائقاً عن مواصلة دراسته.

ولذا نجد هؤلاء يعزفون عن الزواج بحجة التفرغ للدراسة، وأن الزواج عائق عن المواصلة والتفوق لأنه مسئوليه تحتاج إلى تحمل وتفرغ حتى أن بعض هؤلاء قد يقع في الحرام، ومع ذلك يعتبر هذا أيسر وأسهل من أن يقدم على الزواج الذي يُقيّد حرّيته - حسب زعمه - وكأن الحرية عند هؤلاء هي الإبتعاد عن الأخلاق والقيم، ولو أنهم التفتوا يمنة ويسرة ورأوا بعض الشباب الذين بادروا بالزواج وكيف استقرت أحوالهم، وتفوقوا في دراستهم بسبب هدوء النفس وراحة البال، وقلة التفكير، لوضعوا أقدامهم على الطريق الصحيح لكنهم عموا عن ذلك فكان من أمرهم ما كان.

ثالثاً: الاختلاط:

ويقصد منه اختلاط النساء بالرجال، وهذا سبب خطير من أسباب الوقوع في الفاحشة. يقول ابن القيم رحمته الله:

(١) التحذير من المغالاة في المهور والإسراف في حفلات الزواج. الشيخ عبد العزيز ابن باز ص ٩.

«ولا ريب أن تمكين اختلاطهن بالرجال أصل كل بلية وشر».

والاختلاط أنواع:

١ - الاختلاط في العمل:

ففي ظل دعوى الزمالة والصداقة وحرية العمل الوظيفي تبدأ المرأة بمجالسة الرجل لقضايا العمل. ثم تبدأ الأحاديث الشخصية، ثم التلطف من الطرفين، ثم الضحك، ثم التهادي، ثم تقع الكارثة! إن للمرأة حياةً وستراً يمنعها من الحرام، فمتى ما أسقطته فقد سهلت لنفسها الحرام.

فمشاركة المرأة للرجل في ميدان عمله، واختلاطها بالرجال بحجة العمل يؤدي ذلك كله إلى شر كبير، وفساد عظيم.

٢ - الاختلاط في بيوت الأقارب والأصدقاء:

حيث تجالس الفتاة أو المرأة المتزوجة الرجال الأجانب بحجة الصداقة لزوجها أو للعائلة أو القرابة، وهي بكامل زينتها، وقد تحدث الخلوة تحت ظل الثقة، وسقوط الكلفة، كما أن المصافحة من مباحات تلك الصداقات، والجلسات العائلية، فكم من خطيئة ارتكبت، وأعراض هتكت وأسر تهدمت من جراء هذا الإختلاط.

٣ - الاختلاط في أماكن التعليم والدراسة:

فيحدث التجاذب بين الجنسين، فكيف لنا أن نأمن اندفاع ذلك التجاذب عن حدوده الشرعية لا سيما عند الشباب، وقد اعترفت إحدى طبيبات الغرب، وتدعى «د. ماريون». فقالت: «وإنني اعتقد أنه ليس في الإمكان قيام علاقة بريئة من الشهوة بين الرجل والمرأة ينفرد أحدهما بالآخر أوقاناً طويلة. وكنت أسأل بعضهن ممن يتسمن بالذكاء كيف أمكن أن يحدث ذلك؟ أي الوقوع في الفاحشة، فكانت الفتاة تجيبني قائلة.. لم أستطع أن أضبط نفسي!».

ومجتمعاتنا الآمنة يخشى عليها أن تنزلق فيما وقع فيه الآخرون، إذا لم توجد الضمانات اللازمة، والفصل التام بين الجنسين في جميع مراحل التعليم

بما فيه الكليات العلمية والتطبيقية، لئلا يحصل ما لا تحمد عقباه ولأنه لا يمكن أن نجني من الشوك العنب.

٤ - الاختلاط في أماكن الترفيه والأسواق:

ففي مثل هذه الأجواء الصاخبة يتسكع الشباب اللاهث وراء المتعة، وتحدث الظواهر الخطيرة من إلقاء النظرات، وتبادل أرقام الهواتف، ويبدأ شياطين الجن والإنس بنسج الشباك حول الفتاة المسكينة، والتي تقدم خطوة وتؤخر أخرى في تجربتها الأولى.

لذا أنصح أولياء الأمور بالأمور التالية:

- ١ - منع الفتيات من الذهاب إلى السوق إلا مع أحد محارمها وفي حدود ضيقة جداً.
- ٢ - أن تخرج الفتاة مستترة تماماً ومحتشمة لأن قيمتها وقدرها بما تحمله من مبادئ سامية يأتي في مقدمتها الحياء والعفة.
- ٣ - المراقبة الدقيقة من أولياء الأمور لمن ولاهم الله عليهم، فلا يتركوا الحبل على الغارب دون متابعة وتوجيه.
- ٤ - المحاسبة أولاً بأول، فلا يتساهل ولي الأمر في سد باب الشر مهما كلفه ذلك من تضحيات.
- ٥ - التوعية العامة في البيت بأضرار الاختلاط والذهاب للأسواق والوقاية خير من العلاج.

رابعاً: التبرج والسفور:

فخروج النساء إلى الأسواق والمنتديات العامة متبرجات يؤجج نار الشهوة في نفوس الشباب.

لهذا نهى القرآن نهياً صريحاً عن إبداء النساء زينتهن لغير أزواجهن، وكم شاب وقع ضحية لامرأة متبرجة! وكم من امرأة خرجت متبرجة! وليس لها مقصد سيء وقعت ضحية لشباب لاهين عابثين، ولذا فمن الخير للمرأة ألا ترى الرجال ولا يراها الرجال.

خامساً: خلو الرجل بالمرأة:

سواء في المنزل أو السيارة أو العيادة أو العمل أو المحل التجاري أو غير ذلك، كما هو حال أكثر السائقين والخدم والأقارب الذين ليسوا من المحارم.

فالخلوة تفعل فعلها الشنيع بين الرجل والمرأة، لأن الشيطان ثالثهما، كيف لا وقد حذر الصادق المصدوق، عليه السلام: «إياكم والدخول على النساء، قالوا أرأيت الحمى يا رسول الله؟ قال الحمى الموت»^(١).

وقد بين عليه الصلاة والسلام علة تحريم الخلوة بامرأة أجنبية حيث قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلون بامرأة ليس معها ذو محرم منها فإن ثالثهما الشيطان»^(٢).

سادساً: السفر إلى خارج البلاد:

إذ أن السفر إلى خارج البلاد سبب قوي للوقوع في الفاحشة لا سيما دول الغرب التي لا تعد الزنا جريمة، لكونه بزعمهم من كمال الحرية التي تتمتع بها المرأة، ومتى أولع الشاب بالسفر للخارج، فإن الشباك تنصب له، ويسهل اصطياده، ولا شك أن القاعدة العامة - من العصمة ألا تقدر - تتضح أكثر في مثل هذه المجتمعات المفتوحة التي لا تراعي الدين والحياء، والعفة بل فتحت الأبواب لإشباع الشهوات من أي طريق غير عابثة باختلاط الأنساب، وضياع الأخلاق، وانتهاك الحرمات، وعلى قدر توغل المجتمع في الجريمة وانغماسه في الشهوات بقدر ما تكثر المشكلات وتوسع دائرتها، ولا يعرف خطورة هذا الأمر إلا من يتصدى لعلاج مشكلات الناس وقضاياهم الخاصة، وعند الهيئات والسجون والمحاكم الخبر اليقين.

(١) رواه مسلم. انظر: صحيح مسلم ١٧١١/٤ رقم الحديث (٢١٧٢) باب تحريم الخلوة بالأجنبية والدخول عليها.

(٢) انظر: مجمع الزوائد ١/٢٧٩.

سابعاً: سفر المرأة وحدها بدون محرم:

روى مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله، ﷺ قال: «لا تسافر المرأة ثلاثاً إلا ومعها ذو محرم»^(١).

روى الإمام مالك عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ، قال: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة يوم وليلة إلا مع ذي محرم منها»^(٢).

ولو كان هذا السفر للحج إلى بيت الله الحرام.

فسفر المرأة وحدها يعرضها لعبث العابثين من الكلاب الجائعة الذين لا يقيمون وزناً للأخلاق والأعراض، بل همهم إشباع رغباتهم بأي شكل، وعن أي طريق، وهم كثير- لا كثرةم الله -.

ثامناً: وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة:

أولاً: الوسائل المرئية، وتشمل: التلفاز، السينما، الفيديو.

ثانياً: الوسائل المسموعة، وتشمل: المذياع، المسجل.

ثالثاً: الوسائل المقروءة، وتشمل: الكتب، المجلات، الصور، والصحف.

أولاً: وسائل الإعلام المرئية:**١ - التلفاز:**

ويعتبر من أخطر الوسائل الإعلامية لما له من تأثير كبير على المشاهد وقدرته على جذب الانتباه، لذلك جاء في أحد التقارير العلمية لمنظمة اليونسكو أن الإنسان يحصل على معلوماته بنسبة ٩٠٪ عن طريق النظر، ٨٪ عن طريق السمع.

(١) رواه مسلم. انظر: صحيح مسلم ٩٧٥/٢ كتاب الحج باب سفر المرأة مع محرم إلى الحج وغيره برقم (٤١٣).

(٢) رواه أحمد وأبو داود والترمذي. انظر: صحيح الجامع ٥/٢٢٣.

بعض آثار التلفاز:

١ - يؤكد علماء النفس والإجتماع أن هناك علاقة ارتباط بين ازدياد جرائم العنف وازدياد البرامج المليئة بالسلوك الإجرامي وأعمال العنف.
٢ - التلفاز يمكن أن يثير الدوافع الجنسية والغريزية، كما أنها تثير عواطف المراهق.

٣- يحرص التلفاز على إظهار المرأة بالصورة العاطفية حتى يستغرقها الحب لفتاه.
لذا نوصي بأن تخلو برامج التلفاز من هذا النوع، ليكون قناة توجيه وتعليم، وتثقيف وإرشاد، وما ذلك على الله بعزيز.

٢ - السينما:

وهي من الوسائل التي لا تقل خطورة عن التلفاز- إن لم تفقه - فقد استطاعت قوى الشر السيطرة عليها، وتوجيهها توجيهاً خطيراً، تستطيع من خلاله دفع الشباب والفتيات من أبناء الأمة الإسلامية إلى مفاهيم خطيرة في العلاقات الإجتماعية، وخاصة في شئون الحب والزواج، وما تعرضه من انحراف وفساد، يقول مدير التلفزيون الفرنسي:

«إنه لا يوجد منذ سنين شريط واحد يصلح للعرض لاتجاه منتجي الأفلام إلى إنجاز أفلام عنيفة أو جنسية..»^(١).

٣ - أشرطة الفيديو:

والتي بدأت تنتشر في السنوات الأخيرة انتشاراً ذريعاً حتى هتكت ستر الحياء والدين والأخلاق عند الشباب والفتيات، حيث صاحبت إنتشار الأشرطة قضية خطيرة جداً ألا وهي الأفلام الجنسية الخالعة التي تعرض العري واللقطات الفاضحة جداً، والتي تصرع الشباب من الجنسين صرعاً إذا ما وقعوا في حبال هذه الأشرطة.

فمشاهدة الأفلام الساقطة الخالعة عبر الشاشة المرئية المتحركة أياً كانت هذه الشاشة لها أثرها البالغ السيء على الشباب وغيرهم.

(١) الإعلام في ديار الإسلام د . يوسف أبو هلاله ص٦٦ دار العاصمة - الرياض.

فهذه الأجواء الفاسدة، والمشاهدات الآثمة، لها آثارها في النفوس، لا سيما الشباب. بحيث لا ينفع معهم نصح الآباء أو توجيه المرابين والمصلحين، إلا أن يشاء الله رب العالمين.

ثانياً: الوسائل المقروءة وتشمل:

المجلات والكتب والصور والصحف:

المجلات: وهي قسمان:

- ١ - المجلات التي تحمل صور العري والخلاعة.
- ٢ - المجلات التي تحمل الأفكار المنحلة الداعية إلى الفحش والتفسخ. وإليك الآثار السيئة للصحف والمجلات والتي تبرز في الجوانب التالية:
- ١ - عرض الصور الخليعة للنساء الساقطات من الممثلات والمغنيات والراقصات، ويتم العرض بأبهى الصور.
- ٢ - عرض الصور عبر الإعلانات التجارية والتي غالباً ما تستخدم المرأة فيها كوسيلة لإثارة الدعاية.
- ٣ - تتبع أخبار الساقطات على أنهن قدوات لغيرهن من النساء مما يثير في النفوس الخاوية الرغبة في تقليدهن في اللباس والزينة.
- ٤ - تعمد الإكثار من الزوايا التي تعرض صوراً للنساء بتبرجهن وزينتهن مما يشجع غيرهن على التسابق بوضع صورهن.
- ٥ - عرض القصص والروايات التي يجد فيها أدباء الجنس بغيتهم في نشر الميوعة والإنحلال. يقول الدكتور مصطفى السباعي - يرحمه الله -: «إن هؤلاء الناس من أدباء الجنس يحملون بأيديهم معاول التهديم في صرح كياناتنا الداخلي، المتين، وهم في هذا الطريق الذي اختطوه لا يريدون بذلك مصلحة الأمة، ولا يندفعون وراء عقولهم، بل وراء أهوائهم وشهواتهم، وهم يبغون منه الإثراء المادي، بنشر هذا الأدب الرخيص المدمر بين الشباب والفتيات ليقبلوا عليه، ويلتئموا ما فيه»^(١).

(١) العفة ومنهج الاستعفاف يحيى بن سليمان العقيلي ص ٥٧.

نماذج مما تنشره المجلات

١ - نشرت إحدى المجلات عنواناً بارزاً: (ماذا يجب على الزوجة أن تفعل عندما يخون الزوج)؟! وكان الحل عبر رواية فيلم^(١). وفحوى الحل ماذا فعلت المرأة يوم علمت بالخيانة؟ هل أقامت الدنيا وأقعدتها، ونصحت زوجها وطلبت الطلاق كما تفعل بعض الزوجات؟ الرواية تقول: أن الزوجة المحبة لزوجها الحريصة على استمرار حياتها وبيتها مقتنعة أن زوجها يخونها بجسده، ولكن قلبه معها، فالخيانة الجسدية أمر طارئ يفيق منه الإنسان نادماً أسفاً. أما الخيانة العاطفية، وهو الأخطر، فهي اضطراب أساسي في الوجدان لا يجدي معه إصلاح أو رجعة! الزوجة العاقلة تعرف أنها مرحلة مؤقتة وحررة في حياتها الزوجية، ولكنها ليست مبرراً للهدم^(٢).

٢ - نشرت إحدى المجلات عن أصحاب أحد المطاعم قوله:

وإنما أتمنى أن يسمح للفتاة السعودية بأن تمارس مهنتها الأساسية في الطبخ في المطاعم والعمل بأعمالها من الغسيل والنظافة والطهو في حدود تعاليم ديننا الحنيف، بحيث لا يكون هناك اختلاط وإنما تقديم الوجبات من خلال سيور متحركة لا تنكشف المرأة أمام الرجال، والمحاسب يتلقى الطلبات من خلال نوافذ ساترة ثابتة، وهذا من شأنه إعطاء الفرصة للمرأة في الإسهام في الخدمة المطاعمية.

٣ - صورة أخرى: نشرت إحدى المجلات موضوعاً بعنوان: نقص فيتامين «د» في السعودية من المؤلف أن تظهر أعراض فيتامين «د» في البلدان

(١) الفيلم لإحسان عبد القدوس.

(٢) طبيك الخاص العدد (٦٥) ١٠ مايو عام ١٩٧٤م.

التي تغيب الشمس من سمائها معظم أيام العام، وخاصة مرض الكساح عند الصغار، ومرض لين العظام عند الكبار؛ لأن الأشعة فوق البنفسجية تؤثر على مادة الجلد، التي تنتمي إلى الكوليسترول، لهذا فمن غير المألوف أن يعاني سكان المناطق الحارة والمدارية من أمراض نقص هذا الفيتامين، غير أن مجلة طب المناطق الحارة نشرت بحثاً أكد معه كاتبه أن نقص فيتامين «د» ينتشر في السعودية - أيضاً - وخاصة بين النساء.

بالرغم من سماء السعودية الشمسة، وفي البحث عن سبب انتشار هذه الظاهرة بين النساء دون الرجال لم يجد الأطباء سبباً سوى الرداء الأسود التقليدي الذي يحجب أية أشعة فوق البنفسجية من أن تصل إلى الجسم.

غير أن الأطباء اكتشفوا مؤخراً ظهور حالات لنقص فيتامين «د» بين الرجال - أيضاً - من السعودية أو غيرهم مما أوحى للباحثين أن طبيعة الطعام السعودي يتميز بنقص هذا الفيتامين، ومن هنا ينصحون بتعمد التعرض لأشعة الشمس وتدعيم الطعام السعودي بفيتامين «د».

هذه نماذج مما نشر من هراء دافعه الحقد على هذا المجتمع الآمن، ومحاولة كسر حاجزه الصلب. ولكن الله لهؤلاء بالمرصاد، فيسمنون بالهزيمة في الدنيا - بمشيئة الله - وبالعذاب في الآخرة، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

أما المسموع من أجهزة الإعلام:

فيأتي في مقدمتها الغناء فهو بريد الزنى، وداع من دواعيه، لا سيما إذا صحبه كلمات الفحش والعشق والغرام يقول - تعالى -:

﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ۗ﴾ [الفرقان: ٧٢].

قال محمد بن الحنفية الزور هاهنا: الغناء.

ويقول - تعالى -:

﴿أَفِنَّ هَذَا الْحَدِيثَ تَعْبُونَ ۚ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ۚ وَأَنْتُمْ سَائِدُونَ ۚ﴾

[النجم: ٥٩ - ٦١].

قال عكرمة عن ابن عباس: السمود الغناء. في لغة حمير يقال: اسمدي لنا أي غني لنا^(١).

ويقول - تعالى -:

﴿وَمَنْ النَّاسَ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ يُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بَعِيرٍ عَلِيمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [لقمان: ٦].

ويقول، عليه الصلاة والسلام:

«ليكونن من أمتي قوم يستحلون الحر والحرير والخمر والمعارف»^(٢).

إن الغناء من أكثر الأسباب الداعية للفاحشة، ومن كان له إطلاع على حياة كثير من الشباب والفتيات الذين فتنوا بهذا الغناء الماجن الذي أصبح يسمع في البيوت بل في الأسواق والحدائق، وفي بعض المناسبات، ومتى تملك حب الغناء في القلب سهل اصطياده، وبالتالي إيقاعه في شرك الجريمة، نسأل الله أن يغسل قلوبنا من حب كل أمر محرم.

تاسعاً: الهاتف:

قد يستغرب بعض الناس أن يكون هذا الجهاز ذو الفائدة العظيمة سبباً من أسباب وقوع الفاحشة.



(١) إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان ابن القيم ١/٣٣٨، ٣٣٩.

(٢) رواه البخاري. انظر: صحيح البخاري ٤/١٣ رقم الحديث (٥٥٩٠) كتاب الأتربة باب ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسميها بغير اسمها.

المعاكسات الهاتفية وأثرها

- ١ - إن المعاكس ذئب
 - ٢ - يقول هيا تعالي
 - ٣ - قالت أخاف العار
 - ٤ - والأهل والإخوان
 - ٥ - قال الخبيث بمكر
 - ٦ - إنا إذا ما التقينا
 - ٧ - متى يجيء خطيبٌ
 - ٨ - لكل بنت صديق
 - ٩ - يذيقها الكأس حلواً
 - ١٠ - للسوق والهاتف والملهى
 - ١١ - إنما التشديد
 - ١٢ - ألا ترين فلانة
 - ١٣ - وإن أردت سببياً
 - ١٤ - وانقادت الشاة
 - ١٥ - فيالفحش أتمته
 - ١٦ - حتى إذا الوغد أروى
 - ١٧ - قال اللئيم وداعاً
 - ١٨ - قالت ألما وقعنا
 - ١٩ - قال الخبيث وقد
 - ٢٠ - كيف الوثوق بغرّ
 - ٢١ - من خانت العرض يوماً
- يغري الفتاة بحيلة
إلى الحياة الجميلة
والإغراق في درب الرذيلة
والجيران بل كل القبيلة
لا تقلقي يا كحيلة
أمامنا ألف حيلة
في ذي الحياة المليلة
وللخليل خليله
ليسعدا كل ليلة
حكايات جميلة
والتعقيد أغلال ثقيلة
ألا ترين الزميلة
فالعرس خير وسيلة
للذئب على نفس ذليلة
ويا فعالٍ وبيلة
من الفتاة غليله
ففي البنات بديلة
أين الوعود الطويلة
كشر عن مكر وحيلة
وكيف أرضى سبيله
عهودها مستحيلة

- ٢٢- بكت عذاباً وقهراً على المخازي الوبيلة
 ٢٣- عار ونار وخزي كذا حياة ذليلة
 ٢٤- من طاع الذئب يوماً أوردته الموت غيلة
 عاشراً: رقاء سوء:

وهم أخطر ما يكون على حياة القلب السليم، فكم من شاب زلت قدمه، فوقع في الفاحشة، ووقع في هاوية سحيقة ما لها من قرار بسبب الرفقة السيئة.

قال - تعالى :- ﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَنْتَبِهِي أَنَّتَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَتَوَلَّى لِيَتَّبِعْنِي لِمَ أَخَذْتُ فَأُلَانَا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفرقان: ٢٧، ٢٨، ٢٩].

ويقول، عليه الصلاة والسلام:

«مثل المجلس الصالح والمجلس السوء كحامل المسك ونافخ الكبر»^(١).
 فإياك إياك والرفقة السيئة الغاوية.

يقول أحد الشباب الذين وقعوا في الفاحشة بسبب النظر إلى الأفلام: إن أول مرة شاهدت فيها هذه الأفلام كان منذ سنين حين كنت في زيارة لأحد أصدقائي.

أحد عشر: المسكرات وخاصة المخدرات:

المخدرات ذلك السلاح الذي استغله أعداء الإسلام، ليحطموا به شباب المسلمين، ويهدموا جسور الأخلاق عندهم، وجعلهم ينغمسون في وحل الرذيلة والفاحشة.

فمن المسلمات أن المرء إذا زال عقله ساغ له أن يزني ويفعل كل شيء. ومن المحزن حقاً أن شبابنا امتدت أيديهم إلى هذه المسكرات والمخدرات، وأقدموا بسبب ذلك على كل جريمة، فيتموا أطفالهم ورملوا

(١) صحيح الجامع ١٩٥/٥.

زوجاتهم. وهناك قصص يشيب لها رأس الرضيع، فمن متعاطي المخدرات من وقع على أخته، ومنهم من أرخص عرضه للحصول على المخدر، إلى غير ذلك من الأعمال الوحشية والجرائم البشعة^(١)!!.

إثنا عشر: العمالة الوافدة:

من خدم وسائقين وخادمات ومربيات وغيرهم، وكم حصل بسبب هؤلاء من المآسي الكثيرة التي تفرق بسببها أسر، وضاعت أخلاق، وتشردت أطفال، إن وجود السائق في البيت وتهاون الناس في دخوله على المحارم جعل هذا الرجل وهو غير مسلم أحياناً يتعرض للنساء بكل وسيلة متاحة له، فتارة يصف شعره، وتارة بتجميل ملابسه، وثالثة بوضع الأصباغ على وجهه والنساء في البيت ينظرن إليه صباح مساء، وأحياناً يغفل الرقيب، ويخلو بهن، ويكون الثالث الشيطان، فيحدث ما لا تحمد عقباه، وكم من فتاة ذاقت الويلات بسبب وقوع السائق عليها، وكم ولي أمر سافر بابتته لبلد آخر لتضع فيه بعيداً عن يعرفونهم، والذي يزيد المسلم حسرة وألماً أن بعض الناس يدرك ذلك، وإذا تحدثت معه عن خطر السائقين، قال نعم! وقد حدث كذا وكذا، ولكن إذا جاء التطبيق وجدت مثل هذا المسكين يضعف أمام نسائه، وأحياناً أمام أعراف وعوائد ما أنزل الله بها من سلطان.

أما مصائب الخدم والخادمات فحدث عنها ولا حرج، ولعل في دوائر الهيئات والسجون والمحاكم، ما يقنع كل منصف وعاقل.

ثلاثة عشر: الفقر:

لقد كفل الإسلام الحياة الرغيدة، والعيش الطاهر في ظل حمى الإسلام. وكل مجتمع فيه الغني وفيه الفقير، وهذه حكمة الله حيث يقول - سبحانه -: ﴿أَمْهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ إِنَّهُمْ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الزخرف: ٣٢].

فإذا وجد في المجتمع فالمسئولية هنا تقع على ولاة أمر المسلمين، بأن

(١) راجع كتاب المخدرات في الفقه الإسلامي د. عبد الله بن محمد الطيار.

يكفلوا لهذا المحتاج ما يحتاجه، ويمنعوه من الوقوع في الحرام بسبب الفاقة .
وكذلك الحال بالنسبة لأغنياء المسلمين، فالواجب عليهم أن يعطوا زكاة
أموالهم كاملة غير منقوصة، ويتحسسوا الأرامل والمطلقات، ليعفوهن من
الوقوع في الحرام تحت ضغط الحاجة .

ومع ذلك لا يجوز للمرأة أن تزني تحت هذا الظرف .

أمطعمة الأيتام من كد فرجها لك الويل لا تزني ولا تتصدق
وعلى من يتصيدون مثل هذه الظروف أن يتقوا الله ﷻ وأن يتقوا يوماً
يرجعون فيه إلى الله، ويتذكروا أن لهم عورات وحرمان، وأن هتكهم لعورات
الآخرين معناه هتك الآخرين لعوراتهم .

أربعة عشر: العشق والغرام:

فالعشق والحب والغرام من أسباب الوقوع في الفاحشة إذ أن العشق
تعلق القلب بالمعشوق أياً كان، وكم من شاب وفتاة كان العشق نهايتهما،
فليتبه الغافلون، وليعقل العابثون .

نهاية عشق مأساوي:

يروى أن رجلاً عشق حتى اشتد كلفه بمن عشق، ومرض بسبب معشوقه
مرضاً ألزمه الفراش، وتمنع المحبوب عليه، واشتد نفاره عنه، فلم تزل
الوسائط بينهما حتى وعد المعشوق بأن يعود العاشق فأخبره بذلك الناس،
ففرح واشتد فرحه وانجلي غمه، وجعل ينتظر للميعاد الذي ضرب له، فبينما
هو كذلك إذا جاءه الساعي فقال له: إنه وصل معي إلى بعض الطريق،
ورجع، فلما سمع العاشق البائس أسقط في يده، وعاد أشد مما كان عليه،
وبدت عليه علامات الرحيل من الدنيا، فجعل ينشد هذه الأبيات:

أسلم يا راحة البال العليل ويا شفاء المدنف النحيل
رضاك أشهى إلى فؤادي من رحمة الخالق الجليل

فقيل له يا فلان اتق الله! فقال قد كان، فما جاوز باب داره حتى سمع

صيحة الموت .

سبل الوقاية من الزنا:

قدم الإسلام العديد من التدابير التي تساعد على تهيئة المناخ الإسلامي الذي من شأنه أن يقلل من الوقوع في الزنا، ولو التزمت المجتمعات بهذه السبل لما وصلنا إلى ما وصلنا إليه اليوم من الوقوع في الفواحش والتساهل في الحشمة والحياء! ولكن متى يستقيم الظل والعود أعوج.



إتخاذ الإسلام منهاج حياة..

الحقيقة البينة والثابتة شرعاً وتاريخاً وواقعاً أن هذه الأمة ما إن تباعدت عن شريعة الله قيد شعرة إلا وتكالت عليها المصائب والأزمات من خارجها ومن داخلها. كيف لا والله ربنا - تبارك وتعالى - قد أذّر وتوعد في القرآن الكريم الأمة المعرضة عن دينه. فقال - جل وعلا - محذراً: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٤].

ومتى اتخذ الأفراد على جميع مستوياتهم الإسلام منهاجاً لحياتهم فإن الإيمان سيمنعهم - بإذن الله - من الوقوع في الحرام، لأنهم يمثلون أوامر الله، ويجتنبون نواهيه.

أتى رجل إلى امرأة وأراد أن يعتدي عليها، وقال لها لا أحد يرانا إلا هذه الكواكب، فقالت له: أين مكوكب الكواكب! وحتى لو زلت القدم ووقع بالزنا فإن ضميره يعذبه ويؤنبه.



الزواج

هو الطريق الفطري، الذي يحقق للطاقة الغريزية هدفها الإنساني، فضلاً عن تحقيقه للأنس والإستقرار، والراحة والمتعة الحلال.

قال - تعالى -: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾﴾ [النور: ٣٢].

غض البصر:

فإنه من الأسباب القوية الواقية من الزنا، لذلك أمر الله - تعالى - بغض البصر، فقال: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ [النور: ٣٠]. فكم من نظرة عابرة قتلت قلب صاحبها، وأوردته المهالك. فكثير من الشباب يتهاون في إطلاق بصره على الصور الفاضحة القاتلة، سواء عبر الشاشة أو المجلة أو إلى النساء مباشرة. ثم ترتسم الصورة في ذهنه فتثور نفسه، ومن ثم يبحث عما يظفيء ما سببته هذه النظرة، وصدق من قال:

كل الحوادث مبدأها من النظر	ومعظم النار من مستصغر الشرر
كم نظرة فعلت في قلب صاحبها	فعل السهام بلا قوس ولا وتر
والمرء مادام ذا عين يقلبها	في أعين الغير موقوف على خطر
يسد مقلته ما ضر مهجته	لا مرحباً بسرور عاد بالضرر



منافع وفوائد غض البصر عن المحرمات^(١)

- ١ - أنه امتثال لأمر الله - تعالى - الذي هو غاية سعادة العبد في معاشه ومعاذه.
- ٢ - أنه يمنع وصول أثر السهم المسموم الذي فيه هلاكه إلى قلبه.
- ٣ - أنه يورث القلب أنساً بالله، وجميعه عليه فإن إطلاقه يفرق القلب ويشتته.
- ٤ - أنه يورث قوة القلب وثباته وشجاعته، فيجعل له سلطان البصيرة مع سلطان الحجّة.
- ٥ - أنه يلبس القلب نوراً وإشراقاً كما أن إطلاقه يلبسه ظلمة.
- ٦ - أنه يورث فراسة صادقة، يميز بها بين الحق والباطل، فإن صحة الفراسة من النور.
- ٧ - أنه يسد على الشيطان مدخله إلى القلب، فإنه يدخل مع النظرة أسرع من نفوذ الهواء في المكان الخالي.
- ٨ - أنه يفرغ القلب للفكرة في مصالحه والاشتغال بها، وإطلاقه ينسيه ذلك، ويلهيه عنه.
- ٩ - أن بين العين والقلب منفذاً وطريقاً يجعل أحدهما يصلح بصلاح الآخر، ويفسد بفساده.
- ١٠ - أنه يفتح له طرق العلم وأبوابه، ويسهل عليه أسبابه، وذلك بسبب نور القلب فإنه إذا استنار ظهرت فيه حقائق المعلومات، وانكشفت له بسرعة،

(١) الجواب الكافي ابن القيم ٢١١ وما بعدها.

ونفذ من بعضها إلى بعض، ومن أرسل بصره تكدر عليه قلبه، وأظلم وانسد عليه باب العلم وطرقه.

١١ - تخليص القلب من ألم الحسرة، فإن من أطلق نظره دامت حسرته، فأضر شيء على القلب. إرسال البصر فإنه يريد ما يشتد طلبه إليه، ولا صبر له ولا وصول إليه، وذلك غاية ألمه.

١٢ - أنه يورث القلب سروراً وفرحاً وانشراحاً أعظم من اللذة والسرور الحاصل بالنظر، وفيها مسرة نفسه الأمانة بالسوء أعضاه، الله - سبحانه - مسرة ولذة أكمل منها.

١٣ - أنه يخلص القلب من أسر الشهوة، فإن الأسير هو أسير شهوته فهو كما قيل: طليق برأي العين وهو أسير.

١٤ - أنه يقوي عقله ويزيده ويثبته، فإن إطلاق البصر وإرساله لا يحصل إلا من خفة العقل وطيشه، وعدم ملاحظته للعواقب، فإن خاصة العقل ملاحظته للعواقب، ومرسل النظر لو علم ما تجني عواقب النظر عليه لما أطلق بصره.

قال الشاعر:

وأعقل الناس من لم يرتكب سيباً حتى يفكر ما تجني عواقبه
١٥ - أنه يخلص القلب من سكر الشهوة، ورقدة الغفلة، فإن إطلاق البصر يوجب استحكام الغفلة عن الله والدار الآخرة، ويوقع في سكرة العشق، وسكر العشق أعظم من سكر الخمر.



من صور العفاف ومراقبة الله

١ - يوسف عليه السلام:

شاب في ريعان الشباب والفتوة، دعته امرأة ذات منصب وجمال، والظروف مهيأة، والأبواب مغلقة، والسبل ميسرة كما قال - تعالى -:

﴿وَرَوَدَتْهُ الْمَتَىٰ وَهُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَعَلَقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ [يوسف: ٢٣].

فماذا كان موقف يوسف، ﷺ أمام هذا الإغراء اللامع، وتلك الفتنة التي تخطف الأبصار، هل خضع لها واستسلم لنزعة النفس؟ لا!

وإنما قال: ﴿مَعَادَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣].

ولقد حاولت امرأة العزيز بإغرائها وكيدها أن تلين من قناة يوسف وصلابته. إلا أنه استعف والتجأ إلى الله يسأله السلامة والعصمة بل إنه آثر السجن على الفاحشة، كما قال: ﴿رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا نَصَّرَفَ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣].

٢ - امرأة مؤمنة:

في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذهب زوجها إلى الجهاد، وغاب عنها كثيراً، وهنا تخيم عليها كآبة الوحشة، وتهجم عليها هواجس الوحدة، ويثور في عرقها دم الأنوثة، وتتأجج فيها نار الغريزة، فلا يصددها عن ارتكاب المحرم إلا ضمير الإيمان ووازع المراقبة لله.

وفي جنح الليل سمعها عمر رضي الله عنه تنشد وتقول:

لقد طال هذا الليل واسود جانبه وأرقني ألا حبيب أعبه
 فو الله لو لا الله تخشى عواقبه لحرك من هذا السرير جوانبه
 وفي اليوم الثاني دخل عمر رضي الله عنه على ابنته حفصة أم المؤمنين، وقال لها
 كم تصبر الزوجة على زوجها إذا غاب؟
 قالت أربعة أشهر.

فأرسل الخليفة الراشد إلى قواده المرابطين في جبهات القتال يأمرهم:
 ألا يحبسوا جندياً عن أهله أكثر من أربعة أشهر^(١).

٣ - الربيع بن خيثم:

عرض قوم من أهل السوء على امرأة ذات حسن بارع وجمال قاهر ألف
 درهم مقابل أن تغوي الربيع بن خيثم الشاب العابد، فلبست أحسن ما قدرت
 عليه من اللباس والزينة. ثم تعرضت له حين خرج من المسجد فراعته أمرها.
 فاقبلت عليه وهي سافرة، فقال الربيع بن خيثم:

كيف بك لو قد نزلت الحمى بجسمك فغيرت ما أرى من لون بهجتك؟
 أم كيف بك لو قد نزل بك ملك الموت فقطع منك جبل الوتين؟ أم كيف بك
 لو سألك منكر ونكير؟ فصرخت فسقطت مغشياً عليها، فوالله لقد أفاقت،
 وبلغت من عبادة ربها أنها كانت تلقب بعبادة بغداد^(٢).

* كان بالكوفة فتى جميل الوجه، شديد التعبد والإجتهاد، وكان أحد
 الزهاد فنظر يوماً إلى جارية فهويها وهام بها عقله، ونزل بها مثل ما نزل به،
 فأرسل يخطبها من أبيها، فأخبره أبوها أنها مسماة لابن عمها، واشتد عليهما
 ما يقاسيان من ألم الهوى، فأرسلت إليه الجارية: قد بلغني شدة محبتك
 لي، وقد اشتد بلائي بك، لذلك مع وجدي بك، فإن شئت زرتك وإن شئت
 سهلت لك أن تأتيني إلى منزلي، فقال للرسول: لا واحدة من هاتين

(١) الإسلام والجنس د. عبد الله ناصح علوان ص ١٦، ١٧.

(٢) كتاب التوايين ابن قدامة ٢٦٢.

الخصلتين ﴿إِنِّي أَخَافُ إِنَّ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الزمر: ١٣].

أخاف ناراً لا يخبو سعيها، ولا يحمد لهبها، فلما انصرف الرسول إليها فأبلغها ما قال، قالت: وأراه مع هذا زاهداً يخاف الله - تعالى - والله ما أحد أحق بهذا من أحد، وإن العبادة فيها لمشركون. ثم انخلعت من الدنيا، وألقت علائقها خلف ظهرها وأصبحت عابدة^(١).



(١) كتاب التوايين. ابن قدامة المقدسي ص ٢٦٧.

نصائح غالية

١ - يقول عليه الصلاة والسلام:

«من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة»^(١).

٢ - الجوارح الناطقة:

إنه مشهد رهيب يوم أن تنطق جوارحك يوم القيامة شاهدة عليك عند الله، وقد كنت تسعى لإمتاعها بالحرام في الدنيا.

قال - تعالى -: ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لِمَ لُجُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [فصلت: ٢٠، ٢١].

ضحك النبي ﷺ، فسئل عن ذلك، فقال:

«عجبت من مجادلة العبد ربه يوم القيامة، يقول: أي رب أليس وعدتني أن لا تظلمني؟ فيقول - تبارك وتعالى -: أليس كفى بي شهيداً وبالملائكة الكرام الكاتبين؟ قال فيردد الكلام مراراً فيختم على فيه، وتكلم أركانه بما كان يعمل، فيقول بعداً لكن وسحقاً عنكن كنت أناضل»^(٢).

٣ - الجزاء من جنس العمل:

أتظن - أخي الشاب - أنك إذا أطلقت العنان لشهوات نفسك، دون وازع من دين، أو رادع من ضمير، أو ضابط من سلوك، أنك في مأمن وسلام؟

(١) صحيح الجامع ٣٧٢/٥.

(٢) رواه مسلم (٢٩٦٩).

أظن حين تعبت بأعراض الناس أنك لا تبثلى بمن يعث بأعراضك؟
إن كان هذا يهكم فاسمع قول الإمام الشافعي:

عفوا تعف نساؤكم في المحرم	وتجنبوا ما لا يليق بمسلم
إن الزنا دين إذا أقرضته	كان الوفا من أهل بيتك فاعلم
يا هاتكاً حرم الرجال وقاطعاً	سبل المودة عشت غير مكرم
لو كنت حراً من سلالة ماجد	ما كنت هتاكاً لحرمة مسلم
من يزن يُزن به ولو بجداره	إن كنت يا هذا لبيباً فافهم ^(١)

٤ - باب التوبة مفتوح:

قال - تعالى -:

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ فَعَسَىٰ أَلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُبْصِرُوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

نعم إن باب التوبة مفتوح، والله أرحم بعباده منهم بأنفسهم. ولكن متى ينتصر المسلم على هواه وشهواته وعواطفه؟! متى يقف مع نفسه وقفة الرجال الشجعان الذين لا يطلقون لشهواتهم العنان؟! بل تكون عواطفهم ورغباتهم موزونة بشرع الله، محفوفة بأداب الإسلام وأخلاق القرآن.

٥ - خطر ممنوع الاقتراب:

قال - تعالى -:

﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ [الطلاق: ١].

لو أن إنساناً وجد لوحة مكتوب عليها [خطر ممنوع الاقتراب] لابتعد عنها وأبعد كل من يحب، ولكنه يقرع سمعه في كل وقت النهي عن حدود الله، ومنه الاقتراب منها، ومع ذلك يقترف ذلك جهاراً نهاراً والله مطلع عليه يعلم - سبحانه - خائنة الأعين وما تخفي الصدور!!.

(١) ديوان الإمام الشافعي جمع وشرح نعيم زرزور للإمام الشافعي ٩٨/٩ دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ١٤٠٦هـ.

كتاب

فيض الرحيم الرحمن

في أحكام ومواعظ

رمضان

الجزء الأول

تقدم معالي الشيخ صالح بن فوزان الفوزان

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد: فإني عن أمانة المسكون
 بما جرت به أحوالنا من عجزنا عن أداء ما علينا من عبادة الله تعالى وعبادة ربه المخصوص لأصحابنا أركاننا الإسلامية
 فقد أصررت علماء المسألة قديما وحديثا ببيان أحكام صيام شهر رمضان المبارك الذي هو أحد
 أركاننا الإسلامية وما تتطلبه هذه العبادة العظيمة كغيرها من العبادات من أحوالها ومقتضاها
 للرسول صلواته عليه وآله وسلم في أحوالها وتجنب ما يخل بها من الأقوال والأفعال والمقاصد.
 ومن ذلك ما كتبه أئمتنا الشيخ الدكتور عبد الله بن محمد الطيار من مؤلف مفيد في هذا الموضوع
 أسماه: (فضيلة الرهيم الرحيم) وقد قرأته فوجدته كتابا قيما مفيدا يشتمل على أحكام
 ومواظب تصد المسلم وتحرك القلوب وترسم الميزان الصحيح للصائم القائم في هذا الشهر
 المبارك فهو أسهل من جميع مؤلفي وفقهاء في توجيه المسألة إلى المصطفى الصحيح
 فجزاه الله خيرا وأثابه وجعل عملنا وعمله صالحا خالصا لوجهه الكريم
 وحمد الله وتم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

كتبه:

صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

تقديم معالي الشيخ صالح بن فوزان الفوزان

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين وبعد: فإنه لما كان المسلمون بحاجة إلى بيان أحكام دينهم عموماً وأحكام عباداتهم على وجه الخصوص لا سيما أركان الإسلام فقد اهتم علماء المسلمين قديماً وحديثاً ببيان أحكام صيام شهر رمضان المبارك الذي هو أحد أركان الإسلام وما تتطلبه هذه العبادة العظيمة كغيرها من العبادات من إخلاص لله ومتابعة للرسول ﷺ في أدائها وتجنب لما يخل بها من الأقوال والأعمال والمقاصد.

ومن ذلك ما كتبه أخونا الشيخ الدكتور عبد الله بن محمد الطيار من مؤلف مفيد في هذا الموضوع أسماه: «فيض الرحيم الرحمن» وقد قرأته فوجدته كتاباً قيماً مفيداً يشتمل على أحكام ومواعظ تفيد المسلم وتحرك القلوب وترسم المنهج الصحيح للصائم القائم في هذا الشهر المبارك فهو إسهام جيد من المؤلف وفقه الله في توجيه المسلمين إلى الطريق الصحيح. فجزاه الله خيراً وأثابه وجعل عملنا وعمله صالحاً خالصاً لوجهه الكريم. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه:

صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الذي كرم الإنسان بالعلم والحجى، وهدى المؤمنين بنور الكتاب الذي لم يجعل له عوجاً، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، الذي من تبعه فقد نجى، الذي أنزل إليه القرآن الكريم فأشرق الصبح وزال الدجى. أما بعد... فقد قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

الصيام أحد أركان الإسلام ومبانية العظام، شرعه الله لمصالح كبيرة تنفع المسلمين في الآجل والعاجل وخصه بأحكام كثيرة يحتاج المسلم إلى معرفتها والعمل بها ليكون صومه صحيحاً وعمله صائباً وقد بين أهل العلم أحكام الصوم، وفصلوها في مظانها من مؤلفاتهم ودرج بعضهم على تأليف كتاب يقرأ على المسلمين في رمضان يجمع أحكام الصيام وغيرها مما يحتاجه المسلم في شؤون دينه ودنياه وتلك سنة حميدة؛ لأن الناس يقبلون في هذا الشهر على سماع المواعظ والتأثر بها، فكلما كانت الموعظة شاملة والحكم مبيناً بدليله كان ذلك أدهى للقبول والانصياع، ومن هذا المنطلق قمت بوضع هذه الدروس، ولسائل أن يسأل أليست الكتب في هذا الشأن كثيرة، فلماذا الكتابة فيها؟ وأقول أن سبب الكتابة فيها أمور ثلاثة:

أولها: طلب مني من طلبه عندي محل القبول والتقدير أن أضع كتاباً في دروس رمضان يجمع بين الحكم بدليله والموعظة السليمة من الشوائب فسارعت لتلبية طلبه وتحقيق رغبته وفاء وتقديراً وعرفاناً بالجميل لأهله.

ثانياً: اطلعت على كثير من الكتب المعنية بهذا الشأن فرأيتها بين كتاب علمي لا يناسب عامة الناس، وكتاب يهتم في الجملة بالوعظ على حساب الأحكام الشرعية، فرأيت أن، أضع كتاباً بجمع بين الأحكام الشرعية التي يحتاجها الصائم وغيره وبين الموعظة الهادفة والتوجيه الصادق بأسلوب سهل يناسب عامة الناس.

ثالثها: تم تكليفي بكتابة مؤلف في الصيام على غرار ما صدر - حول الزكاة - فلما رأيت المادة العلمية متوفرة ناسب أن أصوغ كلمات وعظية لعل الله أن ينفع بها ويجعلها ذخراً لي يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وقد جعلت الكتاب في فصول ثلاثين، كل فصل منها تناسب قراءته في ليلة من ليالي شهر رمضان ورأيت أن أقسم كل فصل إلى قسمين، قسم: يشتمل على حكم شرعي بدليله، وقسم يشتمل على موعظة أو توجيه، وقد حلته بما يناسب من الأشعار لأنها تحرك النفوس وتروح عنها.

وأخيراً أيها القارئ الكريم أحملك أمانة النصيحة، فما رأيت فيه من ملاحظات أو هفوات، فابعث بها إلي وأنت صاحب الفضل والمعروف، فالمرء قليل بنفسه كثير بإخوانه، وكم من كتاب لو أعاد النظر فيه مؤلفه لغير وبدل وزاد ونقص، وهذا دليل على التقص المجبول عليه سائر البشر ويأبى الله إلا أن تكون العصمة لكتابه ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

أسأل الله جل وعلا أن ينفع به كاتبه وقارئه وسامعه ومن اطلع عليه إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

كتبه

أبو محمد عبد الله بن محمد أحمد الطيار

الزلفي مساء يوم الأحد ١٠/٤/١٤١١هـ

المجلس الأول

فصل في:

- فضل شهر رمضان.
- حكم الصيام.

فضل شهر رمضان

الحمد لله اللطيف المنان العظيم السلطان الرؤوف الرحمن القوي الديان الكريم على توالي الزمان جل عن شريك وولد وعز عن الاحتياج إلى أحد وتقدس عن نظير وانفرد علم ما يكون وأوجد ما كان أنشأ المخلوقات بحكمته وصنعها وفرق الأشياء بقدرته وجمعها ودحى الأرض على الماء وأوسعها والسماء رفعها ووضع الميزان يسعد ويشقي ويعز ويذل كل يوم هو في شأن أنعم على هذه الأمة بتمام إحسانه وعاد عليها بفضله وامتنانه وجعل شهر رمضان مخصوصاً بعميم غفرانه، شهر أنزل الله فيه القرآن أحمدته على ما خصنا به من الصيام والقيام وأشكره على بلوغ الآمال وإسباغ الأنعام وأشهد أن لا إله إلا الله الذي لا تحيط به العقول والأذهان. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أفضل خلقه وبريته المقدم على الأنبياء ببقاء معجزته الذي انشق ليلة ولادته الإيوان ﷺ.

وعلى أبي بكر رفيقه في الغار، وعلى عثمان فاتح الأمصار، وعلى عمر شهيد الدار، وعلى علي راسخ الإيمان، وعلى آله وصحبه كلما تعاقب الحدثان وسلم تسليماً . . .

أما بعد، فقد جاء رمضان فأهلاً به وسهلاً، اللهم أهله علينا بالسلامة والإسلام والأمن والإيمان واغفر لنا ذنوبنا وأعتقنا منها يا منان.

إخوة الإيمان:

قد نزل بساحتكم شهر رمضان كريم وموسم عظيم خصه الله بالتشريف والتكريم وأنزل فيه القرآن العظيم وفرض صيامه على جميع المسلمين وسن قيامه الرسول الكريم شهراً إجابة الدعوات ومضاعفة الحسنات ورفع الدرجات

وإجزال الهبات وكثرة النفحات، شهرٌ تكفير السيئات والصفح عن الموبقات وإقامة العثرات، شهرٌ فضل الله أوقاته على سائر الأوقات وخصه بأسمى الصفات

فيا ذوي الهمم العالية، والمطالب السامية اغتنموا الفرصة قبل الفوات، وسارعوا مع الصالحين إلى الخيرات، وتعرضوا في هذا الشهر لعظيم النفحات لعل الله أن يتجاوز عنكم كثير الخطيئات.

روى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين»^(١).

كان المسلمون يستقبلون شهر رمضان بقولهم: «اللهم قد أظلنا شهر رمضان وحضر فسلمه لنا وسلمنا له وارزقنا صيامه وقيامه وارزقنا فيه الجهد والاجتهاد والنشاط وأعذنا فيه من الفتن وذلك لما يعلمون من فضل رمضان وسعة فضل الله عليهم فيه وما ينزله تعالى على عباده من الرحمات ويفيضة عليهم من النفحات ويوسع عليهم من الأرزاق والخيرات ويجنبهم فيه من الزلات حيث يفتح لهم أبواب الجنان ويغلق عنهم أبواب النيران ويصفد فيه مردة الجان فهو للأمة ربيعها وللعبادات موسمها وللخيرات سوقها.

فلا شهر أفضل للمؤمن منه ولا عمل يفضل عما فيه فهو بحق غنيمة المؤمنين.

روى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أعطيت أمتي خمس خصال في رمضان لم تعطهن أمة من الأمم قبلها»:

خلاف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وتستغفر لهم الملائكة حتى يفطروا، ويزين الله كل يوم جنته ويقول: يوشك عبادي الصالحون أن يلقوا عنهم المؤونة والأذى، ويصيروا إليك، وتصفد فيه مردة الشياطين فلا يخلصون إلى ما كانوا يخلصون إليه في غيره، ويغفر لهم في آخر ليلة.

قيل: يا رسول الله أهي ليلة القدر، قال: لا ولكن العامل إنما يوفى

(١) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٢/٢٢٧، صحيح مسلم ٣/١٢١.

أجره إذا قضى عمله»^(١).

يا ذا الذي ما كفاه الذنب في رجب
لقد أظلك شهر الصوم بعدهما
واتل الكتاب وسبح فيه مجتهداً
كم كنت تعرف ممن صام في سلف
أفناهم الموت واستبقاك بعدهم
حتى عصى ربه في شهر شعبان
فلا تصيره أيضاً شهر عصيان
فإنه شهر تسبيح وقرآن
من بين أهل وجيران وإخوان
حياً فما أقرب القاصي من الداني

إخواني: بلوغ شهر رمضان نعمة كبيرة، فكم من شخص تحت الأجداث
يتمنى أن يقول لا إله إلا الله، وكم من عاجز عن الصوم يتمنى الصيام، وكم
من عاجز عن القيام تتلهف نفسه للقيام وأنتم تعيشون في صحة تامة وأمن
وأمان فاغتموا أوقاته قبل الندم وضاعفوا العمل من غير سأم لعل الله أن يقبل
منكم القليل ويعفو عن الكثير^(٢).

شعراً:

فحافظ على شهر الصيام فإنه
تُعَلَّقُ أبواب الجحيم إذا أتى
ويرفع عن أهل القبور عذابهم
ويبسط فيه الرزق للخلق كلهم
تزخرف جنات النعيم وحوورها
وقد خصه الله الكريم بليلة
فقم ليله واقطع نهارك صائماً
لخامس أركانٍ لدين محمد
وتفتح أبواب الجنان لمسعد
ويصفد فيه كل شيطان معتد
ويسهل فيه فعل كل التعب
لأهل الرضا فيه وأهل التهجد
على ألف شهر فضلت فلترصده
وصن صومه عن كل سوء ومفسد

(١) رواه الإمام أحمد. المسند ٢/٢٩٢.

قال في الترغيب والترهيب: رواه أحمد والبيهقي والبخاري، ورواه أبو الشيخ ابن حبان
في كتاب «الثواب». انظر: الترغيب والترهيب ٢/٩١، وانظر: مجمع الزوائد ٢/١٤٠.

(٢) نهاية المحتاج للرملي ٣/١٤٨، حاشية ابن عابدين ٢/٣٧٠، المغني لابن قدامة ٤/
٣٢٤، مجالس شهر رمضان لفضيلة الشيخ محمد بن عثيمين ص ٤، عقد الجمان في
وظائف رمضان للبايطين ص ١١.

حكم الصيام

لما تقدم من الفضائل لشهر رمضان كتب الله على المسلمين صومه، ولما كان فطم الأنفس عن شهواتها وحجبها عن مألوفاتها من أصعب الأمور تأخر فرضه إلى السنة الثانية للهجرة ولما توطنت القلوب على التوحيد وتعظيم شعائر الله نقلت إليه بالتدرج فبدئ به على التخيير مع الترغيب في صومه لأنه كان قد شق على الصحابة رضي الله عنهم فكان من أراد أن يفطر ويفتدي فعل، ومن أراد أن يصوم فعل.

وصيام رمضان من أركان الإسلام وأحد مبانيه العظام لا يتم إسلام المرء إلا به، والأصل في وجوبه الكتاب والسنة والإجماع والمعقول.

فمن الكتاب:

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لِمَلَّكُمْ تَنَكُّونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرَ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [البقرة: ١٨٣ - ١٨٥].

ومن السنة:

ما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «بني الإسلام على خمس: شهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء

الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام من استطاع إليه سبيلاً»^(١).
وما رواه طلحة بن عبيد الله أن أعرابياً جاء إلى النبي ﷺ ثائر الرأس فقال: يا رسول الله أخبرني ماذا فرض الله علي من الصيام قال: «شهر رمضان» قال: هل علي غيره؟ قال: «لا إلا أن تطوع شيئاً»، قال: فأخبرني ماذا فرض الله علي من الزكاة، فأخبره رسول الله ﷺ بشرائع الإسلام قال: والذي أكرمك لا أتطوع شيئاً ولا أنقص مما فرض الله علي شيئاً، فقال النبي ﷺ: «أفلح إن صدق أو دخل الجنة إن صدق..»^(٢).

وأما الإجماع:

فقد أجمعت الأمة على وجوب صيام رمضان وأن من جحد وجوبه فهو كافر مرتد يستتاب، فإن تاب، وإلا قتل على غير ملة الإسلام، لا يغسل، ولا يكفن ولا يصلي عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين، بل يحفر له حفرة بعيداً عن الناس ويدفن لثلاً يؤذي برائحته.

وقد نقل الإجماع الكاساني رَحِمَهُ اللهُ فِي بدائع الصنائع، والنووي رَحِمَهُ اللهُ فِي المجموع، وابن قدامة رَحِمَهُ اللهُ فِي المغني.

وأما المعقول:

فمن وجوه..

أحدها: أن الصيام وسيلة إلى شكر النعمة إذ هو كف النفس عن الأكل والشرب والجماع وهي من أجل النعم وأعلاها والامتناع عنها زماناً معتبراً يعرف قدرها إذ النعم مجهولة فإذا فقدت عرفت، فيحمله ذلك على قضاء حقها بالشكر وشكر النعم فرض شرعاً وعقلاً وإليه أشار الله ﷻ فِي آية الصيام بقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

الثاني: أنه وسيلة إلى التقوى لأنه إذا انقادت نفسه للامتناع عن الحلال

(١) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٨/١، وصحيح مسلم ٣٤/١.

(٢) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٢٣١، وصحيح مسلم ٣١/١.

طمعاً في مرضاة الله تعالى وخوفاً من أليم عقابه فأولى أن تنقاد للامتناع عن الحرام، فكان الصوم سبباً للارتقاء عن محارم الله وإليه وقعت الإشارة في آخر آية الصوم: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

الثالث: أن في الصوم قهر الطبع وكسر الشهوة؛ لأن النفس إذا شبت تمت الشهوات وإذا جاعت امتنعت عما تهوى، وقد أرشد الرسول ﷺ إلى الصيام لمن لم يجد الباءة: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»^{(١)(٢)}.

اللهم أيقظنا من رقدات الغفلة ووفقنا للتزود من التقوى قبل النقلة وارزقنا اغتنام الأوقات في ذي المهلة وتجاوز عنا ما اقترفنا من الخطأ والزلة واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



(١) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٣/٣٤، وصحيح مسلم ٤/١٢٨.

(٢) انظر: بدائع الصنائع ٢/٧٥، والمجموع ٦/٢٤٨، والمغني ٤/٣٢٣.

المجلس الثاني

فصل في:

- فضل رمضان.
- حكم من أفطر في رمضان بغير عذر.

فضل الصيام

الحمد لله الذي وفق العاملين لطاعته فوجدوا سعيهم مشكوراً وحقق آمال
الأمليين برحمته، فمنحهم عطاء موفوراً وبسط بساط كرمه على التائبين فأصبح
وزرهم مغفوراً وأسبل من نعمه على الطالبين وإبلاً غزيراً.
أحمده أن أفاض على عباده جزيل الإنعام، ووفقههم للصالحات على
الدوام.

فلو رأيتهم وقد هجروا لذيق المنام وأداموا لربهم الصيام وصلوا بالليل
والناس نيام يتسابقون كل يسأل حاجته.

واحد يسأل العفو عن زلته، وآخر يسأل التوفيق لطاعته، وثالث يستعيد
به من عقوبته، ورابع يرجو منه جميل مثوبته، وخامس يشكو إليه ما يجد من
لوعته، وسادس شغله ذكره عن مسألته، فسبحان الله من وفقهم، وغيرهم
محروم أحمده سبحانه، فرض علينا الصيام، وسن لنا رسوله المصطفى القيام،
وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له إله تفرد بالكمال والدوام وتقدس عن
مشابهة جميع الأنام.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صفوة الأنام، وعلى آله وصحبه البررة
الكرام وعنا معهم بمنك وكرمك ما تعاقبت الدهور والأيام.

إخوة الإيمان:

لقد جاءت آيات بينات محكمات في كتاب الله المجيد تحض على
الصوم تقرباً إلى الله ﷻ وتبين فضائله من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ
وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ
وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِتِينَ

وَالصَّيِّمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٤].

وقد بين الرسول ﷺ في الثابت والسنة أن الصوم حصن من الشهوات وأنه وقاية من النار وأنه سبب لدخول الجنة وأن فيها باباً خاصاً بالصائمين وأن الصيام يشفع لصاحبه وأنه كفارة، وإليك بيان ذلك.

١ - الصوم جنة:

أمر الرسول ﷺ من اشتدت عليه شهوة النكاح ولم يستطع الزواج بالصيام وجعله وجاء^(١) لهذه الشهوة لأنه يحبس قوى الأعضاء عن الاسترسال في شهواتها ويسكن كل عضو منها وللصوم تأثير عجيب على حفظ الجوارح يعرف ذلك من صامت جوارحه عن المحرمات. يقول المصطفى ﷺ، فيما يرويه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة^(٢) فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»^(٣).

وقد بين الرسول ﷺ أن الجنة محفوفة بالمكاهة وأن النار حفت بالشهوات فإذا تبين لك أيها المسلم أن الصوم يقمع الشهوات ويكسر حدتها وهي التي تقرب من النار فقد حال الصيام بين الصائم والنار لذلك جاءت الأحاديث تبين أنه حصن من النار.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد يصوم يوماً في سبيل الله إلا باعد الله بذلك وجهه عن النار سبعين خريفاً»^(٤).

(١) أي: قاطعاً للشهوة كما تنقطع شهوة الخصي من الحيوان.

(٢) هي المقدرة على الزواج من كل وجه.

(٣) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٣/٣٤، وصحيح مسلم ٤/١٢٨.

(٤) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٤/٣٢، وصحيح مسلم ٣/١٥٩.

٢ - الصوم يدخل الجنة:

إذا كان الصوم يبعد صاحبه من النار فهو إذا يذنيه من بحبوحة الجنة .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به والصيام جنة وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل: إني امرؤ صائم والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك. للصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح وإذا لقي ربه فرح بصومه»^(١).

٣ - الصيام والقرآن يشفعان لصاحبهما:

روى عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة يقول الصيام: أي رب منعتني الطعام والشهوة فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعتني النوم بالليل فشفعني فيه قال: فيشفعان»^(٢).

٤ - الصيام كفارة:

ومما ينفرد به الصيام من فضائل أن الله جعله لبعض الأعمال التي تصدر من المسلم ومنها حنث اليمين.

يقول تعالى:

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّرتُمْهُ إِطْعَامَ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا نَطَعْتُمْ مِنْ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفْرَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾ [المائدة: ٨٩].

(١) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٢٢/٣، صحيح مسلم ١٥٧/٣.

(٢) رواه أحمد في المسند ١١٨/١٠ برقم ٦٦٢٦ تحقيق: أحمد شاکر. وقال: إسناده صحيح، وقال في مجمع الزوائد ورجاله رجال الصحيح. انظر: مجمع الزوائد ٣/١٨١.

٥ - الريان للصائمين:

عن سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن في الجنة باباً يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل فيه أحد غيرهم فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد...»^{(١)(٢)}.
شعراً:

قم في ظلال الليل واقصد مهيمناً	يداك إليه في الدجى تتوسل
وقل يا عظيم العفو لا تقطع الرجا	فأنت المنى يا غايتي والمؤمل
فيا رب فاقبل توبتي بتفضل	فما زلت تعفو عن كثير وتمهل
إذا كنت تجفوني وأنت ذخيرتي	لمن أشتكى حالي ومن أتوسل
حقيق لمن أخطأ وعاد لما مضى	ويبقى على أبوابه يتذلل
وبيكي على جسم ضعيف من البلى	لعل يعود السيد المتفضل
قصدت إلهي رحمة وتفضلاً	لمن تاب من زلاته يتقبل

الترهيب من الفطر في رمضان بغير عذر:

من ترك صيام رمضان بغير عذر فلا يخلو إما أن يتركه جحوداً والعياذ بالله، وإما أن يتركه كسلاً.

فإن تركه جحوداً بأن جحد وجوبه فقال: إن الصيام ليس بواجب في الشرع، فهذا كافر مرتد لأنه أنكر أمراً مجتمعاً معلوماً من الدين بالضرورة وركناً من أركان الإسلام.

ويترتب على رده هذه كل ما يترتب على المرتد في ماله وزوجته ووجوب قتله لردته وغير ذلك من أمور تغسيله وتكفينه ودفنه في مدافن المسلمين.

ولا يستثنى من هذا إلا من كان حديث العهد بالإسلام أو من نشأ بعيداً

(١) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٢٣/٣، صحيح مسلم ٨٥٧/٣.

(٢) المغني ٣٢٤/٤، صفة صوم النبي في رمضان ص ١١، عقود اللؤلؤ والمرجان ص ٩.

عن أهل العلم كمن نشأ في البادية، أما إذا ترك الصيام كسلاً فالوعيد الشديد ينتظره.

روى أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بينما أنا نائم أتاني رجلان فأخذا بضبعي - عضدي - فأتيا بي جبلاً وعراً فقالا: اصعد فقلت: إني لا أطيقه فقالا اصعد فقلت: إني لا أطيقه فقالا سنسهله لك فصعدت حتى إذا كنت في سواد الجبل إذا بأصوات شديدة قلت: ما هذه الأصوات، قالوا: هذا عواء أهل النار ثم انطلق بي فإذا أنا بقوم معلقين بعراقيهم مشققه أشداقهم تسيل دماً قال: قلت: من هؤلاء؟ قال: الذين يفطرون قبل تحلة صومهم...»^(١).

أيها المسلم المشفق على نفسه من عذاب الله الشديد أرجو أن تنظر إلى الصورة البشعة المفزعة التي سيعذب بها المستهترون الذين يفطرون قبل أن يحل لهم الإفطار فلا يرعون حق الصوم ولا يسمعون لأمر الله لهم فيفطرون قبل حلول وقت الإفطار والأعمال بخواتيمها.

إن هؤلاء سيعلقون من عراقيهم (مؤخر أقدامهم) يوم القيامة كما تعلق الدابة الذبيحة وستشقق أشداقهم (جوانب أفواههم) ويسيل منها الدم وهم معلقون منكسون على رؤوسهم. يا لهول هذا العذاب وقانا الله منه أترى كيف سيكون إذن حال من أنكر رمضان.

الفطر بدون عذر يعرض صاحبه لغضب الجبار ﷻ وعذاب النار فليحذر كل من تسول له نفسه من الفطر بدون سبب لأن المعاصي نتيجتها وخيمة وعاقبتها مخزية.

هذا وقد أوجب أهل العلم على من أفطر متعمداً أن يقضي اليوم الذي أفطره.

(١) رواه البيهقي. انظر: السنن الكبرى ٢١٦/٤، ورواه النسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف ١٦٦/٤، وابن حبان برقم (١٨٠٠) - زوائد، والحاكم ٤٣٠/١، وسنده صحيح. انظر: صفة صوم النبي ﷺ ص ٢٥.

يقول الذهبي رحمه الله من المقرر عند المؤمنين أن من ترك صوم رمضان بلا مرض ولا عذر أنه شر من الزاني ومدمن الخمر، بل يشكون في إسلامه ويظنون به الزندقة والانحلال وقال في موضع آخر: الكبيرة السادسة من أفطر في رمضان من غير عذر^(١).

اللهم اجعلنا من المقبولين في هذا الشهر الفضيل وخصنا فيه بالأجر الوافر والعطاء الجزيل وخفف ظهورنا من الأوزار والحمل الثقيل، وتقبل منا يسير الأعمال فإنك عفو تقبل القليل.

اللهم اغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين
وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٢٥/٢٢٥، والكبائر للذهبي ص ٤٩، وحلية العلماء للقفال ٣/١٩٨، فقه الصيام لهيتو ص ٢٤.

المجلس الثالث

فصل في:

- تلاوة القرآن .
- أحكام الرؤية .

فضل تلاوة القرآن

الحمد لله الذي أنشأ وبرأ وخلق الماء والثرى وأبدع كل شيء وذار. لا يغيب عن بصره صغير النمل في الليل إذا سرى. ولا يعزب عن عمله مثقال ذرة مما لا نرى، ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ (٦) وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿٨﴾ [طه: ٦، ٨].

خلق آدم فابتلاه ثم اجتباه فتاب عليه وهدى وبعث نوحاً فصنع الفلك بأمر الله وجرى.

ونجى الخليل من النار فصار حرها برداً وسلاماً عليه فاعتبروا لما جرى. وآتى موسى تسع آيات فما اذكر فرعون وما ارعوى. وأيد عيسى بآيات تبهر الورى وأنزل الكتاب على محمد فيه البيّنات والهدى.

أحمده على نعمه التي لا تزال تترى وأصلي وأسلم على نبيه محمد المبعوث في أم القرى ﷺ وعلى صاحبه في الغار أبي بكر بلا مرى وعلى عمر الملمه في رأيه فهو بنور الله يرى وعلى عثمان زوج ابنته ما كان حديثاً يفتري وعلى ابن عمه علي بحر العلوم وأسد الثرى وعلى جميع الآل والأصحاب الذين انتشر فضلهم في الورى وعنا معهم بمنك وكرمك يا من تعلم ما جرى.

أيها الإخوة المؤمنون، والأخوات المؤمنات:

يعود إلى القلوب حينها إلى ما تنطوي عليه أيام رمضان من بركات هي الهدى في ضيائه والنور في إشراقه والقوة في صفاء ينبوعها وعظمة أصلاتها لأنها تنتسب إلى طريق الهدى وتسير فيه، ولئن اقتضت حكمة الخالق أن يعطي كل رسول ما يتناسب والذي يكون قبلة الأنظار في زمانه وموطن التباري

والسمو في عصره فإن الذي له الغلبة عند العرب ومهوى الأفئدة هو فصاحة اللسان وبلاغة البيان فجاء القرآن بلسان عربي مبين .
باللغة التي يتكلمون، والأحرف التي ينطقون .
وهذه الحقيقة خالدة على مر الزمن تتحدى القيود والحدود وهي ينبوع العطاء الذي لا يتوقف ومصدر الهداية التي لا تنفد . وباعث القوة التي لا تلين .

وما علينا إلا أن نفتح القلب لهذا النور والنفس لهذا الهدى حتى تشرق شمس حياتنا من جديد ولنستمع إلى ما أثنى الله تبارك وتعالى به على من قرأ القرآن وعمل بما فيه من أحكام وآداب . يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوفِيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ ﴾ [فاطر : ٢٩ ، ٣٠] .

وقوله تعالى : ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّن أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ ءَاتَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ [آل عمران : ١١٣] .

وقد أمر الله نبيه أن يرتل القرآن ويقرأه على الناس على مكث يقول الله تعالى : ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴾ [المزمل : ٤] ، ﴿ وَقُرْءَانَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴿١٦﴾ ﴾ [الإسراء : ١٠٦] .

وقد وردت النصوص الكثيرة من السنة توضح فضل قراءة القرآن من ذلك .

ما رواه عثمان بن عفان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»^(١) .

وما روته عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران»^(٢) .

(١) رواه البخاري . صحيح البخاري ٢٣٦/٦ .

(٢) رواه مسلم . صحيح مسلم ١٩٥/٢ .

وما رواه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل الثمرة لا ريح لها وطعمها حلو»^(١).

وما رواه أبو أمامة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه»^(٢).

وما رواه عقبه بن عامر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيتعلم أو فيقرأ آيتين من كتاب الله صلى الله عليه وسلم خير له من ناقتين وثلاث خير له من ثلاث وأربع خير له من أربع ومن أعددتهن من الإبل»^(٣).

وما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده»^(٤).

ما أجمل أن تغص المساجد في رمضان بأولئك الذين يجتمعون لتلاوة كتاب الله والتزود منه.

ولكن الأجل والأحسن أن نجعل من رمضان فرصة لمراجعة حياتنا كلها هل هي على وفق ما يجب أن يكون أم لا.

هل طهرنا بيوتنا من المنكرات.

هل ربينا أطفالنا تربية إسلامية.

هل قمنا بواجب النصيحة للقريب والجار والصديق.

هل طهرنا أموالنا من الربا ونميناه بأداء الزكاة.

هل أوقفنا هذا السيل الجارف من النساء اللاتي يذهبن إلى الأسواق زرافات ووحداناً يختلطن ويماكسن الباعة من غير ضرورة ولا حاجة يوم أن

(١) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٢٣٥/٦، وصحيح مسلم ١٩٤/٢.

(٢) رواه مسلم. صحيح مسلم ١٩٧/٢.

(٣) رواه مسلم. صحيح مسلم ١٩٧/٢.

(٤) رواه مسلم. صحيح مسلم ٧١/٨.

نرى المجتمع يأتمر بأمر الله ويقف عند حدوده عندها يتحقق الأمن والخير لهذا المجتمع ولنا فيمن حولنا عبرة وعظة.

وصدق الشاعر:

متى نرى الحكم في الآفات قرآناً
والدين يعمر أقطاراً وبلداناً
متى نرى أمة القرآن واحدة
تغدو بنعمة هذا الدين إخوانا
الخير في المصحف الهادي
ومنهجه

كل القوانين إن حققت ذاهية
والذكر يبقى مع الأيام فرقاناً
إن الحياة في رحاب القرآن نعمة لا يعرفها إلا من ذاقها نعمة ترفع العمر
وتباركه وتزكيه، وما أجمل أن تقوم الحياة على القرآن وتستقي من نبعه
الظاهر.

ألا نكون خلفاً صالحاً لسلف صالح فنقرأ القرآن ونتعلم ما فيه ونعمل به
أسوة بسلفنا الصالح ﷺ وأرضاهم وجمعنا بهم في مقعد صدق عند مليك
مقتدر^(١).

شعراً:

عليك بما يفيدك في المعاد
فما لك ليس ينفع فيك وعظ
ستندم إن رحلت بغير زاد
فلا تفرح بمال تقتنيه
وتب مما جنيت وأنت حي
يسرك أن تكون رفيق قوم
وما تنجو به يوم التناد
ولا زجر كأنك من جماد
وتشقى إذ يناديك الماد
فإنك فيه معكوس المراد
وكن متنبهاً من ذا الرقاد
لهم زاد وأنت بغير زاد



(١) نفحات رمضان ص ١١٦، مجالس شهر رمضان ص ٤.

بم يثبت دخول شهر رمضان المبارك

يثبت دخول شهر رمضان بأحد أمرين:

الأول: رؤية هلال رمضان.

يقول تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

أناط الله صيام رمضان بمن شهد الشهر، والشهر عادة يثبت بانقضاء الشهر الذي قبله أو برؤية الهلال.

روى ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «إذا رأيتم الهلال فصوموا وإذا رأيتموه فأفطروا فإن غم عليكم فاقدروا له»^(١).

الحديث نص صحيح صريح على تعليق وجوب الصوم في رمضان برؤية هلاله ومفهومه النهي عن الصوم بدون رؤية الهلال.

يقول تعالى: ﴿سَتَلُونَا عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩].

جعل الله الأهلة مواقيت للناس يعرفون بها أوقات عباداتهم ومعاملاتهم رحمة منه بعباده حيث علق وجوب الصوم بأمر واضح وعلامة بارزة يعرفها سائر الناس وليس من شرط وجوب الصوم أن يرى الهلال كل الناس بل إذا رآه بعضهم ولو كان شخصاً واحداً على الصحيح وهو عدل ثقة تمكن رؤيته لزم الناس كلهم الصيام إذا كان مطلعهم واحداً.

الثاني: مما ثبت به دخول رمضان «إذا لم ير الهلال إكمال عدة شعبان ثلاثين يوماً» يدل ذلك ما رواه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما وفيه: «... فإن غم

(١) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٣/٣٤، وصحيح مسلم ٣/١٢٢.

عليكم فاقدروا له»^(١)، ومعنى اقدروا له؛ أي: إذا غطى على الهلال غيم أو قتر وتعذرت رؤية الهلال فالواجب إكمال شعبان ثلاثين يوماً يؤكد ذلك الرؤية الصحيحة الصريحة «... فإن غم عليكم فأكملوا شعبان ثلاثين يوماً»^(٢).

ولا يثبت دخول الشهر بغير هذين الأمرين إطلاقاً، ومن ادعى غير ذلك فعليه الدليل. وما يدعو إليه بعض المنتسبين للعلم من الاعتماد على الحساب أمر لا يقره شرع ولا عقل إذ الأمة الإسلامية من لدن مبعث نبيها محمد ﷺ إلى يومنا هذا، وهي تعتمد على الرؤية ولم تعمل بالحساب اتباعاً للرسول الأكرم ﷺ الذي يقول في الحديث الذي يرويه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب الشهر هكذا وهكذا يعني مرة تسعة وعشرين ومرة ثلاثين»^(٣).

يقول ابن حجر رحمته الله تعليقاً على هذا الحديث: المراد بالحساب هنا حساب النجوم وتسييرها ولم يكونوا يعرفون من ذلك أيضاً إلا النزر اليسير فعلق الحكم بالصوم وغيره بالرؤية لرفع الحرج عنهم في معاناة حساب التسيير واستمر الحكم في الصوم ولو حدث بعدهم من يعرف ذلك، بل ظاهر السياق يشعر بنفي تعليق الحكم بالحساب أصلاً ويوضحه قوله في الحديث الماضي: «فإن غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين» ولم يقل فسلوا أهل الحساب.

والحكمة فيه كون العدد عند الإغماء يستوي فيه المكلفون فيرتفع الاختلاف والنزاع عنهم^(٤).

وبهذا يتبين أن الله جل وعلا حدد دخول الشهر بإحدى علامتين ظاهرتين يعرفهما العامي والمتعلم وهما رؤية الهلال أو إكمال عدة شعبان ثلاثين يوماً، فمن جاء بشيء غيرهما يزعم أنه يعلم به دخول الشهر غير ما بينه الشارع فقد

(١) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٣/٣٤، وصحيح مسلم ٣/١٢٢.

(٢) المصدر نفسه نفس الصفحة.

(٣) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٣/٣٥، وصحيح مسلم ٣/١٢٤.

(٤) فتح الباري ٤/١٢٧.

حَادَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَأَوْقَعَ الْأُمَّةَ فِي الْحَرَجِ الْمَرْفُوعِ عَنْهَا بِنَصِّ الْقُرْآنِ: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]؛ لَأَنَّ مَعْرِفَةَ الْحِسَابِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا خَوَاصُّ النَّاسِ فَكَيْفَ نَطَالِبُ الْأُمَّةَ بِمَعْرِفَتِهَا وَنُوجِبُ عَلَيْهَا مَا لَمْ يُوجِبْهُ اللهُ وَلَا رَسُولُهُ سُبْحَانَكَ هَذَا بَهْتَانٌ عَظِيمٌ. اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا الْإِتْبَاعَ وَجَنِّبْنَا الْإِبْتِدَاعَ وَيَسِّرْ لَنَا سَبِيلَ مَعْرِفَةِ الْأَحْكَامِ عَلَى وَجْهِهَا الصَّحِيحِ وَجَنِّبْنَا الزَّلَلَ وَالشُّطَطَ وَالْقَوْلَ عَلَيْكَ بِبَلَا عِلْمٍ. وَاعْفِرْ اللَّهُمَّ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَمَنْ لَهْ حَقٌّ عَلَيْنَا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ^(١).



(١) إتحاف أهل الإيمان بدروس شهر رمضان ص ١٠، الصوم د. رفعت عبد المطلب ص ٢٣.

المجلس الرابع

فصل في:

- آداب تلاوة القرآن.
- أحكام النية.

آداب تلاوة القرآن

الحمد لله الذي لم يزل عليماً عظيماً علياً جباراً قادراً قهاراً قوياً رفع سقف السماء بصنعته فاستوى مبنياً، وسطح المهاد بقدرته وسقاه كلما عطش رياً، وأخرج صنوف النبات فكسى كل نبت زياً، قسم الخلائق سعيداً وشقيماً وقسم الرزق بينهم فترى فقيراً وغنياً، والعقل فجعلهم ذكياً وغيباً، سبحانه من إله جاد على أوليائه بإسعاده وبين لهم مناهج الهدى بفضله وإرشاده ورمى المخالفين له بطرده وإبعاده أحمده سبحانه أمر بتلاوة القرآن وتدبره فقال في محكم البيان: ﴿وَرَقِلَ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ [المزمل: ٤].

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين من كانت معجزته القرآن: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْتُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة: ٢٣، ٢٤].

أيها الصائمون ويا أيها الصائمات:

إن هذا القرآن الذي تتلونه هو حبل الله المتين وصراطه المستقيم من تمسك به نجى ومن طلب الحق من غيره ضل ومن حكم به عدل وهو الذكر المبارك والنور المبين وصفه الله جل وعلا بأوصاف عظيمة ينتفع به المسلمون ويتأدبون بأدابه ويعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه ومن أوصافه ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥].

﴿فَدَجَّكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكَتَبَ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [يونس: ٥٧].

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء: ٨٢].

﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدًى اللَّهُ يَهْدِي بِهٖ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الزمر: ٢٣].

فهذه الأوصاف وغيرها كثير تدل على عظمة القرآن ووجوب التأدب عند تلاوته وسماعه.

ومن أهم آداب التلاوة:

أولاً: إخلاص النية لله تعالى لأن أي عمل من الأعمال لا يقبله الله ما لم يكن خالصاً له وحده.

يقول تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ [إعتراف: ١٤].

ويقول تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءً﴾ [البينة: ٥].

ثانياً: أن يقرأ بقلب حاضر منصرف إلى السماع ويتدبر كل ما يقرؤه ويحاول الفهم قدر استطاعته وأما أولئك الذين يهذون القرآن هذاً ولا يتدبرون معانيه ولا يخشون عند وعده ووعيده فقلوبهم مشغولة بغير القراءة من متاع الدنيا وعرضها الزائل.

ثالثاً: أن يقرأ على طهارة كاملة؛ لأن هذا من تعظيم كلام الله واحترامه ولا حرج عليه لو كان مضطراً للقراءة ولا يجد وسيلة لبلوغ الماء كمن يرقد على السرير أو في سيارة لا يملك إيقافها أو في طائرة أو في سجن وما أشبه ذلك فهؤلاء قد يكونون معذورين لو قرأوا وهم على غير طهارة شريطة أن يتطهروا من الحدث الأكبر والله أعلم.

رابعاً: ألا يقرأ في أماكن مستقذرة كدورات المياه وأماكن المنكرات والمعاصي. أو في مجتمع لا ينصت له كمجتمع البيع والشراء أو مجتمع الرياضة أو مجتمع لعب الورق وغير ذلك من المجتمعات المشغولة لأن القراءة في هذه الأماكن إهانة لكتاب الله.

خامساً: أن يستعيز بالله من الشيطان الرجيم عند بدء القراءة سواء كان من أول السورة أو من وسطها لقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ [النحل: ٩٨].

سادساً: أن يقرأ البسملة إذا كان يقرأ من أول السورة، فإن كان يقرأ من وسط السورة فلا يبسمل وهذا في كل سور القرآن ما عدى سورة التوبة فإنه لا يقرأ في أولها البسملة لاختلاف الصحابة رضي الله عنهم هل هي تنمة لسورة الأنفال أم أنها سورة جديدة فأروا أن يفصلوها في المصحف ولا يضعوا قبلها البسملة.

سابعاً: أن يحسن صوته بالقرآن ما استطاع إلى ذلك سبيلاً لما روى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما أذن الله لشيء (أي: ما استمع لشيء) كما أذن لني حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به»^(١).

والجهر بالقراءة أولى إلا إذا كان حوله من يتأذى بجهره في قراءته كالنائم والمصلي فإنه حينئذ يجهر جهراً خفيفاً يسمعه هو ولا يسمعه من حوله. ثامناً: ومن آداب تلاوة القرآن أن يسجد عند تلاوة الآيات التي فيها سجود سواء كان الوقت وقت نهى أو غيره، لأن سجود التلاوة من ذوات الأسباب والصحيح المعتمد أن سجدة - ص - محل للسجود وهل لسجود التلاوة في غير الصلاة تكبير عند الخفض وتكبير عن الرفع وسلام؟ محل خلاف بين أهل العلم والأمر واسع إن شاء الله ويقول في سجوده: سبحان ربي الأعلى ثلاثاً وإن زاد: سجد وجهي لله الذي خلقه فسوره ثم شق سمعه وبصره بحوله وقوته اللهم اجعل لي بها ذخراً وضع عني بها وزراً وتقبلها مني كما قبلتها من نبيك دواد عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، فهذا حسن.

(١) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٢٣٦/٦، وصحيح مسلم ١٩٢/٢.

والأفضل للمستمع أن يسجد تبعاً للتالي، أما السامع فلا يسجد والفرق بينهما أن هذا منصت للقارئ متابع له، والسامع غير منصت ولا متابع^(١) والله أعلم.

شعراً:

بذكرك يا مولى الورى نتنعم	وقد خاب قوم عن سبيلك قد عموا
شهدنا يقيناً أن علمك واسع	وأنت ترى ما في القلوب وتعلم
إلهي تحملنا ذنوباً عظيمة	أسأنا وقصرنا وجودك أعظم
سترنا معاصينا عن الخلق جملة	وأنت ترانا ثم تعفو وترحم
وحقك ما فينا مسيء يسره	صدودك عنه بل يذل ويندم
سكتنا عن الشكوى حياء وهيبة	وحاجاتنا بالمقتضى تتكلم
إذا كان ذل العبد بالحال ناطقاً	فهل يستطيع الصبر عنه ويكتم
إلهي فجد واصفح وأصلح قلوبنا	فأنت الذي تولي الجميل وتكرم



(١) التبيان في آداب حملة القرآن للنووي ص ١٣٦، ومجالس شهر رمضان ص ٦٢.

صيام يوم الشك

يحرم صيام يوم الشك - وهو يوم الثلاثين من شعبان - بنية الاحتياط عن رمضان وذلك في حال الغيم أو القتر لقوله ﷺ في الحديث الصحيح «فإن غبي عليكم فأكملوا شعبان ثلاثين»^(١).

ولقول عمار بن ياسر رضي الله عنه: «من صام اليوم الذي يشك فيه فقد عصى أبا القاسم محمد ﷺ»^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقدموا رمضان بصوم يوم ولا يومين إلا رجلاً يصوم صوماً فليصمه»^(٣).



(١) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٣/٣٥، وصحيح مسلم ٣/١٢٢.

(٢) علقة البخاري ٣/٣٤، ووصله غيره.

(٣) رواه مسلم ٣/١٢٥.

أحكام النية

من الأمور التي لا يقدرها بعض الصائمين حق قدرها نية الصيام سواء من حيث وجود أصلها أو من حيث تبييتها أو تعيينها أو من حيث كونها جازمة غير مترددة.

ومحل النية القلب والتلفظ بها بدعة.

ومن استيقظ قبل طلوع الفجر وعقدها أجزاءه إذ لا يلزم تبييتها قبل النوم بل يكفي قبل الفجر، والصحيح من كلام أهل العلم أنه لا يصح صوم فرض بلا نية يدل لذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

وقوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى»^(١).

والنية لها أهميتها الكبرى في الصوم؛ لأنها تعتبر الفيصل الحقيقي بين العبادة والعادة.

فالفرق شاسع بين أن يزاول المرء العبادة وهو يستشعر رضاء الله ويستصحب الحرص على طاعته وابتغاء وجهه خالصاً بحيث يصبح هذا الإحساس يقوده لطاعة الله رغبة ورهبة لا تشوب نيته شائبة في مخافة أحد سوى الله أو طلب مدح أحد أو ثنائه، وبين أن تكون عادة يستمر عليها المرء خوفاً من العقاب الدنيوي لا طمعاً في رضا الله ﷻ، وعبادة الصوم وحدها هي التي تقوى فيها الصلة بين العبد وربّه إذ يستطيع في غفلة من الناس أن يأكل ويشرب إذا لم يراقب الله سبحانه.

(١) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٤/١، وصحيح مسلم ٤٨/٦.

هل تكفي النية أول الشهر:

اختلف أهل العلم هل تكفي نية الصيام في أول شهر رمضان أم أن لكل يوم نية مستقلة، ولا شك أن الأحوط أن يكون لكل يوم نية مستقلة؛ لأن صيام كل يوم عبادة مستقلة.

إذا لم يعلم بخبر الصيام إلا في وسط النهار:

إذا لم يعلم المسلم بخبر الصيام إلا بعد طلوع الفجر لزمه الإمساك من حين علم ووجب عليه القضاء؛ لأن فطره أول النهار معذور فيه إذ لم يعلم خبر الشهر إلا بعد طلوع الفجر.

وأما إلزامه بالإمساك فلحرمة الشهر وإلزامه بالقضاء؛ لأن صيامه جزءاً من اليوم لا يجزيه إذ لا بد من صيام اليوم كاملاً من طلوع الفجر حتى غروب الشمس.

هل النية واجبة في الفرض والنفل:

تبييت النية واجب في الفرض فقط، وأما النفل فله أن يمسه ولو في وسط النهار ما دام لم يأكل ولم يشرب ولم يأت مفطراً من المفطرات من طلوع الفجر يدل لذلك ما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم يأتيني فيقول: «أعندك غداء فأقول لا فيقول: إني صائم» قالت: فأتاني يوماً فقلت: يا رسول الله أنه أهديت لنا هدية، قال: وما هي؟ قلت: حيس، قال: «أما أني أصبحت صائماً» قالت: ثم أكل^(١).

وفي هذا دليل صحيح صريح على أنه يجوز للإنسان أن يصوم صيام التطوع بنية من وسط النهار كما أنه يدل دلالة صريحة على أن من بات صائماً صيام نفل يجوز له أن يفطر في وسط النهار قبل تمام صومه. وهذا من يسر الإسلام وسماحته والله الحمد والمنة.

(١) رواه مسلم صحيح مسلم ١٥٩/٣.

اللهم وفقنا لاتباع الهدى وجنبنا أسباب الهلاك والشقاء واجعل شهرنا شاهداً لنا يوم العرض وأعنا فيه على طاعتك وجنبنا طرق معصيتك واختم لنا بالصالحات وضاعف لنا الحسنات وتقبل منا القليل واعف الزلل والتقصير واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين^(١).



(١) صحيح مسلم بشرح النووي ١٩٧/٧، المغني ٩١/٣.

المجلس الخامس

فصل في:

- أركان الصوم ومكانته في الإسلام.
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

أركان الصوم ومكانته في الإسلام

الحمد لله خالق كل مخلوق ورازق كل مرزوق مصرف الأشياء فمنها سابق ومسبوق موجد المنظور والملبوس والمذوق أنشأ آدمي بالقدرة من ماء مدفوق وركب فيه العقل يدعو إلى مراعاة الحقوق والهوى يحث على ما يوجب العقوق.

أحمده سبحانه على ما يقضي ويسوق مما يغم ويشوق.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله وقد ازدحمت سوق الباطل في أروج سوق فدفع بصدقة أهل الزبغ وأرباب الفسوق وعلى آله وأصحابه ما هب الهوى ولمعت البروق وعلى صاحبه أبي بكر الصديق الصدوق وعلى عمر الملقب بالفاروق وعلى عثمان الصابر على الشهادة يدفعه الشوق وعلى علي مطلق الدنيا فما غره من دَهَبِ بَرُوقٍ وعلى جميع أتباعهم ما تعاقب الغروب والشروق.

إخواني الصائمين والصائمات سلام الله عليكم ورحمته وبركاته درسنا هذه الليلة حول تعريف الصيام وأركانه ومكانته في الإسلام فنقول:

الصيام في اللغة: الإمساك، ويستعمل في كل إمساك، يقال: صام فلان أي أمسك عن الكلام وصامت الخيل إذا وقفت ومنه قوله تعالى: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ [مريم: ٢٦].

وقول الشاعر:

خيل صيام وخيل غير صائمة تحت العجاج وخيل تعلق اللجما

والصوم في الاصطلاح: الإمساك عن المفطرات بنية من طلوع الفجر إلى غروب الشمس.

فهو إمساك مخصوص في زمن مخصوص عن شيء مخصوص من شخص مخصوص .

ومن هذا التعريف نأخذ أركان الصوم الثلاثة :

١ - النية .

٢ - الإمساك عن المفطرات .

٣ - زمن الصوم .

وللصوم مكانة عظيمة لا يحسب قدرها ولا يعرف سموها إلا المؤمن الصادق الذي يعيش مع رمضان بقلبه وقالبه ولبه وجوارحه فوجهه باسم متهلل بتباشير الرحمة التي تنبعث مع أول خيط من خيوط الفجر في أول يوم من هذا الشهر الكريم .

دنيا المؤمن مملوءة في رمضان بضياء الرحمة والمسامحة والصفح والغفران في ظلال العبادة والخضوع والتواضع .

وقلب المؤمن خاشع ضارع إلى ربه يرتل القرآن ويرجعه في صفاء وبعد عن شياطين الإنس والجن .

سعادة المؤمن في رمضان لا تعدلها سعادة؛ لأنه يحس من خلال جوعه وعطشه وصفاء نفسه بالجنة وقد ازدانت لاستقبالها وقد اصطفت الحوريات تنتظر القادم الغالي .

إن شهر رمضان شهر التوبة والغفران شهر العفو والعنتق من النيران شهر تفيض فيه المساجد بين قائم وراكع وساجد وعابد دائب ونادم تائب .

كل مؤمن تهفو نفسه أن يكون في إحدى لياليه من ضمن المعتقين الأبرار ليجتمع في جنات الخلود بالأصحاب والأخيار .

شهر رمضان شهر السمو الروحي والتهذيب الخلقي والصفاء القلبي .

أجر الصائم لا حد له ترك الله جزاءه لكرمه سبحانه مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، لا نعرف شيئاً عن هذا الجزاء، ولكننا نؤمن إيماناً جازماً أنه يتناسب وكرم الله وعطائه وجزيل مغفرته وثوابه،

فكما أن الصيام له وحده سبحانه لا تدخله الرغبة والشهوة فكذلك الجزاء والجزاء من جنس العمل.

فهنيئاً لك أيها الصائم في صيامك وقيامك وأبشر بما أعد الله لك من جزيل الأجر وبالغ العطاء.

وحذار حذار أن تفسد صومك برفث أو جهل أو فسوق أو عصيان فيحبط عملك وعليك بالوصية الجامعة ممن لا ينطق عن الهوى «وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل: إني صائم إني صائم»^(١).

شعراً:

منه بمجد صريح غير مؤتشب
مهاوي الذل من جبن إلى عطب
فصرت من بعد تلك الجيل في العقب
بالدين ذروة مجد غير منسحب
بالخسف ذورة طود شر منقلب
واليوم منك سوى الأخلاق لم يعب
بالنهي عن منكرات السوء في طلب
وصرت للمنكر المذموم في طلب
قوماً من الظلم والظلام في نصب
ولا يهيجك هيّاج إلى الغضب
بني جهالتها الهاوين في الريب
لتظفرن بحول الله من كذب
مفر من نقمة الجبار والتب
يزرع من الشوك لا يحصد من العنب

يا أمة ذاك ماضيها الذي عرفت
ماذا دهاك فقد أصبحت هاوية
قد كنت تاجاً لأجيال الوري عصراً
وكنت موفورة الخيرات صاعدة
فصرت أسفل سفلاها كما انقلبت
وكنت هذبت أخلاق الوري زمناً
وكنت أمره المعروف قائمة
فصرت أنت عن المعروف معرضة
وكنت حررت من ظلم ومن عنت
فاليوم تظلمك الدنيا بأجمعها
وكنت أنقذت من جهل ومن عمه
لئن رجعت إلى الطاعات من كذب
وإن بقيت على ما أنت فيه فلا
شر بشر ومن يعمله يلق ومن



(١) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٣/٣٤، صحيح مسلم ٣/١٥٧.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

يقول تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

ويقول تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

المعروف هو ما عرفه الناس بأنه محبوب للشارع ويدخل فيه الواجبات والمستحبات والمنكر ما ينكره الشارع ولا يرضاه من المحرمات والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أوجب واجبات الإسلام وقد عده بعض أهل العلم الركن السادس من أركان الإسلام.

يقول العلامة ابن حزم رحمته الله^(١): «اتفقت الأمة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بلا خلاف بين أحد منهم لقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يتصف بالصفات الآتية:

١ - العلم بقول الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَعْرَظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥].

والحكمة هنا هي العلم النافع ليكون الأمر والنهي قوياً في حجته مؤثراً في سامعيه وليكون أمره ونهيه على بصيرة وبينة لئلا يقع في الخطأ فيأمر بما ليس بمعروف وينهى عن شيء ليس بمنكر.

٢ - العمل بما يقول:

يقول تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤].

ويقول تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الصف: ٢ - ٣].

إن هداية الغير فرع للاهتمام وكذلك تقويم الغير فرع للاستقامة والإصلاح زكاة عن نصاب الصلاح فمن ليس بصالح في نفسه فكيف يصلح غيره ومتى يستقيم الظل والعود أعوج^(١).

٣ - الإخلاص:

فكل عمل لا يقوم على الإخلاص فلا حاجة لله فيه، ولهذا كان في الإسلام شرطان لقبول العمل أي عمل أحدهما الإخلاص: ﴿وَمَا أُمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

وثانيهما: صدق المتابعة للرسول ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»^(٢).

٤ - الأمانة:

وذلك بأن يكون المسلم أعينا في تبليغ شرع الله فلا يزيد ولا ينقص ولا يقول عن الله إلا ما كان عالماً به متمكناً فيه.

وصدق الله العظيم: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنُفِرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يَفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾﴾ [النحل: ١١٦].

٥ - الصبر:

فعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يتحلى بالصبر على ما

(١) إحياء علوم الدين ٢/٣٠٩.

(٢) رواه مسلم صحيح مسلم ٥/١٣٢.

بصيه؛ لأن هذا هو طريق الأنبياء والمرسلين وقد أوذوا فصبروا فكانت العاقبة لهم في الدنيا والآخرة رزقنا الله اتباعهم.

يقول تعالى: ﴿يَبْنِيْ أَعْمِرَ الصَّلٰوةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُوْرِ ﴿١٧﴾﴾ [لقمان: ١٧].

ويقول تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكٰفِرٌ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا وَعَمِلُوْا الصَّٰلِحٰتِ وَتَوَّصَّوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَّوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر: ١ - ٣].

٦ - الرفق واللين:

والرفق ما خالط شيئاً إلا زانه ولا نزع من شيء إلا شانه وكم من داعية أدرك برفقه ولينه ولطفه ما لا يدركه الآف الدعاة الذين لا يتحلون بهذه الخصال، وقد أوصى الله الدعاة فيها فقال عن موسى وهارون: ﴿أَذْهَبًا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقَوْلًا لَهُ قَوْلًا لِّئِنَّا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه: ٤٣، ٤٤].

ويقول تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيْلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيْلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِيْنَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل: ١٢٥].

٧ - التيسير والتبشير:

فينبغي للأمر الناهي أن يكون ميسراً ومبشراً وأن يفتح أبواب الخير للناس ويرغبهم في التوبة والإنابة ويذكر لهم الجزاء في الآخرة، وقد أرشد الله إلى هذا الأسلوب في كتابه فقال: ﴿قُلْ يٰعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَآسَرُوْا عَلَىٰٓ اَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوْا مِنْ رَّحْمَةِ اللّٰهِ إِنَّ اللّٰهَ يَغْفِرُ الذُّنُوْبَ جَمِيْعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُوْرُ الرَّحِيْمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣].

يا أيها الرجل المعلم غيره	هلا لنفسك كان ذا التعلم
تصف الدواء لذي السقام وذي الظنا	كيما يصح به وأنت سقيم
وتراك تصلح بالرشاد عقولنا	أبدأ وأنت من الرشاد عديم
أبدأ بنفسك فانها عن غيرها	فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهنالك يسمع ما تقول ويهتدى	بالقول منك فينفع التعليم

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم
 اللهم يا واسع العطاء والجود امنن علينا بصلاح الظاهر والباطن واجعلنا
 ممن ادخر له الجزاء في جنات الخلود: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ﴿٢٩﴾
 وَظِلِّ مَمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَنَكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ
 مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ [الواقعة: ٢٨ - ٣٤].

اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل ونعوذ بك من
 النار وما قرب إليها من قول أو عمل. اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولجميع
 المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله وسلم
 على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين^(١).



(١) فقه الصيام ص ٤، حق الطريق ص ١٠٩.

المجلس السادس

فصل في:

- التوبة.
- ومفسدات الصوم.

التوبة

الحمد لله الذي نصب من كل كائن على وحدانيته برهاناً وتصرف في خليقته كما شاء عزاً وسلطاناً، واختار المتقين فوهب لهم أمناً وإيماناً وعم المذنبين بحلمه ورحمته عفواً وغفراناً ولم يقطع أرزاق أهل معصيته جوداً وامتناناً روح أهل الإخلاص بنسيم قربه وحذر يوم الحساب بجسيم كربه وحفظ السالك نحو رضاه في سره. وأكرم المؤمن إذ كتب الإيمان في قلبه. حكم في بريته فأمر ونهى وأيقظ بموعظته من غفل وسها. ودعا المذنب إلى التوبة لغفران ذنبه.

أحمده حمد عابد لربه معتذر إليه من تقصيره وذنبه وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مخلص من قلبه. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المصطفى من حزه ﷺ وعلى أبي بكر خير أحبته وصحبه.

وعلى عمر الذي لا يسير الشيطان في سره، وعلى عثمان الشهيد لا في صف حربه، وعلى علي معينه في جهاده وحربه، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان وسلم تسليماً كثيراً... وبعد.

إخوتي الصائمين.. نلتقي في هذه الليلة لنستجلي موضوعاً هاماً يهم كل مسلم ومسلمة على وجه الأرض ألا وهو موضوع التوبة الذي ذكره الله في القرآن وأكد على التوبة إليه والتضرع بين يديه وتقديم الاستغفار والذكر. يقول تعالى: ﴿وَأَن أَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ ثُمَّ نُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَّعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾﴾ [هود: ٣].

ويقول تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَجِدْ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَأَسْتَغْفِرُوا﴾ [فصلت: ٦].

ويقول تعالى: ﴿وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

ويقول تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَوْمًا أَنفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقَوْدُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا نَعْدِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُؤْبَوْنَ إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [التحریم: ٦ - ٨].

ويقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

وقد ندب الرسول ﷺ إلى التوبة ورجب فيها وذكر عن نفسه أنه يتوب كل يوم مائة مرة يدل لذلك:

ما رواه الأغر بن يسار المزني رحمه الله قال: قال النبي ﷺ: «يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فإني أتوب إلى الله في اليوم مائة مرة»^(١).

وعن أبي هريرة رحمه الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة»^(٢).

وعن أنس بن مالك رحمه الله قال: قال رسول الله ﷺ: «الله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها وقد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح»^(٣).

والتوبة هي الرجوع من معصية الله إلى طاعته لأنه سبحانه هو المعبود حقاً وحقيقة العبودية هي التذلل والخضوع للمعبود محبة وتعظيماً، فإذا حصل من العبد شرود عن طاعة ربه فتوبته أن يرجع إليه ويقف ببابه موقف الفقير الذليل الخائف المنكسر بين يديه. وهي واجبة على الفور ولا يجوز تأخيرها ولا التسوية بها إذ قد تفجأه المنية وهو على معصيته والعياذ بالله، وكم رأينا

(١) رواه مسلم. صحيح مسلم ٧٣/٨.

(٢) رواه البخاري. صحيح البخاري ٨٣/٣.

(٣) رواه مسلم. صحيح مسلم ٩٢/٨.

وسمعنا في واقعنا المعاصر من أشخاص ماتوا على معاصيهم .
تجد الشخص يحصل عليه حادث في سيارته وهو في الطريق وصوت
المغني أو المغنية مرتفع ، بل قد يلفظ أنفاسه ويبقى الصوت مرتفعاً شاهداً عليه
في الدنيا قبل الآخرة .

وكم من شخص مات في رمضان وهو مفطر والعياذ بالله استعبده
الجريمة فأصبحت هي معبوده من دون الله .

وكم من أشخاص هلكوا وأرصدتهم الربوية تلعنهم شاهدة عليهم .
وكم من أقوام درسوا وقد عقوا والديهم وآذوا جيرانهم وأكلوا حقوق
غيرهم .

فاتقوا الله يا أيها المؤمنون وأصدقوا مع الله فرمضان فرصة قد لا تعود
عليكم أعلنوها توبة خالصة لعل الله أن يمحو بها كثير السيئات ويضاعف بها
قليل الحسنات .

وصدق الله الرحيم الرحمن: ﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ أَشْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا
تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾
[الزمر: ٥٣] .

شعراً:

يا ذا الذي ما كفاه الذنب في رجب	حتى عصى ربه في شهر شعبان
لقد أظلك شهر الصوم بعدهما	فلا تصيره أيضاً شهر عصيان
واتل الكتاب وسبح فيه مجتهداً	فإنه شهر تسبيح وقرآن
فاحمل على جسد ترجو النجاة له	فسوف تضرم أجساد بنيران
كم كنت تعرف ممن صام في سلف	من بين أهل وجيران وإخوان
أفناهم الموت واستبقاك بعدهم	حيّاً فما أقرب القاصي من الداني
ومعجب بثياب العيد يقطعها	فأصبحت في غد أثواب أكفان



مفسدات الصوم

تتبع كلام أهل العلم في المفطرات وحصرتها فوجدتها في الغالب لا تخرج عن ثلاث مجموعات هي:

المجموعة الأولى: الإفطار بما دخل إلى الجوف.

المجموعة الثانية: الإفطار بالأعمال الجنسية.

المجموعة الثالثة: الإفطار بما خرج من الجوف.

وإليك بيان هذه المجموعات وما يدخل تحتها من المفطرات.

المجموعة الأولى: الإفطار بما دخل إلى الجوف:

١ - إذا أكل الصائم أو شرب عامداً ذاكراً لصومه فإنه يبطل.

يقول تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

فقد بينت الآية أنه لا يباح للصائم الأكل والشرب بعد طلوع الفجر حتى الليل - غروب الشمس - فمن أكل أو شرب خلال هذا الوقت فقد أبطل صيامه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يذر طعامه وشرابه وشهوته من أجلي...»^(١).

ويستوي في ذلك ما يتغذى به وما لا يتغذى به. قال ابن قدامة رحمته الله: أجمع العلماء على الفطر بالأكل والشرب بما يتغذى به، فأما ما لا يتغذى به فعامة أهل العلم على أن الفطر يحصل به»^(٢).

(١) رواه البخاري. صحيح البخاري ٣/٣١.

(٢) انظر: المغني ٣/١٠٣.

أما إذا أكل أو شرب ناسياً فصيامه صحيح ويجب على من رآه يأكل أن ينبهه وما شاع لدى العوام من عدم تنبيه الصائم الناسي لا أصل له بل من رآه يأكل وهو يعلم أنه صائم ولم ينبهه فإنه آثم؛ لأن هذا من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويدل لصحة صومه ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من نسي وهو صائم فأكل أو شرب فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه»^(١).

٢ - ويفطر بكل ما أدخله إلى جوفه مما ينفذ إلى معدته إذا وصل باختياره وكان مما يمكن التحرز عنه سواء وصل من الفم أو الأنف لأن هذا يشبه الأكل والشرب»^(٢).

٣ - الإبر المغذية التي يكتفي بها عن الأكل والشرب، فإذا تناولها أفطر لأنها وإن لم تكن أكلاً وشرباً حقيقة فإنها بمعناها مثبت لها حكمهما. فأما الإبر غير المغذية فلا تفطر لأنها ليست أكلاً ولا شرباً ولا بمعنى الأكل والشرب فلا يثبت لها حكمها.

وهنا ينبغي أن يعلم أنه يرخص في تناول الإبر المغذية في نهار رمضان إذا اضطر إليها ولم يستطع أن يصبر إلى الليل وحكمه هنا حكم المريض المرخص له في الفطر فيتناول الإبرة ويفطر ويقضي ذلك اليوم تيسيراً من الله جل وعلا: ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

ويتفرع على ما سبق مسائل:

الأولى: إذا تسحر وهو يظن أن الفجر لم يطلع، فإذا هو قد طلع أو أفطر وهو يرى أن الشمس قد غربت فإذا هي لم تغرب أمسك بقية يومه وعليه القضاء^(٣).

(١) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٤٠/٣، وصحيح مسلم ١٦٠/٣.

(٢) انظر: المغني ١٠٥/٣.

(٣) المغني ١٣٦/٣.

يدل لذلك ما روته أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: أفطرنا على عهد النبي ﷺ، يوم غيم ثم طلعت الشمس، قيل لهشام فأمروا بالقضاء. قال: لا بد من قضاء وقال معمر: سمعت هشاماً لا أدري أقضوا أم لا^(١).

قال ابن قدامة رحمته الله: هذا قول أكثر أهل العلم من الفقهاء وغيرهم واحتج لهم بقوله: إنه أكل مختاراً ذاكراً لصومه فأفطر كما لو أكل يوم الشك ولأنه جهل بوقت الصيام فلم يعذر به كالجهل بأول رمضان ولأنه يمكن التحرز منه. قلت: وفيه احتياط للعبادة ومنع لضعاف النفوس من التحايل على الفطر وفيه مطالبة للمؤذنين أن يتثبتوا من غروب الشمس لثلا يوقعوا المسلمين في الحرج والعنت المرفوع عنهم شرعاً.

الثانية: إذا أكل شاكاً في طلوع الفجر ولم يتبين الأمر فليس عليه قضاء وله أن يأكل حتى يتيقن طلوع الفجر^(٢).

والفرق بين هذه المسألة والتي قبلها أنه هنا لم يتبين له طلوع الفجر أما في المسألة الأولى فإنه قد تبين له أنه أكل أو شرب بعد طلوع الفجر.

الثالثة: وإن أكل شاكاً في غروب الشمس ولم يتبين فعلية القضاء لأن الأصل بقاء النهار وإن كان حين الأكل ظاناً أن الشمس قد غربت أو أن الفجر لم يطلع ثم شك بعد الأكل ولم يتبين فلا قضاء عليه لأنه لم يوجد يقين أزال ذلك الظن الذي بنى عليه فأشبهه ما لو صلى بالاجتهاد ثم شك في الإصابة بعد صلاته^(٣).

اللهم يا جابر كسر المنكسرين ويا مغيث الملهوفين والمستغيثين نسألك أن تقابل إساءتنا بإحسانك وتقصيرنا بعفوك وامتنانك. اللهم سلمنا من نفوسنا التي هي أقرب أعدائنا وامنن علينا بالتوفيق بعمل إليك يقربنا واتمم علينا يا مولانا ما به أكرمتنا. وأدم علينا إحسانك كما عودتنا بها نحن عبيدك قد ألقينا

(١) رواه البخاري. صحيح البخاري ٤٧/٣.

(٢) المغني ١٣٦/٣.

(٣) المغني ١٣٧/٣.

نفوسنا بين يديك وطمعنا بحسن وعدك وجميل رفقك فيما لديك اللهم نزه
قلوبنا عن التعلق بمن دونك، واجعلنا من قوم تحبهم ويحبونك واغفر اللهم لنا
ولوالدنيا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين
وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين^(١).



(١) التوبة لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ١٣، بداية المجتهد ١/٢٩٤، المجموع ٦/٢٨٠.

المجلس الرابع

فصل في:

- التوبة.
- مفسدات الصوم.

التوبة

الحمد لله العلي القوي المتين القاهر الظاهر المبين لا يعزب عن سمعه أقل الأنين ولا يخفى على بصره حركات الجنين ذل لكبريائه جبابرة السلاطين وقل عند دفاعه كيد الشياطين قضى قضاءه كما شاء على الخاطئين وسبق اختياره لما اختار الماء والطين فهؤلاء أهل الشمال وهؤلاء أهل اليمين جرى القدر بذلك قبل عمل العاملين.

أحمده حمد الشاكرين وأسأله معونة الصابرين وأصلي وأسلم على رسوله المقدم من النبيين وعلى صاحبه الصديق أول تابع له على الدين، وعلى الفاروق عمر القوي الأمين، وعلى عثمان زوج ابنته ونعم القرين، وعلى علي بحر العلوم أب الحسن والحسين وعلى بقية الأصحاب والآل والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

إخوة الإيمان:

ذكرنا طرفاً من الكلام عن التوبة في الفصل السابق وهنا سنكمل الحديث عنها بمشيئة الله تعالى فنقول: التوبة نوعان: واجبة، ومستحبة.

فالواجبة هي التوبة من ترك مأمور أو فعل محظور، وهذه واجبة على جميع المكلفين، كما أمرهم الله بذلك في كتابه وعلى السنة رسوله ﷺ.

والمستحبة هي التوبة من ترك المستحبات وفعل المكروهات فمن اقتصر على التوبة الأولى كان من الأبرار المقتصدين، ومن تاب التوبتين كان من السابقين المقربين ومن لم يأت بالأولى كان من الظالمين، إما الكافرين وإما الفاسقين. قال الله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ۗ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۗ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمِ ۗ وَالسَّادِقُونَ وَالسَّادِقُونَ ۗ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۗ فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ۗ﴾ [الواقعة: ٧، ١٢].

وقال تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾
[فاطر: ٣٢]^(١).

والتوبة التي أمر الله بها هي التوبة النصوح التي تشتمل على شرائط التوبة وهي خمسة:

الأول: أن تكون خالصة لله ﷻ وذلك بأن يكون الباعث عليها محبة الله ﷻ والطمع في رضوانه والخوف من عقوبته ونيرانه فإن كان الباعث لها عرضاً زائلاً من الدنيا أو طمعاً في جاه أو ترفلاً لأحد من المخلوقين أو خوفاً من أحد من المخلوقين فليست بتوبة خالصة وكل زارع سيحصد ما زرع.

الثاني: الندم على ما بدر منه من الذنوب والإنيابة إلى الله ﷻ والانكسار بين يديه، وكلما كان الندم صادقاً وقوياً كلما ظهرت آثاره على العمل اللاحق فتجد التائب يقبل على الأعمال الصالحة بنهم وحرص شديد ليعوض ما فاته من الأوقات التي قضاها في العصيان وغضب الرحمن.

الثالث: الإقلاع عن المعصية فوراً دون تردد أو خجل من أحد أو مجاملة لأحد، وعليه فإن كانت المعصية بفعل أمر محرم وجب الابتعاد عنه فوراً وهجر أصحابه ومجالسه وإن كانت بترك واجب وجب أن يبادر إلى فعله وإن كان مما يقضى كالصوم والحج وجب قضاؤه وصار متعلقاً بذمته.

وإن كانت المعصية بأكل حقوق الخلق فلا تصح إلا بردها واستباحتهم وإن كان لا يعرف أصحاب الحقوق وجب أن يتصدق بها على نية دفعها لأصحابها لو طلبوها فيما بعد.

الرابع: أن يعزم على ألا يعود في المستقبل إلى المعصية، لأن هذا هو ثمرة التوبة ودليل صدق التائب، فإن قال إني تائب من كذا وهو ما زال يعمله أو يتوب من الشيء ثم يعود إليه فليست هذه بتوبة صحيحة؛ لأن التائب الصادق يكره المعصية كراهية شديدة ويتمنى ألا يتذكر ماضيه السابق لأنه يجلب له الهم والحزن.

(١) انظر: التوبة لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ١٣، ٢٤.

الخامس: ألا تكون التوبة بعد انتهاء وقت قبولها فإن كانت بعده لم تقبل وانتهاء وقت القبول نوعان: نوع عام لكل أحد ونوع خاص لكل شخص.

فأما العام: فهو طلوع الشمس من مغربها، فإذا طلعت الشمس من مغربها لم تنفع التوبة. يقول تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨].

وقد فسر أهل العلم بأنها طلوع الشمس من مغربها ويدل لذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه»^(١).

وأما الخاص: فهو عند حضور الأجل فمتى حضر الأجل وعابن الإنسان الموت لم تنفعه التوبة، ولم تقبل منه يدل لذلك قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ أَكُنْ﴾ [النساء: ١٨].

التوبة الصادقة تمحو كل ذنب مهما اجتمعت جيوش الدنيا وهواجس النفس وسهام الخلق وخطرات القلب وعداوة الشيطان لأن هذه كلها صغيرة حقيرة بجانب الاتكال على الله والاعتماد عليه.

يقول ابن القيم رحمته الله: «كيف يسلم من له زوجة لا ترحمه وولد لا يعذره وجار لا يأمنه وصاحب لا ينصحه وشريك لا ينصفه وعدو لا ينام عن معاداته ونفس أمارة بالسوء ودنيا متزينة وهوى مرد وشهوة غالبية له وغضب قاهر وشيطان مزين وضعف مستول عليه، فإن تولاه الله وجذبه إليه انقهرت له هذه كلها وإن تخلى عنه ووكله إلى نفسه اجتمعت عليه فكانت الهلكة».

وقال رحمته الله «اطلب قلبك في ثلاثة مواطن:

١ - عند سماع القرآن.

٢ - وفي مجالس الذكر.

(١) رواه مسلم. صحيح مسلم ٧٣/٨.

٣ - وفي أوقات الخلوة.

فإن لم تجده في هذه المواطن فسل الله أن يمن عليك بقلب فإنه لا قلب لك^(١).

ولله در القائل:

تباركت تعطي من تشاء وتمنع	لك الحمد يا ذا الجود والمجد والعلی
إليك لدى الإعسار واليسر أفزع	إلهي وخلّقي وسؤلي وموكلي
فمن ذا الذي أرجو ومن ذا أشفع	إلهي لئن خيبتني وطردتني
فها أنا في روض الندامة أرتع	إلهي لئن أعطيت نفسي سؤالها
وأنت مناجاتي الخفية تسمع	إلهي ترى حالي وفقري وفاقتي
فؤادي فلي في سيب جودك مطمع	إلهي فلا تقطع رجائي ولا ترغ
أسير ذليل خائف لك أخضع	إلهي أجرني من عذابك إنني
فعفوك من ذنبي أجل وأوسع	إلهي لئن جلت وجمت خطيئتي



بقية مفسدات الصوم

سبق لنا في الفصل الماضي بيان المجموعة الأولى وهي الإفطار بما دخل إلى الجوف وسيكون حديثنا هذه الليلة إن شاء الله عن المجموعتين الثانية والثالثة.

المجموعة الثانية: الأعمال الجنسية:

١ - الجماع يبطل الصوم ويوجب القضاء والكفارة إذا كان في نهار رمضان وليس عند الصائم عذر يبيح فطره.

يدل لذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ إذ جاءه رجل فقال: يا رسول الله هلكت، قال: «ما لك؟» قال: وقعت على امرأتي وأنا صائم، فقال رسول الله ﷺ: «هل تجد رقبة تعتقها؟» قال: لا، قال: «فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟» قال: لا، فقال: «هل تجد إطعام ستين مسكيناً؟» قال: لا، فمكث عند النبي ﷺ فبينما نحن على ذلك أتى النبي ﷺ بعرق فيه تمر والعرق المكتل، قال: «أين السائل؟» فقال: أنا قال: «خذها فتصدق به»، فقال الرجل: أعلى أفقر مني يا رسول الله، فوالله ما بين لابتيها - يريد الحرطين - أهل بيت أفقر من أهل بيتي فضحك النبي ﷺ حتى بدت أنيابه ثم قال: «أطعمه أهلك»^(١).

ولعل الحكمة في إيجاب الكفارة والله أعلم أنه لما هجم على هتك حرمة شعائر الله وكان مبدؤه إفراطاً طبيعياً وجب أن يقابل بإيجاب طاعة شاقة غاية المشقة ليكون بين يديه مثل تلك فيزجره عن غلواء نفسه

(١) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٤٠/٣، وصحيح مسلم ١٣٩/٣.

وجموح شهواتها^(١).

وقد نبه أهل العلم أن الكفارة إنما هي على من أبطل صومه في رمضان بالجماع من غير عذر.

أما في قضاء رمضان فليس عليه الكفارة إذا أبطل صومه بالجماع بل عليه الإثم وقضاء ما أبطل.

قال الإمام مالك رحمته الله سمعت أهل العلم يقولون ليس على من أفطر يوماً في قضاء رمضان بإصابة أهله نهاراً الكفارة التي تذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن أصاب أهله نهاراً في رمضان وإنما عليه قضاء ذلك اليوم وهذا أحب ما سمعت فيه إلي^(٢).

والمرأة في ذلك كالرجل سواء بسواء فمتى أفطرت بالجماع في نهار رمضان من غير عذر وجب عليها القضاء والكفارة؛ لأن ذلك نوع من المفطرات فاستوى فيه الرجل والمرأة كالأكل والشرب.

٢ - ومتى قبل فأنزل أو باشر فأنزل وجب عليه القضاء ولا كفارة لأنها خاصة بالجماع لكن ينبغي للمسلم أن يتجنب مواقع الزلل فيبتعد تماماً عن أهله في نهار رمضان لأن كل ممنوع مرغوب.

وزاده كلفاً في الحب أن منعت أحب شيء إلى الإنسان ما منعا
٣ - وإذا استمنى فأنزل فسد صومه وارتكب جرماً خطيراً لأن الاستمنا باليد أو غيرها غيرها حرام في رمضان وغيره ولكن الحرمة تشدد في رمضان لحرمة الزمان ووجوب الصيام وهل تلزمه الكفارة الصحيح المعتمد من كلام أهل العلم أنها لا تلزم إلا بالجماع فقط لورود النص خاصاً به.

٤ - ومن أنزل من غير شهوة كالمصاب بمرض في الظهر فهل يبطل صومه قولان لأهل العلم أحدهما أن صومه صحيح لأنه لا ذنب له ولم يفرط أو يتعد بل هذا أمر خارج عن إرادته.

(١) حجة الله البالغة ٥/٢.

(٢) الموطأ ١/٢٩٧.

٥ - وإن نام فاحتلم لم يفطر لأن هذا خارج عن إرادته والله لا يكلف نفساً إلا وسعها وما جعل علينا في الدين من حرج.

٦ - ويصح صوم الرجل والمرأة إذا أصبح الواحد منهم وهو جنب لما روته عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يدركه الفجر وهو جنب من أهله ثم يغتسل ويصوم^(١).

لأنه لما أذن في المباشرة إلى طلوع الفجر ثم أمر بالصوم دل على أنه يجوز أن يصبح صائماً وهو جنب^(٢).

المجموعة الثالثة: الإفطار بما خرج من الجوف:

١ - التقيؤ عمداً وهو إخراج ما في المعدة من طعام أو شراب عن طريق الفم يدل لذلك قوله ﷺ: «من ذرعه القيء فليس عليه قضاء ومن استقاء عمداً فليقض»^(٣).

ولو حصل القيء بدون سبب منه فليس عليه شيء لأنه لا ذنب له وهذا خارج عن إرادته والله لا يكلف نفساً إلا وسعها.

٢ - إخراج الدم بالحجامة ودليل ذلك ما رواه شداد بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أفطر الحاجم والمحجوم»^(٤).

وفي معنى الحجامة إخراج الدم بالفصد وإخراجه من أجل التبرع به. ولهذا لا يسوغ للمسلم أن يتبرع بدمه في نهار رمضان إلا بشرطين: الأول: أن توجد ضرورة ملحة كإنقاذ معصوم ولا يوجد من يتبرع له من غير الصائمين.

الثاني: ألا يتضرر المتبرع فمتى توافر هذان الشرطان جاز للشخص أن

(١) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٣/٣٨، وصحيح مسلم ٣/١٣٧.

(٢) المهذب ١/١٨١.

(٣) رواه أبو داود ٢/٣١٠، والترمذي ٣/٧٩، وابن ماجه ١/٥٣٦، وأحمد ٢/٤٩٨،

وسنده صحيح كما قال شيخ الإسلام في حقيقة الصيام ص ١٤.

(٤) رواه أبو داود ٢/٧٧٠، والترمذي ٣/١٤٤.

يتبرع بدمه في نهار رمضان ويفطر ويكون معذوراً وعليه قضاء ذلك اليوم.
أما خروج الدم بالجرح أو قلع الضرس أو الرعاف أو أخذ الدم للتحليل
إذا كان يسيراً فلا يفطر به لأنه ليس بحجامة ولا بمعناها إذ لا يؤثر في البدن
كتأثير الحجامة.

٣ - خروج دم الحيض والنفاس يدل لذلك قوله ﷺ في المرأة: «أليس
إذا حاضت لم تصل ولم تصم»^(١).

فمتى رأت دم الحيض أو النفاس بطل صومها ولو كان قبل غروب
الشمس بدقائق والله أعلم.

إخواني: حافظوا على الطاعات وجانبوا المعاصي والمحرمات وابتهلوا
إلى فاطر الأرض والسموات وتعرضوا لنفحات جوده، فإنه جزيل الهبات
واعلموا أنه ليس لكم من دنياكم إلا ما أمضيتموه في طاعة مولاكم فالغنيمة
الغنيمة قبل فوات الأوان والربح الربح قبل حلول الخسران.

اللهم وفقنا لاغتنام الأوقات وشغلها بالأعمال الصالحات اللهم جد
علينا بالفضل والإحسان وعاملنا بالعفو والغفران اللهم يسرنا ليسرى وجنبنا
العسرى واغفر لنا في الآخرة والأولى، اللهم ارزقنا شفاعة نبينا وأوردنا
حوضه واسقنا منه شربة لا نظماً بعدها أبداً يا رب العالمين، اللهم اغفر لنا
ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين
وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه
وسلم^(٢).



(١) رواه البخاري. صحيح البخاري ٣/٣١.

(٢) التوبة لشيخ الإسلام ص ١٣، بداية المجتهد ١/٢٩٤، المجموع ٦/٢٨٠.

المجلس الثامن

فصل في:

- نعيم القبر وعذابه.
- وأقسام الصيام.

نعيم القبر وعذابه

الحمد لله الذي شرع الشرائع وأحكم الأحكام. وجعل النعيم والعذاب جزاء عادلاً للأنام. وبين الحلال وحرم الحرام واحتجب في هذه الدار عن سائر مخلوقاته المتفرد باختراع الكون وإيجاده. المتصرف في خلقه بمحض مشيئته ووفق مراده والمحيط علمه بسائر برياته. نبه من شاء من العباد من غفلته ورقاده فأيقن أنه مسافر إلى الله فكان همه إعداد زاده وحكم على من شاء بطرده وإبعاده فصرف همته للعاجلة واشتغل عن حشره ومعاده فسبحان من قسم الفضائل بين خلقه فهذا فضيل وهذا مفضول وهذا مطرود وهذا مقبول وهذا قد رمي بالابعاد والخذلان وهذا قد قرب من مولاه الرحيم الرحمن وأحق البشر في ذلك النبي من نسل عدنان عليه وعلى آله وأصحابه أفضل الصلاة وأزكى السلام.

أيها الأحبة في الله...

حديثنا هذه الليلة عن نعيم القبر وعذابه أسأل الله بأسمائه الحسنی وصفاته العلی أن يجعلنا ووالدينا ممن ينعمون في قبورهم ويفسح لهم فيها مد البصر.

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصار فانتبهينا إلى القبر ولما يلحد فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مستقبل القبلة، وجلسنا حوله وكأن على رؤوسنا الطير وفي يده عود ينكت في الأرض وجعل ينظر إلى السماء وينظر إلى الأرض، وجعل يرفع بصره ويخفضه ثلاثاً فقال: «استعيذوا بالله من عذاب القبر» مرتين أو ثلاثاً ثم قال: «اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر» ثلاثاً ثم قال: «إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم

الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة - وفي رواية المطمئنة - اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان. قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء فيأخذها».

وفي رواية: «حتى إذا خرجت روحه - صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك في السماء وفتحت له أبواب السماء ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله أن يعرج بروحه من قبلهم - فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط فذلك قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ﴾ [الأنعام: ٦١] ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض» قال: «فيصعدون بها فلا يمرون - يعني - بها على ملاء من الملائكة - إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب فيقولون: فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح لهم فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهي به إلى السماء السابعة فيقول الله تعالى: «اكتبوا كتاب عبدي في عليين» فيكتب كتابه في عليين ثم يقال: أعيدوه إلى الأرض فإني وعدتهم أنني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى قال: فيرد إلى الأرض وتعاد روحه في جسده فإنه يسمع خفق نعال أصحابه إذا ولوا عنه مدبرين فيأتيه ملكان شديدا الانتهاز فينتهرانه ويجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولان له: وما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فأمنت به وصدقت، فينتهره فيقول: من ربك وما دينك من نبيك؟ وهو آخر فتنة تعرض على المؤمن فذلك حين يقول الله تعالى: ﴿يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

فيقول ربي الله، ودينني الإسلام، ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم فينادي مناد في السماء أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة

قال: فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره قال: ويأتيه، وفي رواية: يمثل له رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول: أبشر بالذي يسرك أبشر برضوان من الله وجنات فيها نعيم مقيم هذا يومك الذي كنت توعد فيقول له: وأنت فبشرك الله بخير من أنت فوجهك الوجه يجيء بالخير، فيقول: أنا عمك الصالح فوالله ما علمتك إلا كنت سريعاً في طاعة الله بطيئاً في معصية الله فجزاك الله خيراً ثم يفتح له باب من الجنة وباب من النار فيقال: هذا منزلك لو عصيت الله أبدلك به هذا فإذا رأى ما في الجنة قال: رب عجل قيام الساعة كما أرجع إلى أهلي ومالي. فيقال له: اسكن.

قال: وإن العبد الكافر - وفي رواية: الفاجر - إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة غلاظ شداد سود الوجوه معهم المسموح من النار فيجلسون منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب قال: فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود، الكثير الشعب - من الصوف المبلول فتقطع معها العروق والعصب فيلعنه كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك في السماء وتغلق أبواب السماء ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله ألا تعرج روحه من قبلهم فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفه عين حتى يجعلوها في تلك المسوح ويخرج منها كأن تن ریح جيفة وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها على مأل من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث فيقولون: فلان ابن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهي به إلى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لَا تُفْنَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠]. فيقول الله ﷻ: «اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى» ثم يقال: أعيديا عبدي إلى الأرض فإنه وعدتهم أنني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى، فتطرح روحه من السماء طرحاً حتى تقع في جسده ثم قرأ: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١]. فتعاد روحه في

جسده قال: فإنه ليسمع خفق نعال أصحابه إذا ولوا عنه ويأتيه ملكان شديدا الانتهاز فينتهرانه ويجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: فما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم. فلا يهتدي لاسمه فيقال: محمد فيقول: هاه هاه لا أدري، سمعت الناس يقولون ذلك قال: فيقال: لا دريت ولا تلوت فينادي مناد من السماء أن كذب فأفرشوا له من النار وافتحوا له باباً إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ويأتيه، وفي رواية ويمثل له رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول: أبشر بالذي يسؤوك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول: وأنت فبشرك الله بالشر من أنت فوجهك الوجه يجيء بالشر فيقول: أنا عملك الخبيث - فوالله ما علمتكم إلا كنت بطيئاً عن طاعة الله سريعاً إلى معصية الله - فجزاك الله شراً ثم يقبض له أعمى أصم في يده مرزبة لو ضرب بها جبل كان تراباً فيضربه حتى يصير بها تراباً، ثم يعيده الله كما كان فيضربه أخرى فيصيح صيحة يسمعه كل شيء إلا الثقلين، ثم يفتح له باب من النار ويمهد من فرش النار فيقول: رب لا تقم الساعة^(١).

شعراً:

ثم انقضى العمر الذي تهنا به	وبدأت في ضعف وفي نقصان
ودنا الفراق ولات حين تهرب	أين المفر من القضاء الداني
والثف صحك يرقبون بحسرة	ماذا تكون عواقب الحدثان
واستل روحك والقلوب تقطعت	حزناً وألقت دمعها العينان
فاحتاج أهل الدار حزن بالغ	واجتاح من حضروا من الجيران
وأتى المغسل والمكفن قد أتى	ليجلبوك بحلة الأكفان

(١) رواه أحمد ٤/٢٨٧، وأبو داود ٢/٥٤٠، والحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين وأقره الذهبي - المستدرک - ١/٣٧، وصححه ابن القيم في أعلام الموقعين ١/٢١٤، وتهذيب السنن ٤/٣٣٧، وصححه الألباني في أحكام الجنائز ص ١٥٩.

صدر الحلِيم وصابر الحيوان
 وضعوك في البيت الصغير الثاني
 تدعوه بالتوحيد والإيمان
 تأتِيك بالأنوار والريحان
 والناس في عرق إلى الأذان
 بيض الوجوه خوامص الأبدان
 واللؤلؤ المكنون والمرجان
 متتبعاً لطرائق الشيطان
 بسلاسل ومسربل القطران
 أعجاز نخل داخل النيران

وسكنت لحد قد يضيق لضيقه
 وسمعت قرع نعالهم من بعد ما
 إن كنت في الدنيا لربك مخلصاً
 فتحت عليك من الجنان نوافذ
 ويظلك الله الكريم بظله
 والزوج حور في البيوت كواعب
 أبكار شبه الدر في أصدافه
 أما إذا ما كنت فيها مجرماً
 فهناك تسحب للجحيم مكبلاً
 فيها الأفاعي والهوام كأنها



أقسام الصيام

الصيام على أنواع:

منه الواجب، ومنه المندوب، ومنه المكروه، ومنه المحرم.
وسيكون حديثنا هنا عن الصيام الواجب والصيام المحرم فنقول.

الصيام الواجب:

١ - صوم شهر رمضان ودليله قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ [البقرة: ١٨٣].

٢ - صوم النذر:

يجب على المسلم أن يصوم الأيام التي نذر أن يصومها طالت أو قصرت تابعت أم تفرقت.

ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿يُؤْفُونَ بِالَّذِي نَذَرُوا وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾﴾ [الإنسان: ٧].

فأثنى جل وعلا على الذين يوفون بالنذر وثبت عنه ﷺ أنه قال: «من نذر أن يطيع الله فليطعه»^(١).

فإذا نذر المسلم صيام أيام معينة لزمه صيامها إلا أن تكون مما يحرم صومه كيومي العيدين وأيام التشريق وإن نذر صوم شهر معين لزمه التابع وإن نذر صيام أيام معدودة كعشرة أو عشرين لم يلزمه التابع إلا إذا نوى ذلك.

(١) رواه البخاري. صحيح البخاري ١٧٧/٨.

٣ - الصيام الواجب للكفارة، فمتى وجبت الكفارة على المسلم ولم يجد عتق رقبة لزمه صيام شهرين متتابعين وذلك في كفارة القتل الخطأ. يقول تعالى: ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ [النساء: ٩٢].

والتابع هنا شرط لصحة الصوم، فمتى قطعه لزمه أن يبدأ من جديد إلا إذا قطعه لعذر شرعي كالحيض والنفاس والسفر غير المقصود تحيلاً فإن سافر لقصد التحليل على قطع الصوم لم يصح. وكالفطر يوم العيد ويوم التشريق، ومثل كفارة القتل الخطأ كفارة الظهر وسائر الكفارات الأخرى على اختلاف في مدة الصيام الواجبة ككفارة الجماع في نهار رمضان وكفارة اليمين وكفارة حلق الرأس للمحرم ومن لم يجد هدي التمتع وجزاء الصيد الذي قتله المحرم فكل هذه الأشياء الصيام فيها واجب.

الصيام المحرم:

١ - يحرم على المسلم صيام يومي العيدين عيد الفطر وعيد الأضحى كما يحرم عليه صيام أيام التشريق الثلاثة بعد عيد الأضحى ودليل ذلك قوله ﷺ: «أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر لله»^(١).

٢ - كما يحرم على المرأة أن تصوم تطوعاً بغير إذن زوجها إذا كان حاضراً.

٣ - ويحرم صيام يوم الشك وهو يوم الثلاثين من شعبان إذا حصل غيم أو قتر إلا لمن كانت له عادة في الصيام فوافق عادته أو صامه قضاء أو عن نذر أو كفارة دليل ذلك قوله ﷺ: «من صام اليوم الذي يشك فيه فقد عصي أبا القاسم»^(٢).

(١) رواه مسلم. صحيح مسلم ١٥٣/٣.

(٢) رواه البخاري تعليقاً ٣٤/٣ ووصله غيره.

اللهم أنت المدعو بكل لسان والمقصودُ في كل آن نسألك فأنت المعروف بالإحسان ألا تردنا خائبين ولا من عطايك مفلسين ولا عن بابك مطرودين وآمنا من فزع يوم الدين اللهم اعصمنا من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن وعافنا في الدارين من المحن فها نحن ببابك واقفون وإليك متوجهون فالحقنا بالصالحين واغفر اللهم لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين^(١).



(١) فتح الباري ٤/٢٣٦، سبل السلام ٢/٢٣٠.

المجلس التاسع

فصل في:

- العذاب الجسمي للعصاة في القبر.
- وبقية أقسام الصيام.

العذاب الجسمي للعصاة في القبر

الحمد لله الذي نور بجميل هدايته قلوب أهل السعادة. وطهر بكريم ولايته أفئدة الصادقين فأسكن فيها وداده وحرس سرائر المؤمنين فطرد عنها الشيطان وذاده. ودعاها إلى ما سبق لها من عنايته فأقبلت متقادة. الحي الذي تعرف بأدلة وحدانيته فتحققت قلوب المؤمنين وجوده ووحدانيته وقدمه وبقائه وانفراذه المجيد الموصوف بالحياة والعلم والسمع والبصر والكلام والقدرة والإرادة.

سبحانه من إله رفع السماء بغير عمد وأسكن الأرض على الماء ومهد المنزه عن الصحابة والوالد والولد الغني فلم يحتج إلى أحد. أحمدته أن بعث لنا خير رسله وخاتم أنبيائه وشرفنا بأن كنا من حزبه وأتباعه ﷺ وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. إخوة الإيمان من الصائمين والصائمات. سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وبعد. سبق لنا في الفصل الماضي بيان شيء من نعيم القبر وعذابه وستناول في هذا الفصل العذاب الجسمي للعصاة في القبر فنقول:

عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ مما يكثر أن يقول لأصحابه: هل رأى أحد منكم من رؤيا؟ فيقص عليه من شاء الله أن يقص، وأنه قال لنا ذات غداة: «أنه أتاني الليلة آتيان وأنهما قالا لي انطلق وإني انطلقت معهما وأنا أتينا على رجل مضطجع وإذا آخر قائم عليه بصخرة وإذا هو يهوي بالصخرة لرأسه فيبلغ رأسه فيتدهده الحجر هاهنا فيتبع الحجر فيأخذه فلا يرجع إليه حتى يصبح رأسه كما كان ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل المرة الأولى، قال: قلت لهما: سبحان الله ما هذا؟ قالا لي: انطلق انطلق، فانطلقنا فأتينا على رجل مستلق لقفاه وإذا آخر قائم عليه بكلوب من حديد وإذا

هو يأتي أحد شقي وجهه فيشرشر شذقه إلى قفاه ومنخره إلى قفاه وعينه إلى قفاه ثم يتحول إلى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الأول فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصبح ذلك الجانب كما كان ثم يعود عليه فيفعل مثل ما فعل في المرة الأولى. قال: قلت: سبحان الله ما هذان؟ قالاً لي: انطلق انطلق فانطلقنا فأتينا على مثل التنور فأحسب أنه قال: فإذا فيه لغط وأصوات فاطلنا فيه فإذا فيه رجال ونساء عراة وإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا قلت: ما هؤلاء؟ قالاً لي: انطلق انطلق فانطلقنا فأتينا على نهر حسبت أنه كان يقول أنه أحمر مثل الدم وإذا في النهر رجل سابح يسبح وإذا على شط النهر رجل قد جمع عنده حجارة كثيرة وإذا ذلك السابح يسبح ما يسبح ثم يأتي ذلك الذي قد جمع عنده الحجارة فيفغر له فاه فيلقمه حجراً فينطلق فيسبح ثم يرجع إليه كلما رجع إليه فيفغر له فاه فألقمه حجراً قلت لهما: ما هذان؟ قالاً لي: انطلق انطلق فانطلقنا فأتينا على رجل كره المرأة أو كأكره ما أنت راء رجلاً مرأى فإذا هو عنده تار يحثها ويسعى حولها قلت لهما: ما هذا؟ قالاً لي: انطلق انطلق فانطلقنا فأتينا على روضة معتمة فيها من كل نور الربيع وإذا بين ظهري الروضة رجل طويل لا أكاد أرى رأسه طولاً في السماء، وإذا حول الرجل من أكثر ولدان ما رأيتهم قط، قلت: ما هذا؟ وما هؤلاء؟ قال لي: انطلق انطلق، فانطلقنا فأتينا إلى دوحة عظيمة لم أر دوحة قط أعظم منها، ولا أحسن قالاً لي: ارق فيها فارتقينا فيها إلى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة فأتينا باب المدينة فاستفتحنا ففتح لنا فدخلناها فتلقانا رجال شطر من خلقهم كأحسن ما أنت راء وشطر منهم كأقبح ما أنت راء، قالاً لهم: اذهبوا فقعوا في ذلك النهر وإذا هو نهر معترض بحري كأن ماءه المحض في البياض فذهبوا فوقعوا فيه، ثم رجعوا إلينا قد ذهب ذلك السوء عنهم فصاروا في أحسن صورة، قال قالاً لي: هذه جنة عدن وهذا منزلك فسما بصري صعداً فإذا قصر مثل الربابة البيضاء، قالاً لي: هذا منزلك قلت لهما: بارك الله فيكما فذراني فأدخله، قالاً: أما الآن فلا وأنت داخله، قلت لهما: فإني رأيت هذه الليلة عجباً، فما هذا الذي رأيت؟ قالاً لي، أما

أنا سنخبرك، أما الرجل الأول الذي أتيت عليه يثلغ رأسه بالحجر فإنه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة وأما الرجل الذي أتيت عليه يشرشر شدقه إلى قفاه ومنخره إلى قفاه وعينه إلى قفاه فإنه الرجل يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق. وأما الرجال والنساء العراة الذين هم في مثل بناء التنور فإنهم الزناة والزواني، وأما الرجل الذي أتيت عليه يسبح في النهر ويلقم الحجارة فإنه آكل الربا، وأما الرجل الكريه المرأة الذي عند النار يحثها ويسعى حولها فإنه مالك خازن جهنم. وأما الرجل الطويل الذي في الروضة فإنه إبراهيم، وأما الولدان الذين حوله فكل مولود مات على الفطرة، وفي رواية البرقاني: «ولد على الفطرة» فقال بعض المسلمين يا رسول الله وأولاد المشركين فقال رسول الله ﷺ: وأولاد المشركين. وأما القوم الذين كانوا شطر منهم حسن وشر منهم قبيح فإنهم قوم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً تجاوز الله عنهم^(١).

شعراً:

والخل في ضيق فذا متشفع	وهناك مغشي وذاك يعاني
والنار مطبقة وليس بناضب	لهب لها فاصبر مدى الأزمان
يا ظالماً يا فاسقاً يا مجرمًا	هذا جزاء الظلم والعدوان
يا هاجر القرآن حسبك عبرة	هذا الجزاء لهاجر القرآن
يا تارك المفروض في أوقاته	متذرعاً بالشغل والنسيان
هذا مآل الناس فليعمل له	راجي الجنان وراهب النيران
كل سيحصد غرسه بيمينه	لا يظلم المولى بني الإنسان
يا رب فارحمنا وخفف وزرنا	وامنن علينا رب بالإحسان



(١) رواه البخاري. صحيح البخاري ٥٦/٩.

بقية أقسام الصيام

سبق لنا الحديث عن قسمين من أقسام الصيام وهما الصيام الواجب والصيام المحرم، وسيكون حديثنا هنا عن نوعين آخرين، هما الصيام المندوب والصيام المكروه فنقول:

الصيام المندوب:

١ - صيام ستة أيام من شوال:

من صام رمضان ثم اتبعه بست من شوال متتابعة أو متفرقة فكأنما صام الدهر يدل لذلك ما رواه أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر»^(١).

ومعنى ذلك أن الحسنه بعشر أمثالها فالشهر بعشرة أشهر والسته أيام بستين يوماً فذلك ثلاثمائة وستون يوماً وهي سنة كاملة.

والسر في مشروعيتها والله أعلم أنها بمنزلة السنن الرواتب في الصلاة تكمل فائدتها وتجبر نقصها فكذلك هنا هذه الستة الأيام تكمل ما نقص من شهر الصوم وتجبر ما حصل فيه من التقصير مما عسى المسلم يعلمه أو لا يعلمه، والله المستعان.

٢ - صوم عشر ذي الحجة:

أيام عشر ذي الحجة شريفة مفضلة يضاعف العمل فيها، ولذا ينبغي أن يجتهد المسلم فيها ويكثر من الصلاة والصيام والصدقة والذكر وقراءة القرآن يدل لذلك ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من أيام

(١) رواه مسلم. صحيح مسلم ١٦٩/٣.

العمل الصالح فيهن أحب إلى الله من هذه الأيام العشر» فقالوا: يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء»^(١).

٣ - يوم عرفة:

وهو يوم شريف عظيم يستحب صيامه لغير الواقف لحديث أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «صيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده»^(٢).

والسر في صومه والله أعلم أنه تشبه بالحاج وتشوق إليهم وتعرض للرحمة التي تنزل عليهم وخوض في لجتها فهيناً لمن قبل الله منه قليل الأعمال وبالسعادة من باهى الله به ملائكته في هذا الموقف العظيم الذي تسكب فيه العبرات وتستمطر فيه الرحمات وتتنزل البركات من لدن رب الأرض والسموات.

٤ - صيام شهر الله المحرم:

يدل لذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل»^(٣).

٥ - يوم عاشوراء:

أكد أيام المحرم يوم عاشوراء، ويوم قبله أو بعده. يدل لذلك ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم النبي ﷺ المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء فقال: ما هذا؟ قالوا: هذا يوم صالح هذا يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم فصامه موسى، قال: فأنا أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه»^(٤).

(١) رواه أحمد. المسند ٣٤٦/٥. قال في مجمع الزوائد ١٦/٤ رجاله رجال الصحيح.

(٢) رواه مسلم. صحيح مسلم ١٦٧/٣.

(٣) رواه مسلم. صحيح مسلم ١٦٩/٣.

(٤) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٥٧/٣، وصحيح مسلم ١٤٦/٣.

٦ - صيام ثلاثة أيام من كل شهر:

يسن صام ثلاثة أيام من كل شهر ويستحب أن تكون أيام البيض وهي ثلاثة عشرة وأربعة عشر وخمسة عشر.

يدل لذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بثلاث: صيام ثلاثة أيام من كل شهر وركعتي الضحى وأن أوتر قبل أن أنام^(١).

٧ - صيام يومي الإثنين والخميس:

يسن صيام يومي الإثنين والخميس لأن الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم كان يصومهما يدل لذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «تعرض الأعمال يوم الإثنين والخميس فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم»^(٢).

٨ - صوم يوم وإفطار يوم:

أفضل صيام التطوع صيام يوم وإفطار يوم. يدل لذلك ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص قال: أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنني أقول والله لأصومن النهار ولأقومن الليل ما عشت فقلت له: قد قلت بأبي أنت وأمي. قال: «فإنك لا تستطيع ذلك فصم وأفطر وقم ونم وصم من الشهر ثلاثة أيام فإن الحسنة بعشر أمثالها وذلك مثل صيام الدهر».

قلت: إني أطيق أفضل من ذلك قال: «فصم يوماً وأفطر يوماً فذلك صيام» داود رضي الله عنه وهو أفضل الصيام فقلت: إني أطيق أفضل من ذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ولا أفضل من ذلك»^(٣).



(١) رواه البخاري. صحيح البخاري ٥٣/٣.

(٢) رواه أحمد. المسند ٢٠٨/٥، والترمذي ١٢٢/٣، قال أبو عيسى: حديث أبي هريرة في هذا الباب حديث حسن غريب.

(٣) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٥٣/٣، وصحيح مسلم ١٦٢/٣.

الصيام المكروه

١ - صيام الدهر:

يكره أن يصوم المسلم الدهر كله لورود النهي عن ذلك في حديث أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سئل عن صيام الدهر فقال: «لا صام ولا أفطر أو ما صام ولا أفطر»^(١).

٢ - يكره الوصال في الصيام:

وهو ألا يفطر بين اليومين بأكل ولا شرب، وقد نهى عنه ﷺ لما فيه من الضعف والمشقة يدل لذلك ما رواه أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا تواصلوا» قالوا: فإنك تواصل. قال: «لست كأحد منكم إني أطعم وأسقى أو إني أبيت أطعم وأسقى»^(٢).

٣ - أفراد الجمعة بالصوم:

يدل ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا يصومن أحدكم يوم الجمعة إلا أن يصوم قبله أو بعده»^(٣).

٤ - أفراد يوم السبت:

يدل لذلك حديث: «لا تصوموا يوم السبت إلا فيما افترض عليكم»^(٤).

(١) رواه مسلم. صحيح مسلم ١٦٤/٣.

(٢) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٤٨/٣، وصحيح مسلم ١٣٣/٣.

(٣) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٥٤/٣، وصحيح مسلم ١٥٤/٣.

(٤) رواه أحمد. المسند ١٨٩/٤، والترمذي ١٢٠/٣، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن ومعنى كراهته في هذا أن يخص الرجل يوم السبت بصيام لأن اليهود تعظم يوم السبت.

والحكمة في النهي عن أفراد هذين اليومين والله أعلم أن يوم الجمعة يوم دعاء وذكر وعبادة فاستحب الفطر فيه ليكون أعون عليها وهو عيد الأسبوع وأما السبت فلأن اليهود كانت تعظمه وتخصه بالإمساك وترك العمل فيه فيصير صومه تشبهاً بهم فإن صامه مع غيره أو صامه عن نذر أو قضاء لم يكره لزوال المحذور والله أعلم.

اللهم يا من لا تشبهه عليه اللغات ولا تختلف عليه الأصوات ولا يتبرم بالباح ذوي الحاجات على اختلاف اللغات وتفنن المسؤولات اجعل مآلنا إلى عالي الجنات ونعمنا بما فيها من الكرامات وارفع لنا عندك الدرجات واغفر عنا جميع السيئات.

اللهم اسلك بنا سبيل الإبرار واجعلنا من عبادك المصطفين الأخيار وامن علينا بالعمو والعق من النار وانظمننا في سلك المتقين والأخيار واغفر اللهم لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه أجمعين^(١).



(١) فتح الباري ٤/٢٣٦، سبل السلام ٢/٢٣٠.

المجلس العاشر

فصل في:

- الأخوة الإسلامية.
- وعلى من يجب الصوم.

الأخوة الإسلامية

الحمد لله الذي أحكم الأشياء كلها صنعاً وتصرف كما شاء إعطاءً ومنعاً .

أنشأ الآدمي من قطرة فإذا هو يسعى وخلق له عينين ليبصر المسعى ووالى لديه النعم وترأ وشفعاً وضم إليه زوجة تدبر أمر البيت وترعى وأباحه محل الحرث وقد فهم مقصود المرعى .

أحمده سبحانه ما أرسل سبحانه وأنبأ زرعاً وأصلي على رسوله محمد أفضل نبي علم أمته شرعاً وعلى أبي بكر الذي كانت نفقته للإسلام نفعاً وعلى عمر ضيف الإسلام بدعوة الرسول المستدعى، وعلى عثمان الذي ارتكب منه الفجار بدعاً، وعلى علي الذي يحبه أهل السنة جمعاً .

أيها الصائمون والصائمات سلام الله عليكم ورحمته وبركاته . . . وبعد؛ سيكون حديثنا هذه الليلة عن الأخوة الإسلامية وأثارها راجين من الله جل وعلا أن تتحقق هذه الأخوة في مجتمع المسلمين اليوم كما تحققت في مجتمع المسلمين الأول وباركها رسول البشرية ﷺ بل شجع على تحقيقها ورعاها أتم الرعاية يوضح ذلك ما يرويه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تدابروا ولا يبيع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخواناً. المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقره التقوى ههنا، ويشير إلى صدره ثلاث مرات بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»^(١) .

أيها الصائمون: العمل بهذا الحديث العظيم من أعظم الأسباب الموصلة

(١) رواه مسلم . صحيح مسلم ١١/٨ .

للتألف بين المسلمين وقلة الشحناء بينهم فالمؤمنون إخوة في النسب أبوهم آدم وأمهم حواء لا يتفاضلون إلا بالتقوى. وإخوة في الدين قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

وقال الرسول ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً وشبك بين أصابعه»^(١).

وقال ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»^(٢).

ولهذا قال ﷺ: «لا تحاسدوا» أي: لا يحسد بعضكم بعضاً. والحسد تمنى زوال النعمة عن أخيك المسلم وهو حرام لأنه اعتراض على الله في نعمته وقسمته.

وقال النبي ﷺ: «دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء هي الحالقة حالقة الدين لا حالقة الشعر»^(٣).

وقال ﷺ: «إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب»^(٤).

وقال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٥٤].
ثم قال ﷺ: «ولا تناجسوا».

- (١) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٩٨/٣، وصحيح مسلم ٢٠/٨.
- (٢) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٧٧/٧، وصحيح مسلم ٢٠/٨.
- (٣) رواه أحمد والبخاري والبيهقي وغيرهما بإسناد جيد. انظر: المسند ١٦٥/١، والبيهقي ٢٣٢/١٠، ومجمع الزوائد ٣٠/٨.
- (٤) رواه أبو داود. سنن أبي داود ٢٠٨/٥. قال المنذري في المختصر ٢٢٧/٧ جد إبراهيم لم يسم. وذكر البخاري إبراهيم هذا في التاريخ الكبير وذكر له هذا الحديث وقال لا يصح. وعلق الشيخ أحمد شاکر قائلاً عن إبراهيم بن أسيد عن جده عن أبي هريرة. يقال ابن أبي أسيد وقال الحافظ أبو القاسم الدمشقي في الأشراف جد إبراهيم بن أبي أسيد البراد وأظنه سالماً عن أبي هريرة هذا آخر كلامه. فإن كان جده سالماً البراد فهو كوفي كنيته أبو عبد الله وهو ثقة. أ هـ من هامش المنذري وفي التهذيب ذكره ابن حبان في الثقات... مختصر سنن أبي داود ٢٢٥/٧.

والنجش هو أن يزيد في السلعة من لا يريد شراءها ليفر غيره بها وهو حرام لأنه من أسباب العداوة والبغضاء ومن أسباب أكل المال بالباطل ولهذا قال بعض العلماء الناجش آكل ربا خائن غاش... «ومن غشنا فليس منا»^(١).

ثم قال ﷺ: «ولا تباغضوا» أي: لا يبغض بعضكم بعضاً بتعاطي أسباب البغضاء من السب والشتم واللعن والغيبة والنميمة والخمر والميسر قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة: ٩١].

وقال ﷺ: «والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم»^(٢).
والتباغض المذموم هو الذي منشؤه التنافس في الدنيا واتباع الأهواء فأما الحب في الله والبغض في الله فذلك أوثق عرى الإيمان وأحب الأعمال إلى الله.

وبناء على هذا يجب عليك أيها المسلم محبة الله ومحبة رسوله ومحبة الصالحين ومحبة ما يحبه الله من الإيمان والعمل الصالح لأنك مع من أحببت يوم القيامة. كما يجب عليك بغض الكفر والفسوق والمعاصي وبغض الكفرة والمشركين والعصاة والملحدين.

وصدق الله العظيم: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ إِلِيمَنَ وَرَزَقَنَاهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَهُ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّشِدُونَ ﴿٧﴾﴾ فَضلاً مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾﴾ [الحجرات: ٧، ٨].

ثم قال ﷺ: «ولا تدابروا».

والتدابير التهاجر والتقاطع، فإن كلاً من المتقاطعين يولي صاحبه دبره ويعرض عنه ولا يسلم عليه ولا يرد عليه السلام ثم قال ﷺ: «ولا يبيع بعضكم على بيع بعض» معنى البيع على بيع أخيه أن يقول لمن اشترى سلعة بعشرة:

(١) رواه مسلم. صحيح مسلم ١/٦٩.

(٢) رواه مسلم. صحيح مسلم ١/٥٣.

أنا أبيعك مثلها بتسعة والنهي للتحريم لما فيه من الإيذاء الموجب للتباغض، ثم قال ﷺ: «وكونوا عباد الله إخواناً» وفيه إشارة إلى أنهم إذا تركوا التحاسد والتناجش والتباغض والتدابير وبيع بعضهم على بيع بعض كانوا إخواناً؛ أي: تعاملوا وتعاشروا معاملة الإخوان ومعاشرتهم في المودة والرفق والشفقة والملاطفة والتعاون في الخير مع صفاء القلوب والتضحية بكل حال فكونوا عباد الله إخواناً في المحبة والدين والرفق واللين.

شعراً:

شمر عسى أن ينفع التشمير	وانظر بفكرك ما إليه تصير
طولت آمالاً تكنفها الهوى	ونسيت أن العمر منك قصير
قد أفصحت دنياك عن غدراتها	وأتى مشيبك والمشيب نذير
دار لهوت بزهوها متمتعاً	ترجو المقام بها وأنت تسير
ليس الغنى في العيش إلا بلغة	ويسير ما يكفيك منه كثير
لا يشغلنك عاجل عن أجل	أبدأ فملتمس الحقيير حقير
ولقد تساوى بين أطباق الثرى	في الأرض مأمور بها وأمير



على من يجب الصوم

من المعلوم لكل مسلم صغيراً أو كبيراً عالماً أو جاهلاً بل من المعلوم من الدين بالضرورة أن صيام شهر رمضان واجب على كل مسلم بالغ عاقل .

قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٣].

وقال تعالى: ﴿الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وروى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً»^(١).

وأما الكافر:

فلا يجب عليه الصيام وجوب أداء في الدنيا لأنه لا يصح منه لو فعله وذلك لأن الإسلام شرط من شروط صحته .

وإنما يجب عليه وجوب مؤاخذه في الآخرة بمعنى أن الله يعاقبه على عدم فعله يوم القيامة . يقول تعالى حكاية عن سؤال المؤمنين الكافرين: ﴿مَا سَأَلْنَاكَ فِي سَقَرٍ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَوْ نَرُكَ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ نَرُكَ تُطْعَمُ الْمَسْكِينِ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَحْمُسُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نَكُذِّبُ يَوْمَ الَّذِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [المدثر: ٤٢ - ٤٦].

وأما الصبي:

فلا يجب الصيام على المسلم الصغير الذي لم يبلغ؛ لأن القلم رفع عنه

(١) رواه البخاري ومسلم صحيح البخاري ٨/١ وصحيح مسلم ٣٤/١.

إلا أنه إذا فعله الصبي المميز صح منه وأثيب عليه وينبغي لأولياء الأمور أن يأمرُوا الصغار الذي يطبقون الصيام ويشجعونهم عليه ويضعون لهم الحوافز والجوائز . وما يفعله بعض الأولياء مع أولاده من منعهم من الصيام رحمة بهم وشفقة عليهم لا أساس له من شرع ولا منطق ولا منظور تربوي راشد؛ لأن الخير في تعويدهم على الطاعة وحفزهم إليها وتشجيعهم عليها، وهذا كله مرهون بعدم حصول الضرر عليهم وهو منتف ولله الحمد في هذه الأزمنة مع توفر وسائل الراحة من التكيف وغيره .

وأما المجنون:

فلا يجب الصيام عليه لرفع القلم عنه لما روته عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «رفع القلم عن ثلاث عن الصبي حتى يبلغ وعن النائم حتى يستيقظ وعن المجنون حتى يفيق»^(١) .

وبهذا يتبين أن الصيام واجب على المسلم البالغ العاقل المقيم القادر السالم من الموانع فالمسلم يخرج الكافر إذ لا يجب عليه الصوم كما سبق . والبالغ يخرج الصغير إذ لا يجب عليه الصوم لكنه يؤمر به تعويداً له عليه وتدريباً له وليسهل عليه إذا بلغ .

وينبغي أن يعلم أن البلوغ يحصل بواحد من أمور ثلاثة:

- ١ - إنزال المنى باحتلام أو غيره .
 - ٢ - نبات شعر العانة .
 - ٣ - بلوغ تمام خمس عشرة سنة .
- وتزيد الأثنى بأمر رابع وهو الحيض فمتى حاضت فقد بلغت مهما كان سنها .

(١) رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه . المسند ١/١٤٠ ، وسنن أبي داود ٤/٥٥٨ ، وسنن النسائي ٦/١٥٦ ، وسنن ابن ماجه ١/٦٥٨ . قال في مجمع الزوائد ٦/٢٥١ رواه الطبراني ورجاله ثقات . وقال ابن حجر في فتح الباري ١٢/١٢١ ، وقد أخذ الفقهاء بمقتضى هذه الأحاديث لكن ذكر ابن حبان أن المراد برفع القلم ترك كتابة الشر عنهم دون الخير .

والعائل: يخرج المجنون إذ لا يجب عليه الصيام.
والمقيم: يخرج المسافر فهو مخير بين الصيام والفطر إلا إذا شق عليه الصيام فالفطر أفضل وإن تساوا الأمران فالصيام أفضل.
والقادر: يخرج المريض ومن حكمه كالكبير والعجوز اللذين لا يطيقان الصيام فهما يطعمان عن كل يوم مسكيناً من غالب قوت البلد.
والسالم من الموانع: يخرج من به مانع يمنعه من الصيام كالحيض والنفاس.

فيجب على المسلم أن يهتم بأمر الصيام هذه العبادة العظيمة التي تتكرر في حياة المسلم كل عام وفيها من المنافع المعلومة المتحققة الشيء الكثير فهنيئاً لمن أدى هذه العبادة على وجهها الصحيح دون سأم أو ملل أو تبرم.
وهنيئاً لمن عمر أوقات رمضان بالطاعة وقضاها بأنواع القربات من ذكر ودعاء وصدقة وتلاوة للقرآن.

ويا لخسارة من تكاسل في هذه الأوقات الفاضلة. وضع هذه الفرصة الثمينة ففتش عن نفسك أخي المسلم هل أنت ممن أحسنوا قبل رمضان فزادوا فيه إحساناً على الإحسان؟ أم أنت ممن ضيع قبل رمضان فجاءه رمضان وما غير من أحواله شيئاً تبع هواه فأرداه وأطاع شيطانه فأغواه وغداً سيندم على التفريط يوم لا ينفع الندم.

اللهم إنا نسألك بأنا نشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد يا ذا الجلال والإكرام يا منان يا بديع السماوات والأرض يا حي يا قيوم نسألك أن توفقنا لما تحب وترضى وأن تجعلنا ممن رضي بك رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ونسألك أن تثبتنا على ذلك إلى الممات وأن تغفر لنا الخطايا والسيئات وأن تهب لنا منك رحمة إنك أنت الوهاب وأن تغفر لنا ولوالدينا برحمتك يا أرحم الراحمين. وصلّى اللهم وسلم وبارك على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم^(١).

(١) بداية المجتهد ١/٢٧٤، مجالس شهر رمضان ص٢٦، جامع العلوم والحكم ص٨٥.

المجلس الحادي عشر

فصل في:

- آداب الصيام.
- بر الوالدين.

آداب الصيام

الحمد لله مدبر الليالي والأيام ومصرف الشهور والأعوام الملك القدوس السلام المتفرد بالعز والعظمة والبقاء والدوام المنزه عن النقائص ومشابهة الأنعام يعلم ما كان وما يكون ويرى ما في داخل العظام ويسمع خفي القول ومهموس الكلام إله عظيم كريم رحيم كثير الأنعام ورب قادر بالمجرمين شديد البطش والانتقام قدر أمور عباده فنظمها أحسن نظام وشرع الشرائع فأحكمها أيما إحكام بقدرته تهب الرياح ويسير الغمام وبحكمته ورحمته يتعاقب الضياء والظلام أحمده سبحانه شرع لعباده الصلاة والصيام وأودع في الصيام من الأسرار ما تحار فيه الأفهام.

وأصلي وأسلم على عبده أفضل من صلى وصام وعلى أصحابه وأتباعه في الصحب الكرام.

أيها الإخوة المؤمنون:

لقاؤنا هذه الليلة حول آداب الصيام وسيقتصر الحديث على بعض الآداب الواجبة، ونركز على الغيبة والنميمة وسماع آلات اللهو لأنها هي الكثيرة الشائعة في المجتمع فنقول والله حسبنا ونعم الوكيل:

من الآداب الواجبة على الصائمين وغيرهم أداء الفروض في أوقاتها فبعض المسلمين هداهم الله يتهاون بالصلاة في رمضان فتراه يصوم النهار وينام عن الصلوات وما علم المسكين أنه عاص الله ﷻ إذا ضيع أهم فروض الإسلام على الإطلاق وهي الصلاة مع جماعة المسلمين ويكفي هؤلاء زجراً ووعيداً قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ بَعِيْهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا ۝٥٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿٦٠﴾ [مريم: ٥٩ - ٦٠].

ومن الآداب الواجبة أن يجتنب الصائم جميع ما حرم الله جل وعلا من الأقوال والأعمال وأخطر ذلك الكذب.

ويجتنب الغيبة وهي ذكره أخاه بما يكره في غيبته سواء كان في خلقته أو خلقه ويجتنب النميمة وهي نقل كلام شخص في شخص إليه ليفسد بينهما.

ويجتنب الغش في جميع المعاملات من بيع وإجارة وصناعة وزراعة ومنه الغش في الامتحانات.

ويجتنب المعازف بجميع أشكالها وأنواعها ففي الحلال ما يغني عن الحرام.

وإليك أخي المسلم طرفاً من النصوص عن المعصوم ﷺ تؤكد ما سبق.
عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة نمام»^(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ مر بقبرين يعذبان فقال: «إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير، بل إنه كبير، أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله»^(٢).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «... كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»^(٣).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنا جلوساً مع رسول الله ﷺ فقال: «يطلع الآن عليكم رجل من أهل الجنة... إلى قوله: ما هو إلا ما رأيت غير أنني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشاً ولا أحسد أحداً على خير أعطاه الله إياه فقال عبد الله بن عمرو: هذه التي بلغت بك»^(٤).

(١) رواه البخاري ومسلم واللفظ لمسلم. صحيح البخاري ٢١/٨، وصحيح مسلم ٧١/١.

(٢) رواه البخاري. صحيح البخاري ٢١/٨.

(٣) رواه مسلم. صحيح مسلم ١١/٨.

(٤) رواه الإمام أحمد. المسند ١٦٦/٣. قال المنذري في الترغيب والترهيب ٥٤٩/٣. رواه أحمد بإسناد على شرط البخاري ومسلم والنسائي.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من غشنا فليس منا»^(١).
وقد حذر ﷺ من المعازف وقرنها بالزنا فقال: «ليكونن من أمتي أقوام
يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف»^(٢).
فيا أخي الصائم ويا أختي الصائمة.

حذار أن تطلقوا ألسنتكم في أعراض إخوانكم المسلمين اتقوا الله فيهم
فإن كل كلمة مسجلة. وصدق الله العظيم: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ
عَبِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

وحذار من غش المسلمين والتحايل عليهم لأكل أموالهم بالباطل
فالحساب عسير والصراف دقيق والكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا
أحساها.

وحذار أيتها المسلمة من التبرج والسفور، وفي رمضان تصفد
الشياطين، لكن شياطين الإنس يغدون ويروحون.
إلزمي بيتك وأرسلني من يحضر حاجتك واتقي الله في نفسك وعرضك
وزوجك فسيأتي يوم تندمين فيه ولات ساعة مندم.
شعراً:

ومسندون تعاقروا كأس الردى	ودعا بشر بهم الحمام فأسرعوا
برك الزمان عليهم بجرانه	وهفت بهم ريح الخطوب الزرع
خرسى إذا ناديت إلا أنهم	وعظوا بما يزع اللبيب فأسمعوا
والدهر يفتك بالنفوس حمامه	فلمن تعد كريمة أو تجمع
عجباً لمن يبقى ذخائر ماله	ويظل يحفظهن وهو مضيع
ولغافل ويرى بكل ثنية	ملقى له بطن الصفائح مضجع
أتراه يحسب أنهم ما أسأروا	من كأسه أضعاف ما يتجرع

(١) رواه مسلم. صحيح مسلم ٦٩/١.

(٢) رواه البخاري. صحيح البخاري ١٣٨/٧.

بر الوالدين

إخوة الإيمان:

اتقوا الله واعلموا أن بر الوالدين من أوجب الواجبات وأفضل الأعمال والبر من صفات المؤمنين والعقوق من صفات الفسقة والأنذال وقد أمر الله ببر الوالدين فقال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهْرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ [الإسراء: ٢٣ - ٢٤].

على الولد أن يعرف قدر والديه ويحسن إليهما بقوله وفعله ولا يتكبر عليهما ولا ينهرهما.

وعليه أن يقوم بما يلزمهما من خدمة وطاعة ويبذل لهما ما يرغبانه ويشتهيانه من مأكّل ومشرب وملبس ومسكن ويتحمل منهما كما تحملا منه حال صغره وعجزه عن القيام بنفسه فهما اللذان ربياه بنعم الله وهما السبب في وجوده وتحملا منه حضانه وتغذية وكسوة وقدماه على أنفسهما إن مرض مرضا وإن سهر سهرا، لقد عانيا من التعب والمشاق رجاء أن يكبر فينفعهما ويخدمهما ويرثهما في العلم والدين والأدب والسكن ويكون رب الأسرة عند عجزهما ولعله يكون صالحاً فيدعو لهما ويكون خير خلف لهما.

فيا أيها الولد الصالح لا تخيب رجاء والديك فيك لا تعقهما فتعاقب بعذاب الله وتعاقب بعقوق أبنائك لك وقد ورد في الحديث: «بروا آباءكم تبركم أبنائكم»^(١).

(١) قال في مجمع الزوائد ٨/١٣٨: رواء الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح =

وقد جاء رجل يستأذن النبي ﷺ في الجهاد في سبيل الله، فقال له ﷺ: «أخي والداك» قال: نعم، قال: «ففيهما فجاهد»^(١)

وقال رجل: أي الجهاد أفضل؟ قال: «الصلاة لوقتها»، قال: ثم أي؟ قال: «بر الوالدين»، قال: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله»^(٢).

انظر أخي المسلم كيف قدم بر الوالدين على الجهاد في سبيل الله الذي هو ذروة سنام الإسلام، وذلك لأهمية حق الوالدين، وقال ﷺ: «رغم أنف امرئ أدرك أحد والديه أو كلاهما ثم لم يدخل الجنة»^(٣).

واعلم أخي المسلم: أن هناك ثلاث دعوات مستجابات: دعوة المظلوم، ودعوة الوالد على ولده، ودعوة المسافر فلا يعق والديه إلا رجل عاص لئيم.

إن العقوق من كبائر الذنوب، ومن أعظم المحرمات ثبت عنه ﷺ أنه قال: «ثلاثة لا ينظر الله إليهم: العاق لوالديه ومدمن الخمر، والمنان»^(٤).

كل الذنوب تؤخر عقوبتها إلا عقوق الوالدين، فالعقوبة تعجل نسأل الله السلامة والعافية. إن الرحمة لا تنزل على قوم فيهم قاطع الرحم، فما الظن بالعاق أنه ممقوت عند ربه وعند عباده لا يرغب أحد في مصاهرته ومعاملته.

إن حق الوالدين عظيم فبشراك أيها المسلم البار وهنيئاً لك بر أولادك في الدنيا والأجر الوفير في العقبى هنيئاً لك في بسط الرزق وبركة العمر هنيئاً لك الذكر الحسن في الدنيا والنعيم المقيم في الآخرة.

= غير شيخ الطبراني أحمد غير منسوب، والظاهر أنه من المكثرين من شيوخه.

(١) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٧١/٤، وصحيح مسلم ٣/٨.

(٢) رواه مسلم. صحيح مسلم ٨٩/١، ورواه البخاري ١٧/٤.

ورواه الترمذي، سنن الترمذي، ٣١٠/٤، قال: حديث حسن صحيح.

(٣) رواه مسلم. صحيح مسلم ٥/٨.

(٤) رواه أحمد. المسند ٢٨/٣، ورواه النسائي، سنن النسائي ٨٠/٥، وقال في مجمع

الزوائد ٢٥٧/٦، ورواه أحمد والطبراني والنسائي وفيه جابان وثقه ابن حبان وبقيه رجاله رجال الصحيح.

لقد ملأ سمع الناس اليوم حوادث كثيرة تنبئ عن عقوق الأولاد لأبائهم وأمهاتهم. لقد ثبت لنا أن هناك من وضع أمه في الملاجئ زهداً فيها.

لقد ثبت لنا أن هناك من رفض الإفصاح عن أبيه في بعض الولايم لثلاث يشوه سمعته.

فوا أسفا على الحمل والرضاع ووأسفا على السهر والبكا ويا ضيعة الغذاء والكساء والدواء.

والله لا يحس المسلم في التقصير والتفريط مع والديه إلا إذا ودعهما للمقابر فهنا يسكب العبرات ويتحسر على ضياع الأوقات فاغتنم أخي المسلم ما بقي من عمرك وعمر والديك فبرهما من أقصر الطرق إلى الجنة، وصدق الله العظيم:

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأحقاف: ١٥].

اللهم اجعل بر الوالدين من أجل قرباتنا والقيام بشأنهما من أعظم أعمالنا والسهر على مصالحهما من أفضل حسناتنا ففي ذلك لنا سعة الرزق، وطول العمر وحسن الخاتمة.

اللهم اجعلنا ممن يقوم ببعض حقوق والديه عليه وهيء لنا أسباب رضاهما عنا. اللهم رضهما حتى يسامحانا وأعل درجاتهما في الجنة إكراماً.

اللهم اجمعنا بهما في جنات النعيم في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

اللهم رب ارحمهما رب ارحمهما رب ارحمهما كما ربياني صغيراً رب اغفر لي ولوالدي ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين^(١).

(١) الصوم رفعت عبد المطلب ص ٤٣، الصوم للدوسري ص ١٦.

المجلس الثاني عشر

فصل في:

- آداب الصيام.
- وحديث عبدالرحمن بن سمرة.

آداب الصيام

الحمد لله الذي جعل صيام رمضان جُنة من العذاب، وفضله على سائر الشهور، وأجزل فيه الأجر للصائمين فجزاهم بغير حساب أضاف الصوم لنفسه وقال الصوم لي وأنا أجزى به، فيا سعادة من صامه وقامه إيماناً واحتساباً جعل شهر رمضان تاجاً على رأس الزمان فيا بشرى لأهل الصبر والاحتساب، شهر أنزل الله فيه الكتاب هدى ورحمة ونوراً لأولي الألباب.

شهر خص الله فيه الصائمين بالدعاء المستجاب أحمدته سبحانه حمد معترف لربه قد خر له راعياً وأتاب، وأشكره وقد تأذن بالمزيد لمن شكر وتاب، وأصلي وأسلم على رسوله المصطفى شفيعنا يوم الحساب وعلى آله وأصحابه الطيبين أولي الألباب.

إخوة العقيدة:

يتجدد اللقاء مساء هذه الليلة مع درس من دروس الصيام أسأل الله جل وعلا أن ينفعنا بما نسمع وأن يجعله حجة لنا لا علينا يوم تتطير الصحف ويُسلم الكتاب، درسنا هذه الليلة حول آداب الصيام المستحبة من سحور وتأخيرهِ وفطرٍ وتعجيلهِ وكثرة دعاء وصدقة وتلاوة للقرآن فاستمع أخي جيداً لعلك أن تحظى بالقبول لتفوز على الدوام.

للصيام آداب كثيرة ينبغي على المسلم أن يفعلها لأنها تكمل الصوم وتجمله وتجبر ما عساه يقع فيه من خلل أو تقصير غير مقصود.

من هذه الآداب:

١ - السحور:

فيستحب لمن يريد الصيام أن يتسحر لما في السحور من البركة والاستعانة على صيام النهار ومخالفة أهل الكتاب كما بين ذلك الرسول ﷺ فقد روى أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «تسحروا فإن في السحور البركة»^(١).

وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «فضل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر»^(٢).

ووقت السحور يمتد بين نصف الليل إلى طلوع الفجر ويحصل بكثير المأكول وقليله كما أنه يحصل بالماء والتمر وغيرهما.

ويستحب تأخير السحور إلى آخر الليل ما دام المرء متيقناً بقاء الليل. روى عبد الله بن عمر وعائشة رضي الله عنهما أن بلالاً رضي الله عنه كان يؤذن بليل فقال رسول الله ﷺ: «كلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم فإنه لا يؤذن حتى يطلع الفجر»^(٣).

وروى زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: تسحرنا مع رسول الله ﷺ ثم قمنا إلى الصلاة، قلت: كم كان قدر ما بينهما؟ قال: خمسين آية^(٤).

٢ - تعجيل الفطر:

وكونه على تمر أو ماء والدعاء عنده، يستحب للمسلم تعجيل الفطر بغروب الشمس، كما يستحب له أن يكون فطره على تمر، فإن لم يجد فعلى ماء يدل لذلك كله ما رواه سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: «لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر»^(٥).

(١) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٣/٣٨، وصحيح مسلم ٣/١٣٠.

(٢) رواه مسلم. صحيح مسلم ٣/١٣٠.

(٣) رواه البخاري. صحيح البخاري ٣/٣٧.

(٤) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٣/٣٧، وصحيح مسلم ٣/١٣١.

(٥) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٣/٤٧، وصحيح مسلم ٣/١٣١.

وعن أبي عطية قال: دخلت أنا ومسروق على عائشة فقلنا: يا أم المؤمنين رجلان من أصحاب رسول الله ﷺ أحدهما يعجل الإفطار، ويعجل الصلاة، والآخر يؤخر الإفطار ويؤخر الصلاة، فقالت: أيهما الذي يعجل الإفطار ويعجل الصلاة، قلنا: عبد الله بن مسعود قالت: كذلك كان يصنع رسول الله ﷺ^(١).

وعن سلمان بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أفطر أحدكم فليفطر على تمر، فإن لم يجد فليفطر على ماء فإنه طهور»^(٢).

٣ - الإكثار من الصدقة وتلاوة القرآن وتفطير الصائمين:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن فلرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة^(٣).

وكان جوده ﷺ يجمع أنواع الجود كلها من بذل العلم والنفس والمال لله ﷻ في إظهار دينه وهداية عباده وإيصال النفع إليهم بكل طريق من تعليم جاهلهم وقضاء حوائجهم وإطعام جائعهم وكان جوده يتضاعف في رمضان لشرف وقته ومضاعفة أجره وإعانة العابدين فيه على عبادتهم والجمع بين الصيام وإطعام الطعام، وهما من أسباب دخول الجنة.

روى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من أصبح منكم اليوم صائماً؟» قال أبو بكر: أنا، قال: «فمن تبع منكم جنازة؟» قال أبو بكر: أنا، قال: «فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً؟» قال أبو بكر: أنا، قال: «فمن عاد منكم

(١) رواه مسلم. صحيح مسلم ١٣١/٣.

(٢) رواه أحمد. المسند ١٧/٤، والطبراني ٣٣٤/٦، والترمذي ٤٦/٣، وقال: حديث سلمان بن عامر حديث حسن.

(٣) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٢٤/٣، وصحيح مسلم ٧٣/٧.

اليوم مريضاً؟» قال أبو بكر: أنا، قال النبي ﷺ: «ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة»^(١).

شعراً:

نعت نفسها الدنيا إلينا فأسمعت
وزمت مطايانا إلى برزخ البلى
سلام على أهل القبور أحبتي
فما مُوتَ الأحياءُ إلا ليبعثوا
وقال آخر

لا تثق بالحياة من بعد قبوري
كنتُ في نعمة وفي خفض عيش
ثم أفردت في القبور وحيداً
كل حي مصيره كمصيري
فمضى وانقضى كيوم قصير
وجفاني الصديق فوق القبور



(١) رواه مسلم ٩٢/٣.

حديث عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه

عن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن في صفة بالمدينة فقال: «إني رأيت البارحة عجباً رأيت رجلاً من أمي أتاه ملك الموت ليقبض روحه فجاءه بره بوالديه فرد ملك الموت عنه، ورأيت رجلاً من أمي قد احتوشته الشياطين فجاءه ذكر الله فطرد الشياطين عنه، ورأيت رجلاً من أمي قد احتوشته ملائكة العذاب فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم ورأيت رجلاً من أمي يلهث عطشاً كلما دنا من حوض منع وطرده فجاءه صيام رمضان فأسقاها وأرواه، ورأيت رجلاً من أمي فرأيت البنين جلوساً حلقاً حلقاً كلما دنا من حلقة طرد، ومنع فجاءه غسله من الجنابة فأخذ بيده فأقعده إلى جنبي، ورأيت رجلاً من أمي من بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة، وعن يمينه ظلمة وعن يساره ظلمة ومن فوقه ظلمة ومن تحته ظلمة وهو متحير في ذلك فجاءه حجه وعمرته فاستخرجاه من الظلمة وأدخلاه في النور، ورأيت رجلاً من أمي يتقي وهج النار وشررها فجاءته صدقته فصارت ستراً بينه وبين النار وظلاً على رأسه، ورأيت رجلاً من أمي يكلم المؤمنين ولا يكلمونه فجاءته صلته لرحمه فقالت: يا معشر المؤمنين إنه كان وصولاً لرحمه فكلموه فكلمه المؤمنون وصافحوه وصافحهم، ورأيت رجلاً من أمي احتوشته الزبانية فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذه من أيديهم وأدخله في ملائكة الرحمة، ورأيت رجلاً من أمي جاثياً على ركبتيه وبينه وبين الله حجاب فجاءه حسن خلقه فأخذه بيده فأدخله على الله ﷻ، ورأيت رجلاً من أمي قد ذهبت صحيفته من قبل شماله فجاءه خوفه من الله ﷻ فأخذ صحيفته فوضعها في يمينه، ورأيت رجلاً من أمي قد خف ميزانه فجاءه أفراطه فثقلوا ميزانه، ورأيت رجلاً من أمي قائماً على شفير جهنم فجاءه رجاؤه في الله ﷻ فاستنقذه من

ذلك ومضى، ورأيت رجلاً من أمتي قد هوى في النار فجاءته دمعته التي قد بكأها من خشية الله ﷻ فاستنقذته من ذلك، ورأيت رجلاً من أمتي قائماً على الصراط يردد كما ترعد السعفة في ريح عاصفة فجاءه حسن ظنه في الله فسكن رعدته ومضى، ورأيت رجلاً من أمتي يزحف على الصراط يحبو أحياناً ويتعلق أحياناً فجاءته صلته عليّ فأقامته على قدميه وأنقذته، ورأيت رجلاً من أمتي انتهى إلى أبواب الجنة فغلقت الأبواب دونه فجاءته شهادة ألا إله إلا الله ففتحت له الأبواب وأدخلته الجنة»^(١).

وفي حديث الإسراء أنه ﷺ مر في معارجه إلى السماء على قوم تضرب رؤوسهم بالصخر فسأل عنهم فقيل له: هؤلاء الذين تشاقل رؤوسهم عن الصلاة، ثم مر على قوم عليهم رقاع يسرحون في الضريع ورضف جهنم فسأل عنهم فقيل: إنهم لا يؤدون صدقة أموالهم، ثم مر على رجل قد جمع حزمة عظيمة لا يستطيع حملها فسأل عنه فقيل: هذا رجل عليه أمانات الناس وهو يريد أن يزيد عليها، ومر على قوم تقرض شفاهمم وألستهم بمقاريض من نار كلما قرضت عاد فسأل عنهم فقيل له: هؤلاء خطباء الفتنة، ومر بواد فيه ريح طيبة وأصوات حسنة فقيل: هذه الجنة تقول: يا رب اتني بأهلي وما وعدتني فقد كثر سندسي واستبرقي ومرجاني وفضي، ومر بواد فيه أصوات منكرة فقيل: هذا صوت جهنم تقول: يا رب اتني بأهلي وبما وعدتني فقد كثر سلاسلي وأغلالي»^(٢).

(١) ذكره ابن كثير. انظر: التفسير ٥٣٥/٢ وقال القرطبي: بعد إيراد هذا الحديث من هذا الوجه حديث عظيم ذكر فيه أعمالاً خاصة تنجي من أهوال خاصة أورده هكذا في كتابه التذكرة.

قال ابن تيمية: هذا حديث عظيم شواهد الصحة عليه، وقال في مجمع الزوائد ٧/١٨٠ رواه الطبراني بإسنادين في أحدهما سليمان بن أحمد الواسطي وفي الآخر خالد بن عبد الرحمن المخزومي وكلاهما ضعيف.

(٢) ذكره ابن كثير في التفسير ١٧/٣-٢١، وهو طويل جداً في أربع صفحات ثم قال: «... وهذا الحديث في بعض ألفاظه غرابة ونكارة شديدة وفيه شيء من حديث المنام في رواية سمرة بن جندب في المنام الطويل عند البخاري ويشبه أن يكون =

أرأيتم أيها المؤمنون الفرق بين عمل الصالحات والسيئات، أرأيتم عاقبة المؤمنين وعاقبة الجاحدين، أرأيتم سعادة الأخيار وشقاوة الأشرار، أرأيتم كيف انقضت حياة هؤلاء وهؤلاء، ولكن الغبن والتفاخر والتكاثر في الآخرة، أرأيتم سعادة من أطاع ربه وبر والديه ووصل رحمه وحافظ على فرائضه وأحسن الظن بربه وعطف على إخوانه وساهم في مجالات الخير والإحسان.

أي فرق كبير بين هؤلاء وبين من ضيعوا الصلوات وهجروا بيوت الله وأذوا المسلمين في أعراضهم صباح مساء.

أي نتيجة حصل عليها من وقعوا في محارم الله وحاربوا الله في الدنيا وكأنهم سيعمرون فيها. لقد تحقق وعد الله إنه لا يخلف الميعاد.

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٢﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣٣﴾ تَزُولُ مِنْ عَفْوَِرٍ رَحِيمٍ ﴿٣٤﴾﴾ [فصلت: ٣٠ - ٣٢].

اللهم يا أكرم من رجي ويا أحق من دعي ويا خير من ابتغي امنن علينا بغفرانك وعاملنا بفضلك وإحسانك واجعلنا من ورثة جناتك. اللهم هب لنا من ما وهبته لعبادك الأخيار وأمن خوفنا بيوم لا تنفع فيه الأعداء برحمتك يا كريم يا غفار. اللهم اجعل الجنات لنا داراً. وامنن علينا بصلاح أولادنا واجعلهم صالحين وأخياراً. اللهم إنا نسألك بإسمك الأعظم الذي إذا دعيت به أجبت وإذا استفرجت به فرجت وإذا استنصرت به نصرت أن تغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين^(١).

= مجموعاً من أحاديث شتى أو منام أو قصة أخرى غير الإسراء. والله أعلم.

(١) الصوم رفعت عبد المطلب، ص ٤٣، الصوم للدوسري ص ١٦.

المجلس الثالث عشر

فصل في:

- فوائد الصيام.
- والصبر الجميل.

فوائد الصيام

الحمد لله الذي جعل صيام رمضان جنة من العذاب وفضله على سائر الشهور وأجزل فيه الأجر للصائمين فجزاهم بغير حساب أضاف الصوم لنفسه فقال الصوم لي وأنا أجزي به، فيا سعادة من صامه وقامه عن إيمان واحتساب جعل شهر رمضان تاجاً على رأس الزمان فيا بشرى لأهل الصبر وحسن مآب، شهر أنزل الله فيه الكتاب هديً وذكرى لأولي الألباب، شهر أعز الله فيه الإسلام يوم بدر وهزم الأحزاب، شهر فتح الله فيه مكة وهزم الشرك فولى على الأعقاب، شهر خص الله فيه الصائمين ومنحهم الدعاء المستجاب.

أحمده سبحانه على كل حال حمد معترف بالتقصير يخشى يوم الحساب وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة صفوة الأحباب وعلى جميع الآل والأتباع والأصحاب.

إخوة الإيمان: سلام الله عليكم ورحمته وبركاته:

درسنا لهذه الليلة حول فوائد الصوم وهي كثيرة جداً ولكننا نختصر ونقتصر على المهم بمشيئة الله تعالى.

١ - الصيام رياض للأبرار المتقين للتدرب على وظيفتهم بخلافة الله في الأرض وهو رحمة عظيمة النفع للبدن والروح جميعاً، فيه اجتماع القلب والهيم على الله توفير قوى النفس على محبته وطاعته والجهاد في سبيله لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الكفار هي السفلى مهما تنوعت بألقابها وشعاراتها.

٢ - الصيام سبب لزرع تقوى الله في القلوب وكف الجوارح عن المحرمات يؤكد هذا قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لِمَلَّكُمْ تَلْفُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

فشرع الصيام لتحصيل التقوى وهي كلمة جامعة لكل خصال الخير ومؤداها أن تجعل بينك وبين عذاب الله وقاية.

٣ - والصيام يعود المسلم الصبر والتحمل والجلد؛ لأنه يحمله على ترك محبوباته وشهوته وكبح جماح النفس فيه مشقة عظيمة ولهذا كان في الصوم أنواع الصبر الثلاثة صبر على طاعة الله، وصبر على محارم الله وصبر على أقدار الله. ومتى اجتمعت أدخلت العبد الجنة بإذن الله: ﴿إِنَّمَا يُؤَقِّبُ الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

٤ - الصيام يساعد المسلم على التغلب على نفسه الأمارة بالسوء فهي دائماً تدعوه لانتهاك المحرمات والإقبال على الشهوات لكن الصوم يفوت عليها الفرصة إذ يكسر حدة الشهوة فيضعف سلطانها.

٥ - الصيام يضعف مجاري الشيطان وبالتالي يضعف تسلطه على المسلم وبيحث عن مركب سهل يحقق من خلاله أهدافه وآربه، ومتى أطلق المسلم لشهوته العنان تمكن الشيطان منه وأخذ يوجهه لما يريد.

٦ - الصيام يعرف العبد نعمة ربه عليه فمتى أحس بالجوع والعطش عرف قدر النعمة التي يتقلب بها طول العام.

٧ - الصيام يحمل المسلم على الإحسان للفقراء والمساكين والمحاييج فالصائم إذا جاع أحس بحاجة الجائعين طوال العام وإذا عطش أحس بالظالمين خلال العام فيحفزه ذلك للإحسان إليهم والشفقة عليهم.

٨ - الصيام مظهر من مظاهر وحدة الأمة الإسلامية وعنوان من عناوين تكافلها وترابطها، إمساك في وقت واحد وإفطار في وقت واحد، لا فرق بين أمير ومأمور ولا صغير وكبير ولا شريف ووضيع، وكم بهر مظهر الإفطار الجماعي عقولاً وحير ألباباً فأذعنت وانقادت واهتدت بنور الله.

٩ - الصيام يعين على الطاعة ويقرب من الله فكلما عمل المسلم طاعة حفزته لطاعة أخرى وهذا أحد أمارات قبول العمل.

١٠ - الصيام يرقق القلب ويجعله يتعلق بالله ويدم ذكره وشكره وكم

رأينا من تنافس الشباب والأحباب في حفظ كتاب الله وبذل الصدقات وزيارة البيت العتيق.

١١ - وفي الصيام صحة عظيمة بجميع معانيها صحة بدنية حسية وصحة روحية معنوية.

ولو استطردهنا في فوائد الصيام لطلال بنا المقام ويكفي أن نشير هنا إلى أن الصيام علاج لكثير من الأمراض المزمنة حدثني من أثق به قال: كان لي جار في مدينة الرياض وكان يشكو من مرض حير الأطباء ولم يجد له علاجاً في الداخل ولا في الخارج وشكايته في البطن يقول: وقدر الله عليه فحصل عليه حادث ومات بسببه شخص فلزمته الكفارة فصام شهرين متتابعين وخلالها بدأ يحس بضمور الألم حتى اختفى ثم أجرى تحليلات دقيقة فقرر الأطباء شفاؤه تماماً مما كان يشكو وشكوا في علاجه هنا أو هناك ولكنه أخبرهما أنه لم يستعمل دواء قط إلا أنه صام شهرين متتابعين فكانت المفاجأة أن الحكيم العليم لا يشرع شيئاً إلا وفيه حكمة بالغة عقلناها أو لم نعقلها وما أجمل التسليم وألذ الانقياد وأسمى الطاعة.

شعراً:

متشاغل ببطالة وتصابي	وضح البيان وأنت في غرر الهوى
أأخذت ميثاقاً من الأوصاب	ترتاح في حلل المشيب منعماً
أبلاه بالآفات شر مصاب	كم ناظر قد راق حسناً ناظراً
ومقام مُلك في أعز نصاب	لم يغن عنه جماله وكماله
صعب شديد الوهن غير محاب	وأتاه من حرب المنون مُعاجلاً
ودعا ذويه فكان غير مجاب	فراى اكتساب يديه ليس بنافع
يعلوه كذب جنادل وتراب	وحواه لحد ضيق متهدم
وأطلع نصيحك ساعياً لصواب	فأفق لنفسك والزمان مساعد
من قبل أن يعي برد جواب	وارجع إلى مولاك حقاً تائباً

الصبر الجميل

الصبر ضرورة بشرية وفريضة شرعية تلازم الإنسان في جميع أحواله وتقلباته وهو حبس النفس على طاعة الله وكفها عن المعاصي والرضى بقضاء الله وقدره دون شكوى.

يقول تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

ويقول تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ [البقرة: ١٥٣].

ويقول تعالى: ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

ويقول تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

عن صهيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له»^(١).

الصبر ضرورة في هذه الحياة وما فاز فيها وحصل على مطلوبه إلا الصابرون.

لأستسهلن الصعب أو أدرك المنى فما انقادت الآمال إلا لصابر
فلولا الصبر لما حصد الزارع بذره ولما جنى الغارس ثمره وهكذا كل
ناجح في الدنيا تجد مطيته الصبر.

إني رأيت وفي الأيام تجربة للعبد عاقبة محمودة الأثر

(١) رواه مسلم. صحيح مسلم ٢٢٧/٨.

وقل من جدّ في أمر يحاوله واستصحب الصبر إلا فاز بالظفر
والصابرون لا يدركون مطالبهم بسهولة ويسر ولكنهم يتحملون كل ما
يصيهم ويتخطون كل عقبة في طريقهم.
لا تأيسن وإن طالت مطالبة إذا استعنت بصبر أن ترى فرجا
أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته ومدمن القرع للأبواب أن يلجا
وللصبر شروط منها:

١ - الإخلاص فالصبر المحمود هو ما كان لله ﷻ . يقول تعالى:
﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ [المدثر: ٧].
ويقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ
سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ [الرعد: ٢٢].

٢ - عدم شكوى الله:
لا يسوغ للمسلم أن يشكو الله إلى خلقه لأن هذا لا يفيد في شيء لكنه
يحرمه الأجر ويخرجه إلى دائرة الوزر:
وصدق الشاعر:

وإذا عرتك مصيبة فاصبر لها صبر الكريم فإنه بك أرحم
وإذا شكوت إلى ابن آدم إنما تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم
٣ - أن يكون الصبر في أوانه:

الصبر المحمود هو ما كان في محله وقبل فوات وقته، أما إذا فات وقته
فلا فائدة فيه .

عن أنس رضي الله عنه قال: مر رسول الله ﷺ على امرأة عند قبر وهي تبكي
فقال لها رسول الله ﷺ: «اتقي الله واصبري» فقالت: إليك عني فإنك لم
تصب بمصيبتي. ولم تعرفه، قال: فقيل لها: إنه النبي ﷺ قال: فأخذها مثل
الموت، قال: فأتت باب النبي ﷺ فلم تجد عنده بوابين فقالت: يا رسول الله
لم أعرفك، فقال ﷺ: «الصبر عند الصدمة الأولى»^(١).

(١) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ١٠٥/٢، وصحيح مسلم ٤٠/٣.

وللصبر مجالات منها:

١ - الصبر على بلاء الدنيا:

لا أحد يسلم من بلاء الدنيا من فقدان الأحباب وخسران المال وحصول الآلام والأوجاع والأسقام وهذا لا يخلو منه أحد إلا من شاء الله ويصيب البر والفاجر والمؤمن والكافر والغني والفقير والصغير والكبير وسائر الخلق أجمعين .
 وصدق الله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [البقرة: ١٥٥].

٢ - الصبر عن شهوات النفس:

الابتلاء كما يكون بالشر يكون بالخير ولهذا ينبغي ألا يطلق المسلم لنفسه العنان لتسرح وتمرح في الشهوات والملاذ تأخذ ما لذ وطاب وتغفل عن الشكر والذكر وتلاوة الكتاب ﴿وَبَلِّغُوا بِالْإِسْرَارِ وَالنَّجْوَىٰ فَتَنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥].
 كثير ممن متعمه الله بالصحة والعافية وأغرق النعم عليهم فهم يتقبلون في شهوات نفوسهم كثير منهم ذلك فتنة له أنها نعم وليست بنعم وصدق الله العظيم: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرَزَقُوا رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾ [طه: ١٣١].

٣ - الصبر على طاعة الله:

الطريق إلى الله يحتاج إلى صبر ومجاهدة لأن فيه عوائق على الطريق هم يصيبك أو حاسد يغبطك أو منافق يؤذيك في نفسك أو عرضك، والطاعة تحتاج إلى مصابرة لأن النفس تتفلت وتنفر من القيود وتطلب الانفلات: ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [هود: ١١].

٤ - الصبر في الدعوة إلى الله:

الدعوة إلى الله سبيلها طويل وطريقها شاق تحتاج إلى رجال عزائمهم لا تخور يتواصون بالحق ويتواصون بالصبر. وهناك صبر عند لقاء العدو وصبر على الزوجة والأولاد وصبر على الأخوة الصادقة وصبر على طلب العلم، وغيرها كثير.

أسأل الله العلي القدير أن يرزقنا الصبر على طاعته والصبر عن معصيته والصبر على أقداره المؤلمة وأسأله تعالى أن يجمعنا ووالدينا وأحبابنا في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

اللهم إنا نسألك أن تجعلنا من الفائزين برضوانك وتجعل مآلنا إلى جناتك وتعيذنا من عذابك ونيرانك. اللهم ارحم ذلنا يوم قيام الأشهاد وآمن خوفنا من فزع يوم المعاد ووقفنا لما فيه تنجينا في ظلم الألداد. اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين^(١).



(١) إتخاف أهل الإيمان ص ٣٣، الصبر الجميل ص ٢٧.

المجلس الرابع عشر

فصل في:

- حق المسلم على أخيه.
- والصيام عن اللغو والرفث.

حق المسلم على أخيه

الحمد لله الذي زحزح همم الأولياء عن السكون إلى العاجلة. وشرح صدور السعداء لإيثار الآجلة، المتفرد بالكمال والكبرياء والجلال والبقاء والعز الذي لا نفاذ له، استوى على العرش من غير تكييف وقهر، وعلم ما كان وما يكون من الخافي وما ظهر ونفذت أقداره في الخلائق فكل نفس لما قدر لها عاملة القلوب تعرفه بصنعتة والرقاب خاضعة لعزته والعقول في تكييف عظمتة حائرة ذاهلة صفاته ثابتة وتخيلات المشبهين باطلة.

الملك الكريم الغفور الرحيم الذي يغفر لمن استغفر ويجبر من انكسر، ويقلل من استقاله ويجيب سائله، العفو الذي يستر الزلات ويقلل العثرات وينادي في كل ليلة ليحجب الدعوات ويغفر السيئات ويتوب على من تاب من قبيح الجنائيات.

أحمده سبحانه على ما أسبغ علينا من نعمه الشاملة وأصلي وأسلم على عبده ورسوله وخليته صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

إخوة العقيدة:

يتجدد اللقاء في هذه الليلة حول حق المسلم على أخيه ذلك الأمر الذي كادت مشاغل الحياة وتعقيداتها أن تجهز على الكثير منه إلا ما رحم ربك. فلنستمع أيها الأحباب ولنبادر إلى العمل لعل الله أن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «حق المسلم على المسلم ست»، قيل: يا رسول الله وما هن؟ قال: «إذا لقيته فسلم عليه وإذا دعاك فأجبه وإذا استنصحك فانصح له وإذا عطس فحمد الله فشمته وإذا مرض فعده

وإذا مات فاتبعه»^(١).

هذه الحقوق الستة من قام بها في حق المسلمين كان قيامه بغيرها أولى وحصل له أداء هذه الواجبات والحقوق التي فيها الخير الكثير والأجر العظيم من الله تعالى.

الأولى:

إذا لقيته فسلم عليه، فإن السلام تحية المسلمين وأتم هذه التحية وأكملها السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فهو دعاء للمسلم عليه بالسلامة والرحمة والبركة، والسلام اسم من أسماء الله الحسنى، والسلام من محاسن الإسلام ومن حق المسلم على أخيه المسلم، وابتدأه سنة عند اللقاء على من عرفت ومن لم تعرف، من صغير وكبير وغني وفقير وشريف ووضيع وهو يتضمن تواضع المسلم وأنه لا يتكبر على أحد، فمن بدأ الناس بالسلام فقد برئ من الكبر، وأولى الناس بالله من بدأهم بالسلام وأبخل الناس الذي يبخل بالسلام، وإفشاء السلام من أسباب المحبة والألفة بين المسلمين الموجبة للإيمان الذي يوجب دخول الجنة والنجاة من النار كما قال النبي ﷺ: «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم»^(٢).

وعلى المسلم عليه رد السلام بمثله أو بأحسن منه. قال تعالى: ﴿وَإِذَا جِئْتُمْ بِحِيَابِ فَحِيبٍ فَأَحْسِنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ [النساء: ٨٦].
وهذه التحية في الدنيا والآخرة: ﴿تَحِيَّاتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ [الأحزاب: ٤٤]،
﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيًا﴾ ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ [الواقعة: ٢٥، ٢٦].

الثانية:

ومن حق أخيك المسلم عليك إذا دعاك فأجبه أي دعاك لدعوة طعام أو شراب فأجبر خاطر أخيك الذي أكرمك بالدعوة وأجبه لذلك إلا أن يكون لك عذر شرعي.

(١) رواه مسلم. صحيح مسلم ٣/٧.

(٢) رواه مسلم. صحيح مسلم ٥٣/١.

وهنا نهمس في آذان إخواننا المسلمين ونقول: ينبغي ألا توقعوا إخوانكم في الحرج وذلك في دعوات الزواج فكثير من الناس يرسل دعوة الزواج لمن عرف ومن لم يعرف، ثم تصل دعوة الزواج وقد يكون عند الشخص غيرها فيجد المسلم حرجاً في عدم إجابة الدعوة ولو كانت الدعوة عبر الهاتف قبل البطاقة وأخذ موافقة المدعو سلفاً لكان أفضل وإذا لم يتيسر ذلك فليضع المسلم في حسابه أن هذه البطاقة لا تعني وجوب إجابة الدعوة لرفع عن أنفسنا الحرج المرفوع شرعاً، ومتى تعارف الناس على ذلك أصبح ذلك عرفاً طيباً يعملون به والله المستعان.

الثالثة:

ومن حق أخيك المسلم عليك إذا استنصحك فانصح له أي إذا استشارك في عمل من الأعمال هل يعمله أم لا فانصح له بما تحب لنفسك، فإن كان العمل نافعاً من كل وجه فحثه على فعله، وإن كان مضرراً فحذره منه، وإن احتوى على نفع وضرر فاشرح له ذلك ووازن بين المنافع والمضار والمصالح والمفاسد، وكذلك إذا استشارك في عمل من الأعمال أو في اختيار زوجة أو صلاحية زوج أو مناسبة وظيفة - ما - أو العمل في مدينة - ما - فكل ذلك يجب عليك أن تمحضه النصيحة وألا تستعجل في إبداء الرأي لثلاث توقع أخاك في ورطة هو في غنى عنها.

ثم ليتنبه الناصح أن هناك أموراً ينبغي التشجيع عليها وعدم ثني المستشير عنها كمن جاء يستشيرك وقد سمى ولده أو بنته باسم لا شبهة فيه أو كمن جاء يستشيرك وقد اشترى نوعاً من السيارات أو كاد يصدر قراره في وظيفة ما فإذا كانت هذه الأمور لا ضرر فيها فشجعه عليها ولو كان غيرها قد يكون أكثر نفعاً منها؛ لأن ما سيترتب على ذلك من المفاسد أكثر مما سيتحقق من المصالح بسبب مشورتك والله أعلم. وصدق الحبيب المصطفى: «الدين النصيحة قالها ثلاثاً...» الحديث^(١).

(١) رواه مسلم. صحيح مسلم ٥٣/١.

الرابعة:

ومن حق أخيك المسلم عليك إذا عطس فحمد الله فشتمته وذلك أن العطاس نعمة من الله بخروج هذه الريح المحتقنة في أجزاء بدن الإنسان يسر الله لها منفذاً تخرج منه فيستريح العاطس فشرع له أن يحمد الله على هذه النعمة وشرع لأخيه المسلم أن يقول له يرحمك الله وأمره أن يجيبه يهديكم الله ويصلح بالكم فمن لم يحمد الله لم يستحق التشميت، ولا يلومن إلا نفسه، فهو الذي فوت على نفسه النعمتين نعمة الحمد لله ونعمة دعاء أخيه المرتب على الحمد وسمى الدعاء للعاطس بالرحمة تشميت لأنه دعاء له بما يزيل عنه شماتة الأعداء وهي فرحهم بما يصيبه.

الخامسة:

من حق أخيك المسلم عليك إذا مرض فعده فإن عيادة المريض وزيارته من حقوق المسلم وخصوصاً من له حق عليه متأكد كالقريب والجار والنسيب والصاحب وهي من أفضل الأعمال الصالحة ومن عاد أخاه المسلم لم يزل يخوض في الرحمة، فإذا جلس عنده غمرته الرحمة ومن عادته في أول النهار صلت عليه الملائكة حتى يمسي ومن عادته آخر النهار صلت عليه الملائكة حتى يصبح، وينبغي للزائر أن يشرح خاطر المريض بالبشارة بالعافية والدعاء له بالشفى ويذكره التوبة والإنابة إلى الله والإكثار من الذكر والدعاء والاستغفار ويأمره بالوصية النافعة ولا يطيل عنده الجلوس إلا إذا طلب منه المريض ذلك فلكل مقام مقال.

السادسة:

من حق المسلم على المسلم اتباع جنازته إذا مات فإن من تبع الجنازة حتى يصلي عليها فله قراط من الأجر، فإن تبعها حتى تدفن فله قبراطان كل قبراط مثل الجبل العظيم واتباع الجنازة فيه حق لله وحق للميت وحق لأقاربه الأحياء.

شعراً:

وما ذاك إلا غيرة أن ينالها
 وإن حجت عنا بكل كريهة
 فله ما في حشوها من مسرة
 والله برد العيش بين خيامها
 والله واديها الذي هو موعد
 بذالك الوادي يهيم صباة
 والله أفراح المحبين عندما
 والله أبصار ترى الله جهرة
 فيا نظرة أهدت إلى الوجد نضرة

سوى كفوها والرب بالخلق أعلم
 وحفت بما يؤذي النفوس ويؤلم
 وأصناف لذات بها يتنعم
 وروضاتها والثغر في الروض يسم
 المزيد لوفد الحب لو كنت منهم
 محب يرى أن الصباة مغنم
 يخاطبهم من فوقهم ويسلم
 فلا الضيم يغشاها ولا هي تسأم
 أمن بعدها يسلو المحب المقيم^(١)



الصيام عن اللغو والرفث

ليس الصيام من الأكل والشرب، إنما الصيام من اللغو والرفث فإن سابك أيها المسلم أحداً وجهل عليك فليكن جوابك القاطع إني صائم إني صائم.

ما أروعه من جواب تنخلع له القلوب المتعلقة بالله، تحصل الأذية والسباب ويكون الجواب بالإمساك عن الكلام إن الإمساك بزمam اللسان أشد وأخطر من الإمساك بزمam المعدة ولهذا يموت الفتى من عشرة بلسانه والعبادة كالكوكب الوضاء منظر بهي يهدي الحائرين ويرشد التائهين ولكن لماذا لا نتذوق حلاوة العبادة.

نعم كثير من النفوس لا تميل إلى الاستقامة على السير قدماً في الطريق المنير وكثير من الأعين لا تحسن أن ترى الضوء وتختفي إذا سطع النور وشأنها شأن الخفافيش التي لا تستطيع الحركة إلا في الظلام. ترى ما أثر الصوم في نفوس هؤلاء ما أثره في نفوس مريضة وأفئدة عليلة وأعين لا ترى وقلوب لا تهتدي وصدق الله العظيم: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

هذه النفوس تحتاج أول ما تحتاج إلى الإيمان حتى تعرف معالم الطريق ولا خير في عمل مع الجحود هباء وخسران وصدق الله العظيم: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الصَّلْوةُ الْبَعِيدُ﴾ [إبراهيم: ١٨].

إن العمل بدون إيمان كبناء على غير أساس على شفا جرف هار كهشيم تذروه الرياح تجد منهم الصائم في النهار ومع صومه يلغ في أعراض الناس ويذكي نار الحسد بينهم بل ويعاقر الجريمة في وضح النهار لا جريمة الأكل

والشرب ولكن الترتيب لجلسات الليل ومواعيده وهكذا يصوم المسلمون؟
تأمل أخي المسلم الصوم مع هؤلاء وتأمله مع نفوس عرفته وقلوب
أدركته تجد الفرق شاسعاً والبون واسعاً وتدرك حقيقة الصوم إلا من الممسك
عن الشهوة وقول الزور وصدق الحبيب المصطفى: «الصيام جنة فلا يرفث ولا
يجهل وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل إنني صائم مرتين، والذي نفسي بيده
لخلوف فم الصائم أطيب عند الله تعالى من ريح المسك يترك طعامه وشرابه
وشهوته من أجلي الصيام لي وأنا أجزي به والحسنة بعشر أمثالها»^(١).

إن الحياة لا بد فيها من عزيمة صادقة تصدع غوائل الهوى وتردع
هواجس الشر وتبطش بالهوى الكذوب وتنطلق بالإنسان إلى حيث العلو
والسمو وأي عزيمة أصدق بل أي نظام أحكم من أن ترى المؤمن يمسك زمام
نفسه من أن تذلل لشهوة، أو تنجرف في تيار الهوى الضال أو تنحرف عن أمانة
الكلمة وصدق اللسان وصفاء الجنان، وأي نفس أكرم من النفس المتجهة إلى
خالقها الممسكة عن هواها تقريباً إلى الله. ألا ما أروع التسليم في الصوم حين
يجوع الصائم ويظماً وأسباب الغذاء والري أمامه ميسرة لولا طاعة الله وخشيته
والرغبة في الثواب والرغبة من العقاب وشتان شتان ما بين صوم تمليه العادة،
وصوم تسري فيه روح العبادة، وشتان شتان ما بين صوم يتعدى فيه الصائم
حدوده وصوم يلتزم فيه حدوده ذلك سببه مداراة الناس، وهذا دافعه مراقبة رب
الناس، ذلك لا يهذب نفساً ولا يعصم لساناً ولا يربي خلقاً.

هذا ينتج الفضائل كلها ويرفع النفس إلى عليين.

ذاك صوم يطلق فيه العنان للسان ينهش أعراض الناس ويفسد فيما بينهم

ويأكل لحومهم.

وهذا صوم ينطلق فيه اللسان على سجيته مهلاً مسبحاً ذاكراً حامداً
مصلياً داعياً فلا تسمع إلا أنين المستغفرين وحنين المذنبين ورنين المناجين
فاتقوا الله يا من تصومون عن الأكل والشرب والجماع وتفطرون على لحوم

(١) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٢٢/٣، وصحيح مسلم ١٥٧/٣.

الناس وأعراضهم اتقوا الله فالحساب عسير ويوم الحشر طويل والعرق سيلجمكم إلى الأذان، ويومذاك لا ينفع نفساً إلا ما عملت وقدمت ذلك يوم التغابن.

اللهم أنت المدعو بكل لسان والمقصود في كل آن نسألك فأنت المعروف بالإحسان ألا تردنا خائبين ولا من عطايك مفلسين ولا عن بابك مطرودين وآمنا من فزع يوم الدين. اللهم اعصمنا من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن وعافنا في الدارين من المحن فها نحن ببابك واقفون وإليك متوجهون ولثوابك متعرضون ولفضلك طالبون فالحقنا بالصالحين واغفر اللهم لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين^(١).



(١) بهجة قلوب الأبرار وقررة عيون الأخيار ص ٩٠، نفحات رمضان ص ٢٤٢.

المجلس الخامس عشر

فصل في:

- فصل في قيام الليل.
- وأوصاف أهل الجنة.

قيام الليل

الحمد لله الذي أصبحت له الوجوه ذليلة عانية وحذرتة النفوس مجدة ومتوانية. ووعظ من آثر الدنيا الحقيرة الفانية على الدار الشريفة الباقية وشوق إلى الجنة قطوفها دائية وأعدّها لأهل الهمم العالية، الحامدون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وأولئك هم الصادقون الذين أحيوا ليلهم بالقيام، ونهارهم بالصيام فعاشوا في هذه الدار غرباء، وهم في الحقيقة وحدهم السعداء، هجروا لذيق المنام وصلوا خاشعين والناس نيام. فلله درهم وهم يسكبون العبرات، ولله درهم وهم يرفعون رصيدهم من الحسنات وأولئك هم الراحون يوم البعث والنشور.

أحبتني في الله - السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . بعد:

حديثنا هذه اليلة حول قيام رمضان، فضل صلاة الليل وعدد ركعاتها وما أحدثه الناس من محدثات فيها ليست على هدى المصطفى ﷺ وصحابته الأخيار. فنقول:

صلاة القيام هي صلاة التراويح التي يؤديها المسلمون في رمضان وهي ضريبة الوفاء لهذا الشهر العظيم لأنها معلم من معالمه وشارة من شاراته يسعى المسلمون إليها خفافاً ليصلوها في المساجد جماعة فتكتظ بهم بيوت الله وتغمرها بهجة وفرحة ويسودها جمال وأنس وتتألق المآذن الشم بالضياء وتزدان حلقات العلم بالخلص الأتقياء وترتفع أصوات القراء وتتلاحم صفوف التراويح بالمتقين الأتقياء وكأنما هذه الصلاة تنشط للجسم الصائم طول النهار بعد فطور قد يؤدي إلى فتور، وقد ورد في فضل صلاة الليل نصوص كثيرة نجتزئ منها قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَسْتُرُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾

وقال: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٦ - ١٧].

وقال النبي ﷺ: «أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل»^(١)، وقال ﷺ: «أيها الناس أفسحوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام»^(٢).

وصلاة الليل في رمضان لها فضيلة ومزية على غيرها لقول النبي ﷺ: «من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»^(٣)، ومعنى قوله: «إيماناً»؛ أي: إيماناً بالله وبما أعده من الثواب للقائمين ومعنى قوله احتساباً؛ أي: طلباً لثواب الله لم يحمله على ذلك رياء ولا سمعة ولا طلب مال ولا جاه وقيام رمضان شامل للصلاة في أول الليل وآخره وعلى هذا فالتراويح من قيام رمضان فينبغي الحرص عليها والاعتناء بها والاهتمام بأدائها على الوجه الصحيح واحتساب الأجر والثواب من الله عليها وما هي إلا ليال معدودة ينتهزها المؤمن العاقل قبل فواتها وإنما سميت تراويح لأن الناس كانوا يطيلونها جداً فكلما صلوا أربع ركعات استراحوا قليلاً.

وتشعر جماعة لحديث عائشة رضي الله عنها أنها أن رسول الله ﷺ خرج ليلة في جوف الليل فصلى في المسجد وصلى رجال بصلاته فأصبح الناس فتحدثوا فاجتمع أكثر منهم فصلى فصلوا معه فأصبح الناس فتحدثوا فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة فخرج رسول الله ﷺ فصلى بصلاته، فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله حتى خرج لصلاة الصبح، فلما قضى الفجر أقبل على الناس فتشهد، ثم قال: «أما فإنه لم يخف علي مكانكم، ولكني خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها» فتوفي رسول الله ﷺ والأمر على ذلك^(٤).

(١) رواه مسلم. صحيح مسلم ١٦٩/٣.

(٢) رواه أحمد. المسند ٤٥١/١، والترمذي في سننه ٢٨٧/٤، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

(٣) رواه البخاري ومسلم - صحيح البخاري ١٧/١، وصحيح مسلم ١٧٧/٢.

(٤) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٤٠/٣، وصحيح مسلم ١٧٧/٢.

فلما لحق رسول الله ﷺ بجوار ربه استقرت الشريعة وزالت الخشية وبقيت مشروعية صلاتها جماعة قائمة لزوال العلة لأن العلة تدور مع المعلول وجوداً وعدمًا.

وأحيا هذه السنة الخلفية الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كما أخبر بذلك عبد الرحمن بن عبد القارئ، قال: خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة في رمضان إلى المسجد فإذا الناس أوزاع متفرقون يصلي الرجل لنفسه ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط فقال عمر: إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم، قال عمر: نعمت البدعة هذه والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون، وكان الناس يقومون أوله ^(١).

شعراً:

أضاء لها نور من الفجر أعظم	ولله كم من خيرة إن تبسمت
ويا لذة الأسماع حين تكلم	فيا لذة الأبصار إن هي أقبلت
ويا خجلة الغصن الرطيب إذا اثنت	ويا خجلة الغصن الرطيب إذا اثنت
فلم يبق إلا وصلها لك مرهم	فإن كنت ذا قلب عليل بحبها
وقد صار منها تحت جيدك معصم	ولا سيما في لثمها عند ضمها
يلذ به قبل الوصال وينعم	يراها إذا أبدت له حسن وجهها
فواكه شتى طلعتها ليس يعدم	تفكه فيها العين عند اجتلائها



أوصاف أهل الجنة

قال الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَنُطِيبِ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاَسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن شَيْءٍ أَذَىٰ عَلَيْهِمْ ﴿١٣٥﴾ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ مَغْفِرَةً مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَعِشْرَةَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٣٦﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٦].

فأخبر ﷺ أنه أعد الجنة للمتقين دون غيرهم ثم ذكر أوصاف المتقين فذكر بذلهم للإحسان في حالة العسر واليسر والشدة والرخاء فإن من الناس من يبذل في حال اليسر والرخاء ولا يبذل في حال العسر والشدة ثم ذكر كيف أذاهم عن الناس بحبس الغيظ بالكظم وحبس الانتقام بالعفو، ثم ذكر حالهم بينهم وبين ربهم في ذنوبهم، وأنها إذا صدرت منهم قبلوها بذكر الله والتوبة والاستغفار وترك الإصرار فهذا حالهم مع الله وذاك حالهم مع خلقه.

وقال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَٰئِكَ الْمُقَدَّمُونَ يُغْفَرُونَ لَهُمْ أَسْوَءُ الذُّنُوبِ وَأَسْوَأُ الْأَسْوَءِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ يُحَسِّنُونَ رِضْوَانًا وَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ سَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَانُوا عَلَىٰ سَبِيلٍ سَوِيًّا ﴿١٣٧﴾﴾ [التوبة: ١٠٠]، فأخبر تعالى أنه أعد لها للمهاجرين والأنصار وأتباعهم بإحسان فلا مطعم لمن خرج عن طريقهم فيها وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّت قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ - ٤].

فوصفهم بإقامة حقه ظاهراً وباطناً وبأداء حق عباده.

ووصفهم رسول الله ﷺ بقوله: «.. وأهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط متصدق موفق ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم وعفيف متعفف ذو عيال»^(١).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: مر بجنابة فأنى عليها خيراً فقال نبي الله: «وجبت وجبت وجبت» ومر بجنابة فأنى عليها شراً فقال: (وجبت وجبت وجبت)، فقال عمر: فذاك أبي وأمي، مر بجنابة فأنى عليها خيراً فقلت: وجبت وجبت وجبت، ومر بجنابة فأنى عليها شراً فقلت: وجبت وجبت وجبت فقال رسول الله ﷺ: «من أنثيتم عليه خيراً وجبت له الجنة ومن أنثيتم عليه شراً وجبت له النار وأنتم شهداء الله في الأرض»^(٢).

قال ابن القيم رحمه الله: ... وبالجملة فأهل الجنة أربعة أصناف ذكرهم الله ﷻ في قوله: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]، نسأل الله أن يجعلنا منهم بمنه وكرمه^(٣).

وأكثر أهل الجنة هم أمة محمد ﷺ، يدل لذلك ما رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة فكبرنا ثم قال: أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة، فكبرنا، ثم قال: إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة وسأخبركم عن ذلك ما المسلمون في الكفار إلا كشعرة بيضاء في ثور أسود أو كشعرة سوداء في ثور أبيض»^(٤).

ويدخل ثلثة من أمة محمد الجنة بغير حساب ولا عقاب. يدل لذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يدخل الجنة من أمتي زمرة هم سبعون ألفاً تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر، فقام عكاشة بن

(١) رواه مسلم. صحيح مسلم ١٥٩/٨.

(٢) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ١٢١/٢ وصحيح مسلم ٥٣/٣.

(٣) حادي الأرواح ص ١٠٥.

(٤) رواه مسلم. صحيح مسلم ١٣٨/١.

محسن الأسدي فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم اجعله منهم» فقام رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال: «سبقك بها عكاشة»^(١).

وقد ورد وصفهم في الحديث الآخر: .. فخاض الناس في أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب فقال بعضهم: لعلمهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ، وقال بعضهم: لعلمهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئاً، وذكروا أشياء فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال: «ما الذي تخوضون فيه» فأخبروه فقال: «هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يكتون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون»^(٢).

وأول من يدخل الجنة هم أمة محمد ﷺ يدل لذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «نحن السابقون الأولون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم»^(٣).

يقول ابن القيم رحمه الله: فهذه الأمة أسبق الأمم خروجاً من الأرض وأسبقهم إلى أعلى مكان في الموقف وأسبقهم إلى ظل العرش وأسبقهم إلى الفصل والقضاء بينهم وأسبقهم إلى الجواز على الصراط وأسبقهم إلى دخول الجنة فالجنة محرمة على الأنبياء حتى يدخلها محمد ﷺ ومحرمه على الأمم حتى تدخلها أمته»^(٤).

اللهم يا حبيب التائبين ويا أنيس المنقطعين ويا من حنت إليه قلوب الصادقين اجعلنا من أوليائك المتقين وحزبك المفلحين اللهم آمن خوفنا يوم البعث والنشور وأنس وحشتنا في القبور ويسر لنا يا ربنا جميع الأمور.

(١) رواه مسلم. صحيح مسلم ١/١٣٦.

(٢) رواه مسلم. صحيح مسلم ١/١٣٨.

(٣) رواه مسلم. صحيح مسلم ٧/٢.

(٤) حادي الأرواح ص ٩٩-١٠٠.

اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولأحبابنا ولمشايخنا وأزواجنا وإخواننا وأخواتنا
وجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله
وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم^(١).



(١) فتح الباري ٤/٢٥٠، بداية المجتهد ١/٢٠٢.

المجلس السادس عشر

فصل في:

- قيام الليل.
- وأوصاف أزواج أهل الجنة.

قيام الليل

الحمد لله الذي كون الأشياء وأحكمها خلقاً، وفتق السماوات والأرض وكانتا رتقاً، وقسم بحكمته العباد فأسعد وأشقى، وجعل للسعادة أسباباً فسلكها من كان أتقى، ونظر بعين البصيرة إلى العواقب فاختر ما كان أبقى، أحمده وما أقضي له بالحمد حقاً وأشكره ولم يزل للشكر مستحقاً. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له مالك الرقاب كلها رقا، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أكمل البشر خلقاً وخلقاً، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأحقهم الصديق الحائر فضائل الأتباع سبقاً، وعلى عمر العادل فما يحايي خلقاً، وعلى عثمان الذي استسلم للشهادة وما توفى، وعلى علي بائع ما يفنى ومشتري ما يبقى، وعلى جميع الصحب الناصرين لدين الله حقاً وسلم تسليمًا.

إخواني:

مر معنا طرف مما يتعلق بصلاة الليل من حيث فضلها ومشروعيتها وفي هذه الليلة سيكون الحديث حول عدد ركعاتها وعلى الوتر ثم نذكر طرفاً من الأخطاء الشائعة عند بعض الأئمة هداهم الله وردنا وإياهم إلى الصواب رداً جميلاً فنقول وعلى الله نتوكل:

اختلف أهل العلم اختلافاً واسعاً في عدد ركعات صلاة التراويح وقد أفاض العلامة ابن حجر رحمته الله في ذكر الأقوال في كتابه الكبير فتح الباري ومن هذه الأقوال:

- ١ - قيل أنها إحدى عشرة ركعة.
- ٢ - وقيل إحدى وعشرون ركعة.
- ٣ - وقيل ثلاث وعشرون ركعة.

- ٤ - وقيل تسع وثلاثون ركعة.
 - ٥ - وقيل إحدى وأربعون ركعة.
 - ٦ - وقيل سبع وأربعون ركعة.
 - ٧ - وقيل تسع وأربعون ركعة.
 - ٨ - وقيل أربع وثلاثون ركعة غير الوتر.
 - ٩ - وقيل أربع وعشرون ركعة غير الوتر.
 - ١٠ - وقيل ست عشرة ركعة غير الوتر.
 - ١١ - وقيل تسع وعشرون ركعة^(١).
- وأرجح هذه الأقوال والله أعلم أنها إحدى وعشرين ركعة أو ثلاث عشرة ركعة.

يدل لذلك ما روته عائشة رضي الله عنها أنها سئلت كيف كانت صلاة النبي صلى الله عليه وسلم في رمضان؟ فقالت ما كان يزيد في رمضان ولا غيره على إحدى عشرة ركعة^(٢).

وما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت صلاة النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة ركعة يعني من الليل^(٣).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «.. له أن يصلي عشرين ركعة كما هو المشهور عن مذهب أحمد والشافعي وله أن يصلي ستاً وثلاثين كما هو مذهب مالك وله أن يصلي إحدى عشرة ركعة وثلاث عشرة ركعة وكل حسن فيكون تكثير الركعات أو تقليلها بحسب طول القيام وقصره»^(٤).

وكثير من أئمة المساجد يصلون التراويح وهم لا يطمئنون في القيام ولا في الركوع ولا في السجود والطمأنينة ركن من أركان الصلاة لا تصح بدونه

(١) فتح الباري ٤/٢٥٣.

(٢) رواه البخاري. صحيح البخاري ٦٧/٢.

(٣) رواه البخاري. صحيح البخاري ٦٤/٢.

(٤) مجموع الفتاوى ١١٣/٢٣.

والمقصود الأعظم من الصلاة حضور القلب واتعاضه بما يسمع من كلام الله وتدبره له هذا لا يتأتى بالعجلة المذمومة ولهذا نقول كلما قلت الركعات واطمأن فيها الإمام وحقق أركان الصلاة وواجباتها وسننها فذلك أولى من تكثير الركعات مع تضييع لب الصلاة وأساسها.

فينبغي للأئمة أن يتقوا الله فيمن خلفهم فهم أمانة مسؤولون عنهم يوم القيامة فليحسنوا الصلاة ويؤدوها على وجهها المشروع لئلا يتضرر الكبير والمريض والعاجز بالسرعة المفرطة وهنا نقول لإخواننا الذين ينصرفون قبل فراغ الإمام من الصلاة لقد فاتكم خير كثير إذ المتابع للإمام حتى ينصرف يكتب له أجر قيام ليلة كاملة وهذا فضل من الله، ونقول لأخواننا المؤمنات إن صلاتكن في بيوتكن أفضل وإذا رغبتن في حضور الصلاة مع الجماعة فعليكن بالستر والعفاف والحشمة التامة واحذرن من الزينة والطيب لئلا تقعن في المعصية وأتتن ساعيات للخير.

وعليكن بتسوية الصفوف والاعتناء بها والإنصات أثناء قراءة الإمام شيئاً من المواظب وتذكرن أن حضوركن للمسجد القصد منه أداء العبادة فقط وليس تبادل الأحاديث مع هذه وتلك.

أيها الأخوات المؤمنات احرصن بارك الله فيكن على عدم إحضار الأطفال الصغار الذين يزعجون المصلين وقد يسيئون لبيوت الله من حيث لا يشعرون.

شعراً:

لقوم على التقوى دواماً تبتلوا
وقرة عين ليس عنها تحول
واستبرق لا يعتريه التحلل
على مثل شكل الشمس أو هن أشكل
ومن سلسبيل شربهم يتسلل
إذا أكلوا نوعاً بآخر بدلوا
وسكانها مهما تمنوه يحصل
أحبوا إلى جنات عدن توصلوا

وجنات عدن زخرفت ثم أزلفت
بها كل ما تهوى النفوس وتشتهي
ملا بسهم فيها حرير وسندس
وأزواجهم حور حسان كواعب
ومأكلهم من كل ما يشتهونه
يطاف عليهم بالذي يشتهونه
بها كل أنواع الفواكه كلها
بأسباب تقوى الله والعمل الذي

أوصاف أزواج أهل الجنة

قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥].

فتأمل أخي المسلم جلاله المبشر ومنزلته وعظمته وصدقه وعظمة من أرسله إليك بهذه البشارة وقدر ما بشرك به وضمنه لك على أسهل شيء عليك وأيسره. وقد جمع سبحانه في هذه البشارة بين نعيم البدن بالجنات وما فيها من الأنهار والشمار ونعيم النفس بالأزواج المطهرة ونعيم القلب وقررة العين بمعرفة دوام هذا العيش أبد الآباد وعدم انقطاعه.

والأزواج جمع زوج وهو الأفصح والمطهرة من طهرت من الحيض والبول والنفاس والغائط والمخاط والبصاق وكل قدر وكل أذى يكون من نساء الدنيا فطهر مع ذلك باطنها من الأخلاق السيئة والصفات المذمومة وطهر لسانها من الفحش والبذاء مطهر طرفها من أن تطمح إلى غير زوجها وطهرت أثوابها من أن يعرض لها دنس أو وسخ.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لغدوة في سبيل الله أو روحه خير من الدنيا وما فيها ولقاب قوس أحدكم أو موضع قيده يعني سوطه من الجنة خير من الدنيا وما فيها، ولو طلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض لمألت ما بينها ريحاً ولأضاءت ما بينها ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها»^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «أن أول زمرة تدخل الجنة على

(١) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٢١/٤، وصحيح مسلم ٣٦/٦.

صورة القمر ليلة البدر والتي تليها على أضواء كوكب دري في السماء ولكل امرئ منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم وما في الجنة أعزب»^(١). وقد ذكر المفسرون في معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكَّهُونَ﴾ [يس: ٥٥]، قالوا: شغلهم افتضاض الأبيكار والعداري عن الاهتمام بأهل النار ومصيرهم. وذكر ابن القيم رحمته الله عن سعيد بن جبير قال: «إن شهوته لتجري في جسده سبعين عاماً يجد اللذة ولا يلحقهم بذلك جناية فيحتاجون إلى التطهير ولا ضعف ولا انحلال قوة بل وطؤهم وطء التلذذ ونعيم لا آفة فيه بوجه من الوجوه» وأكمل الناس فيه أصونهم لنفسه في هذه الدار عن الحرام فكما أن من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة، ومن لبس الحرير لم يلبسه في الآخرة، ومن أكل في صحاف الذهب والفضة في الدنيا لم يأكل فيها في الآخرة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إنها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة» فمن استوفى طيباته ولذاته في هذه الدار حرمها هناك، ولهذا نص سبحانه على من أذهبوا طيباتهم في حياتهم الدنيا وكان الصحابة رضي الله عنهم يخافون من ذلك أشد الخوف.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن في الجنة لسوقاً يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثوا في وجوههم وثيابهم فيزدادون حسناً وجمالاً فيرجعون إلى أهلهم فيقولون لهم والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً»^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قال الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واقروا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾» [السجدة: ١٧].^(٣)

(١) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٤/١٤١، وصحيح مسلم ٨/١٤٧.

(٢) رواه مسلم. صحيح مسلم ٨/١٤٥.

(٣) رواه أحمد. المسند ٢/٤٣٨، وقد روى البخاري ومسلم بعضه بروايات مختلفة ص ١٤٣، وصحيح مسلم ٨/١٤٣.

وعن صهيب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه فيقولون: ما هو ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويزحزحنا عن النار قال: فيكشف لهم الحجاب فينظرون إليه فوالله ما أعطاهم الله شيئاً أحب إليهم من النظر إليه ولا أقر لأعينهم منه»^(١).

وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن موسى سأل ربه ما أدنى أهل الجنة منزلة فقال: رجل يجيء بعد ما يدخل أهل الجنة الجنة فيقال له ادخل الجنة فيقول: رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا فيقول: رب رضيت فيقول: لك ذلك ومثله ومثله فقال في الخامسة: رضيت رب قال: فأعلاهم منزلة أولئك الذين أردت غرس كرامتهم بيدي وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر»^(٢).

اللهم إنا نسألك بإسمك الأعظم وبوجهك الأكرم أن ترزقنا الجنة وتعيدنا من النار فإنك أنت المعروف بالإحسان والصفح عن الأوزار اللهم اجعل في قلوبنا نوراً نهتدي به إليك وتولنا بحسن رعايتك حتى نتوكل عليك وارزقنا حلاوة التذلل بين يديك فالعزيز من لاذ بعزك والسعيد من التجأ إلى حماك وحرزك والذليل من لم تؤيده بعنايتك والشقي من رضي بالإعراض عن طاعتك إلهنا لا تفرق جمعنا إلا بذنب مغفور وعمل صالح مبرور وسامحنا فأنت العزيز الغفور، واغفر لنا ولوالدينا وأحبابنا ومن له حق علينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين^(٣).

(١) رواه أحمد. المسند ٤/٣٣٣، وابن ماجه ١/٦٧، والترمذي ٤/٦٨٧، قال أبو

عيسى: هذا الحديث إنما أسنده حماد بن سلمة ورفعته...

(٢) رواه البخاري لكن بغير هذا اللفظ ٨/١٤٦.

(٣) فتح الباري ٤/٢٥٠، بداية المجتهد ١/٢٠٢، حادي الأرواح ص ١٠٣.

المجلس السابع عشر

فصل في:

- من غزوات الرسول ﷺ في رمضان.
- الدنيا بين التنافس فيها والإعراض عنها.

من غزوات الرسول ﷺ في رمضان

الحمد لله المتفرد بكل العز والجلال، المتوحد بالعظمة التي لا تضاهي والكبرياء والكمال تنزهه عن صاحبة والأولاد وتفرد في ملكه بالاختراع والإيجاد وتعالى عن الأنداد والأضداد والشركاء والأشباه والأشكال الملك الذي إذا أراد شيئاً قال له: كن فيكون العالم بسرائر خلقه وما يعلنون. أحمده حمد معترف بالتقصير وأشكره على واسع فضله الغزير. وأشهد ألا إله إلا الله العلي الكبير، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله السراج المنير صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أهل الجد والتشمير.

أيها المؤمنون الصائمون:

في شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة وقعت غزوة بدر الكبرى التي انتصر فيها المسلمون وفرق الله فيها بين الحق والباطل وسمى يومها يوم الفرقان يقول تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ﴾ ﴿٥﴾ إلى قوله: ﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلَتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَلرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ ﴿١٢﴾ [الأنفال: ٥ - ١٢].

وقال تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ حُمُسَهُ، وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَآبِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْأَحْمَعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٤١﴾ [الأنفال: ٤١].

لقد مضت قريش في مسيرها مستجيبة لرأي أبي جهل حتى نزلت بالعدوة القصوى من وادي بدر ونزل المسلمون بالعدوة الدنيا.

واقترب كل فريق من الآخر وهو لا يدري ما وراء هذا اللقاء الرهيب وهبط الليل فأرسل النبي ﷺ علياً والزبير وسعيد بن مالك في نفر إلى ماء بدر يلتمسون له الخبر فأصابوا رواية لقريش فيها غلامان فأتوا بهما والنبي ﷺ يصلي فلما سلم قال: «أخبراني عن قريش». قالوا: هم وراء هذه الكتيبة الذي تراه بالعدوة القصوى قال: «كم القوم» قالوا: كثير قال: «ما عدتهم» قالوا: لا ندري قال: «كم ينحرون كل يوم» قالوا: يوماً تسعاً ويوماً عشراً. قال ﷺ: «القوم ما بين التسعمائة والألف» ثم قال: «فمن فيهم من أشرف قريش» فسميا له خمسة عشر فأقبل ﷺ على الناس فقال: «هذه مكة ألقى إليكم أفلاذ كبدها وقرب اللقاء وتجهزت قريش بخيلائها وكبريائها وبطشها وغرورها».

والتفت معلم البشرية إلى أصحابه العصبة المؤمنة فرأهم بين مهاجر باع نفسه لله ﷻ وأنصاري ربط مصيره بهذا الدين فأوى صاحب الرسالة والمؤمنين به. وهنا أحب الرسول ﷺ أن يطلعهم على الحقيقة وأن الصدام سيقع وفي مثل المواقف العصبية والامتحانات المبالغتة يتبين الرجال وتتضح المواقف والبطولات ويسهل تقويم الرجال ووزنهم.

استشار الرسول ﷺ أصحابه فكانت النتائج رائعة والمواقف حاسمة لئن خضت بنا البحر فنحن معك. سر ونحن وراءك نقاتل عن يمينك وعن شمالك ومن بين يديك ومن خلفك. اظعن حيث شئت وصل من شئت واقطع جبل من شئت وخذ من أموالنا ما شئت واعطنا منها ما شئت وما أخذت من أموالنا أحب إلينا مما أبقيت.

هذا هو جواب العصبة المؤمنة فسر الرسول ﷺ بهذه المواقف الإيمانية الخالدة وبشرهم بأن الله وعده إحدى الحسينين. قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَعِدُّكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَوَدُّونَ أَنْ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴿٧﴾﴾ [الأنفال: ٧].

وقضى المسلمون ليلاً هادئاً وغمرت نفوسهم العزيمة الصادقة والثقة المطلقة بنصر الله ﷻ وأخذ الرسول ﷺ يتفقد الرجال وينظم الصفوف ويسدي النصائح ويذكر بالله واليوم الآخر ثم يعود إلى العريش ليستغرق في الدعاء

والتضرع إلى الله بطلب النصر والتمكين «اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم آت ما وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض»^(١).

وأبو بكر يقول له: كفاك يا رسول الله سينجزك الله وعده وسينعم المسلمون بالنصر المؤزر إن شاء الله: ﴿إِذْ تَسْتَعِينُونَ رَبِّكُمْ فَأَسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُبِدِّكُمْ بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْسِلِينَ﴾ [الأنفال: ٩].

لقد استجاب الله لعبده وحبيبه وأنزل ملائكته تقاتل مع المؤمنين وكل ذلك من باب البشارة وتطمين المسلمين وإلا فحسبهم أن يبذلوا ما في وسعهم والباقي من عند الله جل وعلا فهو الذي وعد بالنصر ووعدته حق وصدق لا يتحول ولا يتبدل ﴿وَإِنَّ جُنَدًا لَهُمُ الْغَلِيلُونَ﴾ [الصفات: ١٧٣]، ﴿إِنْ نَصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

والتقى الصفان والمؤمنون يقاتلون بشجاعة وبسالة غير معهودة وراع المشركين إقدام المسلمين ونزل التثبيت من الله |٧٥| ونزلت الملائكة من السماء ونزل نصر الله المؤزر للعصبة المؤمنة وهوت صناديد الكفر وسقطوا في مصارعهم وفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء.

شعراً:

يا خاطب الحوراء في خدرها	وطالباً ذاك على قدرها
انهض بجد لا تكن متوانياً	وجاهد النفس على صبرها
وجانب الناس وارفضهم	وحالف الوحدة في وكرها
وقم إذا الليل بدا شطره	وصم نهاراً فهو من مهرها
فلو رأيت عيناك إقبالها	وقد بدت رمانتاً صدرها
وهي تماشي بين أترابها	وعقدتها يشرق في نحرها
لهان في نفسك هذا الذي	تراه في دنياك من زهوها

(١) رواه مسلم. صحيح مسلم ١٥٦/٥ - ١٥٧.

الدنيا بين التنافس فيها والإعراض عنها

سمع الأنصار أن أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قدم من البحرين بمال كان قد صالحهم عليه الرسول ﷺ فوافوا الرسول ﷺ في صلاة الصبح فلما انصرف من الصلاة تعرضوا له وفهم الرسول ﷺ مرادهم ومطلبهم فتبسم وقال: «أظنكم سمعتم بقدوم أبي عبيدة وأنه جاء بشيء» قالوا: أجل يا رسول الله قال: «أبشروا وأملوا ما يسركم فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم أن تبسط الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتلهيكم كما ألهتهم»^(١).

لم يؤنبهم الرسول ﷺ ولم يوبخهم عندما جاءوا طالبين المال، فالرسول ﷺ يعلم أن لهم في هذا المال حقاً ويعلم حاجتهم إليه والمال من الزينة التي حببها الله إلى عباده: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٦]، وهو من الشهوات المركوز حبها في أعماق النفس الإنسانية ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [آل عمران: ١٤].

لقد سقط أقوام في مستنقع الحياة الآسن حينما تكالبوا عليها وتنافسوا فيها وجمعوها من الحلال والحرام لم يراعوا اللقمة التي يأكلون ولا الشربة التي يشربون يطعمون أولادهم وأهليهم من الحرام تعاملوا بالربا علناً فحاربوا الله ورسوله ومن يحارب الله ورسوله فهو دونما شك الدليل الخسران. تجد الواحد منهم يملك الملايين ومع ذلك لا يحس بالأمن ولا يتلذذ بالحياة. يحمل هموم الدنيا ويقاسي آلامها نسي الله فنسيه الله. عبد شهوته

(١) رواه البخاري ومسلم. صحيح البخاري ٤/١١٧، وصحيح مسلم ٨/٢١٢.

وحرم نفسه منع حق الله فعاقبه الله عاجلاً غير آجل. هذا صنف من الناس. والصنف الآخر استخدم الدنيا في طاعة الله وسخرها في مرضاته وظف أمواله في طرق الخير بيني المساجد يعطي المساكين يغدق على المجاهدين يساعد مشاريع الخير في البلد فنعم المال الصالح في يد الرجل الصالح. رأيت أخي المسلم لو أننا رأينا شخصاً يبذل جهده وماله فيما لا فائدة فيه إلا نصفه بضعف العقل وقصور الإدراك وعدم إدراك المسؤولية إذا فكيف بمن يوظف أمواله في الحرام ويعمر فيها أماكن الحرام ويهدم فيها الفضائل ويحارب فيها الدعاة إلى الله أليس هذا هو ضعف العقل وقلة الإدراك وبلادة الإحساس. حدثني من أثق به أن شخصاً جمع أموالاً من طرق متعددة منها الحلال ومنها الحرام. وبعد أن توفي وقبل قسمة تركته أُلح أحد أبنائه المراهقين على شراء سيارة له فوافقت الأم تحت الضغط الشديد على أن تكون هذه القيمة من نصيب الولد من التركة بعد قسمتها. وبعد أن استلم الولد السيارة أخذ يلعب بها يميناً وشمالاً ويؤذي الناس عند أبواب المسجد الذي يصلي فيه والده سابقاً وأثناء خروج الناس من الصلاة اجتمع مجموعة من الشباب حول هذه السيارة يسألون الولد من أين اشتريتها فقال بعظمة لسانه: مات العجوز فاسترحنا واشتريناها. رأيتم أيها الآباء سيكون الحساب على جامع الأموال والمستفيد منها هم الأولاد ومنهم الصالح البار ومنهم الطالح العاق. إن أموالنا هي ما نقدمه ونحن أصحاب أشقاء نأمل الحياة ونرجو الغنى فلنبادر بالصدقة قبل أن نتمناها ولا تتيسر لنا ولتسابق في أعمال الخير قبل أن يفجأنا الموت: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَانْقُضُوا اللَّهُ مَا اسْتَظَعْتُمْ وَاسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِنَفْسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾ [التغابن: ١٥ - ١٦].

شعراً:

وفؤاد كلما عاتبته	في مدى الهجران يبغى تعبي
لا أراه الدهر إلا لاهياً	في تماديه فقد برح بي
يا قرين السوء ما هذا الصبا	فني العمر كذا في اللعب

وشبابٌ بانَ عني فمضى قبل أن أقضيَ منه أربي
وما أرجي بعده إلا الفنا ضَيِّقَ الشيبِ عليّ مطلبي
ويح نفسي لا أراها أبداً في جميلٍ لا ولا في أدب
نفسِي لا كُنْتُ ولا كان الهوى راقبي المولى وخافي وارهبي

اللهم يسر لنا طريق النجاة ووقفنا للتوبة والإنابة يا من إذا سأله المضطر أجابه اللهم سلمنا من كل الأسواء وعافنا من الأدواء ولا تجعلنا محلاً للبلوى وظهر أسرارنا من الشكوى وألستنا من الدعوى. اللهم امح من ديوان الأشقياء شقاءنا وأكتبه عندك في عنوان الأخيار يا عزيز يا رحيم يا غفار. اللهم بارك لنا في الحلال من الرزق واجعله عوناً لنا على طاعتك وهيء لنا من أمرنا رشداً ربنا اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً^(١).



(١) مختصر سيرة ابن هشام ص ٢٠٢، ونفحات رمضان ص ١٨٩، وجولة في رياض العلماء ص ٣٣.

المجلس الثامن عشر

فصل في:

- شهر النصر.
- وأحكام القضاء.

شهر النصر

الحمد لله الملك الخلاق الولي فلا ولي من دونه ولا واق الغني الذي لا تفيض خزائنه مع كثرة الإنفاق المحيط علمه بجميع الخلائق في جميع الآفاق الناظر إلى بواطن عباده وظواهرهم والسميع لأصواتهم في الإشراق والأغساق فسبحانه من إله على عرشه استوى فوق جميع مخلوقاته فلا منازع له ولا مشاق خضعت الأكوان من مخافته وانطفأت النار لطاعته وجلا منه وإشفاقاً أحمده سبحانه له الملك وله الحمد والكمال على الإطلاق وأشكره على إحسانه الذي لا يعد ولا يطاق وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا ضد ولا ند ولا مُشاق شهادة أرجو بها تخفيف كرب السياق وختام حياتنا يوم الرحيل والفراق وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أكرم الخلق على الإطلاق وأفضلهم تحلياً بمكارم الأخلاق من أسري به ليلاً على البراق حتى جاوز السبع الطباق صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

إخوتي الصائمين والصائمات:

الصوم مدرسة جامعة فيه الدروس والعبر للأمم في كل شؤونها في الحياة ودرسنا اليوم حول الانتصارات في رمضان وأسبابها فنقول ثلاثون يوماً كل عام في حياة المسلمين يدخلون فيها مدرسة الصوم ليتلقوا فيها أشق التدريبات النفسية يتخرجون بعدها جنوداً للمعركة بل جنوداً للفتح المبين ثم ينطلقون بهذه التدريبات الغالية ليستثمروها في المعارك حتى إذا جاء رمضان من جديد أيقظ فيهم هذه الروح العسكرية مرة أخرى وهكذا يجددون بالصوم عزائمهم وأرواحهم كلما حاولت الحياة ومفاتها أن تبعدهم عن ساحة الجهاد وبذلك تكون حياة المسلم جندياً متجددة وجهاداً متواصلاً.